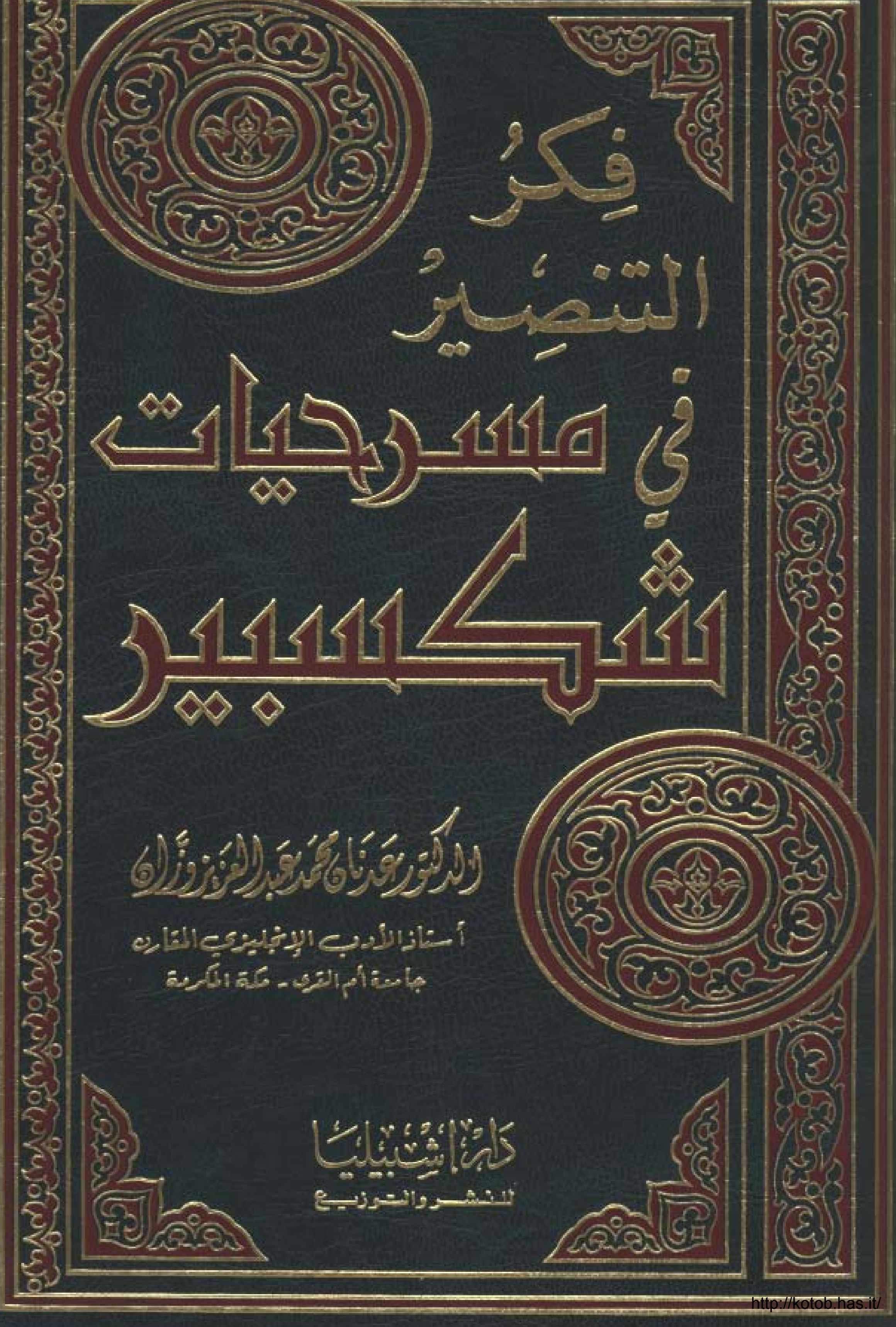


فِكرُ
التنصيرُ
في مسرحيات
شكسبير
الدكتور عدنان محمد عبد العزيز وزان
أستاذ الأدب الإنجليزي المقارن
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
دار إشبيليا
للنشر والتوزيع
http://kotob.has.it/

فِكرُ التنصِيرُ في مسرحيّاتِ شكسبير

الدكتور عدنان محمد عبد العزيز وزّان
أستاذ الأدب الإنجليزي المقارن
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

قال العماد الأصفهاني :

** « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

*** * ***

المقدمة

الحمد لله العظيم المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً ، المتفرد بتصريف الأمور على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً المتعالي بعظمته ومجده، الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة إلى العالمين هادياً وسراجاً منيراً، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فلقد عرفت شكسبير وأنا تلميذ أدرس في المرحلة الثانوية من خلال دروس مادة اللغة الإنجليزية ، وكانت تلك المعرفة من خلال دراسة قصيدة شعرية من قصائده، أظهر لنا حينذاك مدرس اللغة الإنجليزية عظمة هذا الأديب الإنجليزي الشهير ، واتصلت المعرفة بشكسبير عندما التحقت للدراسة الجامعية بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، عندما درسنا عدداً من مختصرات مسرحيات شكسبير في نصوصها النثرية من إعداد تشارل وماري لامب ، وبعد ذلك ازدادت المعرفة بشكسبير عندما قدم لنا من خلال نصوصه الأصليه بدراسة مسرحياته التي كتبها شكسبير بقلمه، فدرسنا مسرحية (العاصفة)، و(حلم ليلة صيف) ، و(عطيل)، و (مكبث) ، و(تاجر البندقيه)، وغيرها من المسرحيات. وطوال فترة الدراسة بالمرحلة الجامعية لم نسمع من المدرسين

سوىٰ كلمات الثناء العاطر، والتعظيم والتمجيد لهذا الأديب، وعادة ما يُعَرَّفُ بأنه شاعر الإنسانية وأديبها.

ويؤكد ذلك ما كتبه عباس محمود العقاد عن شكسبير في كتابه المشهور (التعريف بشكسبير)، وفي كتابه (ساعات بين الكتب)، وامتدح الرجل غير مرة، ووضعه في مصافِّ الكبراء والعلماء؛ لأنه أديب أريب له منزلة رفيعة ، وهكذا فعل حافظ إبراهيم حينما القىٰ قصيدة شعرية أمام المجمع العلمي بإنجلترا، بناءً علىٰ دعوة تلقاها من المجمع الذي أقام احتفالاً بذكرىٰ شكسبير لمرور ثلاثمائة عام علىٰ وفاته، فيقول حافظ :

يُحيِّيك من أرض الكنانة شاعر   شَغوف بقول العبقريين مُغرَمُ
ويطرِبُه في يوم ذكراك أنْ مَشَتْ   إليك موكُ القول عُرْبٌ وأَعْجُمُ

إلىٰ أن يقول :

فقل لبني التايمز والجمع حافلٌ   به يُنْثَرُ الدُّرُّ الثمين ويُنظَمُ
لئِنْ كان في خضمِ الأساطيل فخرُكم   لَفخرُكم بالشَّاعر الفردِ أعظمُ

ولقد نظم أحمد شوقي قصيدة في مدح شكسبير جاء فيها :

أعلىٰ الممالك ما كرسيه الماءُ   وما دعامته بالحق شمَّاءُ
ياجيرة (المنش) حلاكم أبوتكم   ما لم يطوق به الأبناء آباء

ثم يقول :

ما أنجبت مثل (شكسبير) حاضرةٌ   ولا نمت مِنْ كريمِ الطَّير غناء
نالت به وحدَهُ (إنكلترا) شرفاً   ما لم تنل بالنُّجوم الكُثْرِ جوزاءُ

لـم تكشـفِ النَّفسُ لـولاه ولا بـينت   لـها ســرائر لاتُحصىٰ وأهـــواءُ

وإن كانت في قصيدَتَيْ حافظ وشوقي مغالاةٌ في المدح إلا أن الشاعر أحمد زكي أبو شادي أمعن في الغلُوِّ عند مدحه لشكسبير، حيث قال :

عليك سلامُ الله ياشِبْه مَنْ أهوىٰ   فياحبذا لو كنت تسمع لي شكوىٰ

ثم ينتهي أبو شادي لجعل شكسبير في مصافِّ الأنبياء، بل أكثر، فيقول :

فــأنـت (النـبي) ومــا الأنـبياء   بـإحـسانهم غــير نفــح يضــوع

فـــلا بِـدْعَ إن أقـبـلوا رسـل حَجٍّ   إلــىٰ فـيلسـوف المنىٰ والوجـــود

فـيجتذب الخـلق مــن كـل فـجٍّ   كما يـمنح الخـلق عـطر الخـلود

وفي قصيدة أخرىٰ يقول :

كـأنك فـــرقـــانُ ديــنٍ جـديـدٍ   فـصان الفـضائلَ صـوناً وحـــامىٰ

ووحَّـــد أديـانَنَـا فـــي اعــتقاد   بإعـجازه وهـدىٰ مَـنْ تعـامـــىٰ

إن مثل هذه الأقوال وغيرها أضلَّتِ النَّاس عن حقيقة شكسبير، فظنوا أنه في كل أقواله وأعماله يدعو إلىٰ الخير والإصلاح، وماعلموا أن أعماله الأدبية مليئة بالفكر النصراني وفكر التنصير، طبقاً لحد عصره المفتقر لفكرة التسامح كما نراها في مسرحية (تاجر البندقية).

وبعد حصولي علىٰ شهادة الدكتوراة، توجه اهتمامي إلىٰ دراسة أدبية مقارنه، توضح علاقة الشرق بالغرب، وعلاقة الغرب بالإسلام فدرست الحروب الصليبية وما كتب عنها في الأدب الإنجليزي ، ودرست الاستشراق

وما كتبه أدباء الغرب عن الإسلام ، وسنحت لي الفرصة لأن أقدم في أحد المؤتمرات بحثاًعن ترجمة أعمال شكسبير في الأدب العربي ، وتقصيت ذلك في الدراسة التي نشرتها جامعة واريك بعنوان (ترجمة شكسبير في الأدب العربي : نظرة تاريخية) ومن خلال دراسة تلك الترجمات ، أشرت إلى تلك الترجمات التي قام ببعضها أفراد بمجرد اهتمام شخصي محض ، أو تلك التي قامت بها مؤسسات علمية مثل إدارة الثقافة بجامعة الدول العربية ، حين إشراف الدكتور طه حسين عليها ، حيث قام بعض من اساتذة الجامعات بترجمة جملة من مسرحيات شكسبير ، كما أشرت إلى ترجمات شكسبير ضمن سلسلة المسرح العالمي التي أصدرتها وزارة الإعلام في الكويت ، التي عملت على تكليف بعض المهتمين بترجمة الأعمال المسرحية العالمية ممن تناولوا ترجمة عدد من مسرحيات شكسبير .

ومن خلال دراسة مقدمات تلك الترجمات لم أجد فيها سوى التقديم الرفيع للعمل المسرحي المُتَرجَمِ لشكسبير ، وكمٍّ كبيرٍ من عبارات التقدير والتقديس والثناء لشكسبير في عبقريته وإتزانه بما قدمه من صور أدبية رائعة ، ونماذج بلاغية رفيعة .

وهكذا كنت أظن أن شكسبير يستحق ذلك الوابل الطيب من الثناء والمدح ، ولكن الأمر لم يدم طويلاً جداً ، إذ إنه من خلال دراسة عميقة عن صورة اليهود في مسرحيات شكسبير ، والشاعر الأديب العربي علي أحمد باكثير ، قمت بتأليف كتابي : (اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير :

دراسة مقارنة) ، واتضح لي من هذه الدراسة أن اليهود اعتبروا أن شكسبير معادٍ للسامية والساميين (العرق الذي ينتمي إليه اليهود، بل والعرب أيضاً). وعن هذا الأمر يتحدث هنري فورد في كتابه (اليهودي العالمي) مبيناً كيف أن اليهود في أمريكا منعوا تدريس مسرحية (تاجر البندقية) لشكسبير في أكثر من مائة وخمسين مدينة منذ عام ١٩٠٦م حيث إن هدف اليهود من وراء ذلك تغيير صورة اليهودي الجشع التي رسمها شكسبير في مسرحيته.

ومن خلال تدريس مسرحية (تاجر البندقية) لأكثر من مرة لطلاب الصف الرابع بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة أم القرىٰ تحسست خبايا الفكر النصراني لدىٰ شكسبير، ومدىٰ تأثير النصرانية علىٰ شكسبير وإحساسه بفوقيتها وعلوها علىٰ أي دين. ففي مسرحية (تاجر البندقية) نجد شكسير يصف اليهود واليهودية بأسوأ الأوصاف، وجعل خلاص ابنة شيلوك الفتاة جيسكا علىٰ يد محبوبها لورنزو النصراني من خلال إعتناقها النصرانية، لتتخلص من براثن اللعنه والذنب بسبب اليهودية دين أسلافها. والأكثر من ذلك نجد شكسبير يجعل ضمن حبكة مسرحيته في المشهد المتعلق بالمحاكمة بين شيلوك وأنطونيو أن من شروط العفو عن شيلوك أن يعتنق النصرانية، ليطهر قلبه ويخرج منه الشيطان والشرويرىٰ بعض النقاد أن مشهد المحاكمة ودعوة قاضي المحكمة لشيلوك اعتناق المسيحية ليطهر قلبه من الشيطان والشر ليس فيه دليل علىٰ فكر التنصير عند شكسبير وإنما الموقف يمثل مظهراً

فكاهياً لهدف (Motif) قصد به إمتاع المشاهد وإضحاكه من خلال التهكم والسخرية من شيلوك ودينه؛ لأن بعض القراء والمشاهدين وغيرهم لا يرمون أن يكونوا أفضل من شيلوك، ولربما كان شكسبير نفسه ليس أفضل من شيلوك، ولكننا نرىٰ كما سنبرهن علىٰ ذلك من خلال البحث أن شكسبير أورد هذا المشهد في المسرحية بصورة الإمتهان إتباعاً لمن سبقه من مفكرين وأدباء، ونظرتهم إلىٰ الأديان الأخرىٰ غير النصرانية في عصور سابقة.

هذه القرائن والدلائل أظهرت لدي الاتجاه التنصيري عند شكسبير، والذي تأكد لي من خلال الدراسة الواسعة والشاملة التي قمت بها حين تأليف كتابي: (**الإسلام في الأدب الإنجليزي**)، وبرصد ومتابعة ما كتب عن الإسلام في الأدب المسرحي إبان عصر النهضة - وهو عصر شكسبير - تبين لي أن شكسبير غمز النبي محمداً ﷺ في بعض مسرحياته، كما أنه أهان الإسلام والمسلمين في أكثر من مرة في أعماله المسرحية، وسنوضح فيما يأتي كيف تطور مصطلح ومفهوم الإسلام والمسلمين عند الغربيين منذ العصور الأولىٰ للأدب الإنجليزي، مروراً بالعصور الوسطىٰ والحروب الصليبية، وحتىٰ عصر النهضة، وماتلاه من عصور أخرىٰ، إلىٰ أن عرف الإسلام باسمه الصحيح، وأصبح يستخدم من قبل الكتاب والمفكرين والأدباء، وخصوصاً في عصرنا الحاضر.

وهذه الدراسة التي بين يدي القارئ تبحث عن جذور الفكر النصراني

في مسرحيات شكسبير، وهي تقع في خمسة أبواب ومقدمة وخاتمة.

فالباب الأول يلقي الضوء على مدى افتتان العرب والمسلمين بشكسبير، والغلو في مدحه والثناء عليه، رغم أنه أهان الإسلام والمسلمين ورسولهم ونبيهم محمد ﷺ، كما جاء في العديد من مسرحياته التي سنعرض لنماذج منها في ثنايا الباب الخامس من الدراسة، ونبين مدى غفلة المادحين لشكسبير عن حقيقة هذا المؤلف وفكره النصراني المعادي للإسلام والمسلمين. إن مدح المادحين هو المناسبة الحقيقية والسبب الرئيس لكتابة هذا البحث، الذي به نظهر للقارئ العربي، خصوصاً طلاب المدارس والجامعات من هو شكسبير الذي نمجِّدُه ونجلُّه كثيراً في الأدب العربي، على خلاف ماهو موقف الأدباء في بعض الآداب العالمية الأخرى.

وفي صورة موجزة يقدم الباب الثاني المكونات الأساسية للتراث الفكري في نشأة شكسبير، رغم بساطة تعليمه وثقافته، مع ذكر لنماذج وأمثلة للفكر الإغريقي والهيليني في مسرحيات شكسبير.

ثم يتبع الباب الثالث بعرض لنماذج عن الفكر النصراني ومظاهر النصرانية في مسرحيات شكسبير، والإشارات الإنجليية العميقة التي وردت في مسرحياته، والتي هي موروث الأدب الإنجليزي عموماً، ومكونات الفكر النصراني عند شكسبير وأسلافه وأخلافه من الأدباء.

وقبل تقديم صورة الإسلام في مسرحيات شكسبير، فإن الباب الرابع سيبين العلاقه بين النصرانية والإسلام، والذي يعد خلفية أساسية توضح

اتجاهات الأدباء الغربيين عموماً والإنجليز خصوصاً، في الكتابة عن الإسلام وهذا ما سيظهر في جملة النماذج التي كتبها شكسبير عن الإسلام، من خلال عرضها في الباب الخامس من الدراسة، وفيها يظهر فكر شكسبير النصراني باستعلاء وفوقية النصرانية على كل الأديان.

ولعل القارئ يجد في ثنايا الدراسة بعض الإطناب والإسهاب في سرد وقائع وأحداث تاريخية، وشواهد تتصل بالتراث اليوناني أو الروماني أو كليهما معاً، والحروب الصليبية، والأناجيل، وعلوم اللاهوت، والاستشراق وملامح من تاريخ الدولة العثمانية . . إلخ. إن ذلك كله يعد جزءاً من الموروث الفكري لدى كتاب الأدب الإنجليزي، وهي مصادر استقى منها الأدباء معلوماتهم التي كانت ركيزة لمكوناتهم الفكرية، ومنطلقاتهم التي أخرجوا منها إنتاجهم الأدبي، ففي الحديث عن النصرانية عند شكسبير لايتأتى ذلك دون الكلام عن الأناجيل، وبيان الإشارات الإنجيلية في مسرحيات شكسبير، وعند مناقشة موضوع العلاقات الدولية بين النصارى والمسلمين، لايمكن إغفال موضوع الحروب الصليبية وتاريخ الدولة العثمانية؛ لأن هذه الخلفيات والمقدمات التي نوردها في كل فصل تنير الطريق للقارئ عما يأتي من تعليقات واستشهادات لأقوال وردت في مسرحيات شكسبير.

إن هذه الدراسة بعنوانها الواضح، والأهداف التي تتطلع إلى تحقيقها لم نجد لها سبقاً لدى من كتب عن شكسبير، ولاتوضيحاً للرؤية الفكرية عند

هذا الكاتب في هذا الخصوص، وما تنطوي عليه من اتجاهات تنصيرية، ومع هذا، فإننا لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى بعض الكتب والدراسات التي تناولت دراسة مسرحيات شكسبير، وما تضمنته من الفكر النصراني، وما تدل عليه من تعمق هذا المؤلف المسرحي في النصرانية، واهتمامه بها في حياته وفكره، ومن هذه المؤلفات نذكر ما يلي :

١ ـ شكسبير : هل كان نصرانياً ؟

- K. Cosmopolite , Shakespeare : Was He A Christian 1862.

وفي هذا الكتاب ومن عنوانه الاستفهامي (شكسبير هل كان نصرانياً)؟ يدل على اهتمام مؤلفه بهذا الجانب في حياة شكسبير، ومكوناته الفكرية والعقدية. وفي هذا الكتاب انتهى المؤلف إلى التأكيد بقوله : « إنه يتضح جلياً أن كاتبنا الكبير (شكسبير) كان على دراية واسعة بديننا المقدس، وإلا فإنه كان من المتعذر عليه أن يعبر عن فكره المسيحي في كتاباته التي اتسمت لغتها بلغة الإنجيل.

٢ ـ الرب عند شكسبير :

- Cleia K. Prow , God in Shakespeare,1890 .

انتهت المؤلفه في كتابها (الرب عند شكسبير) إلى القول بأن شكسبير في أعماله الأدبيه ـ وعلى سبيل المثال في مسرحيتي (العاصفه) و (هاملت) ـ كان يرى نفسه أنه رجل الله، مثله في ذلك مثل المسيح.

٣ ـ المأساة الشكسبيرية فنها ومضامينها المسيحية :

Roy W. Battenhouse,
Shakespearean Tragedy:
Its Christian Premieses 1969.

أوضح المؤلف في كتابه هذا (المأساة الشكسبيريه : فنها ومضامينها المسيحيه) أن أهم مصادر الإلهام والزاد المعرفي لكتابات شكسبير كان الكتاب المقدس، الذي استفاد منه في تصوير شخصياته المأساويه ، على غرار ما هو موجود في الإنجيل ، وما صارت إليه حال بعض الشخصيات المذكوره في الإنجيل • وهذا يوضحه تصوير العلاقه بين شخصيه لوكري والملك لير Lucre and King Lear ، ونجد لذلك أمثلة كثيرة في مسرحيات (دقة بدقة)، أو (العين بالعين) Measure For Measure ومسرحية (يوليوس قيصر) Julius Ceasar ، وفي مسرحية (أنطونيو وكيلوباترا) Antony and Cleopatra

٤ـ شكسبير والكتاب المقدس :

- Thomas Carter , Shakespeare and Holy Scripture , 1905.

هذا الكتاب (شكسبير والكتاب المقدس) يلقي الضوء على الصلة الوثيقة بين كتابات شكسبير والإنجيل ، إذ يشير المؤلف إلى أن شكسبير مدين بالفضل في كتاباته إلى الكتاب المقدس لفظاً ومعنى ، أي في أسلوبه وفكره. والدليل على ذلك الاستشهادات الإنجيليه التي تخللت نصوص بعض مسرحياته، وكذلك الألفاظ الإنجيليه التي اتسمت بها لغته التي كتب بها مسرحياته .

وبالنسبة للدراسات الجادة التي فحصت مسرحيات شكسبير وما تضمنته من آراء عن الإسلام والمسلمين، يمكننا أن نشير إلىٰ ثلاثة مقالات كتبهما مفيد حوامدة، وهي:

"Allusion to Muhammad in Shakspeare.

"Shakespeare's Treatment of the Moor in Othello: An Oriental Perspective"

" The Treatment of the Turks in Shakespeare .

وهذه الأبحاث الثلاثة تناولت بصفة عامة نظرة شكسبير إلىٰ الإسلام والمسلمين، مع استشهادات من كتاباته لم تختص إظهار الفكر النصراني لدىٰ شكسبير كما هو الحال بالنسبة لدراستنا هذه.

وعلىٰ أية حال، فإن الكتب والمقالات التي أشرنا إليها فيما سبق، وجملة من المقالات والدراسات النقدية التي يضيق المجال عن حصرها هنا، (والتي رجعنا إليها في ثنايا البحث، وأدرجناها ضمن قائمة المصادر والمراجع) تبرز لنا ما كان لتأثير التربية الأولىٰ لشكسبير وتنشئته في أعماله الأدبيه وكتاباته المسرحيه، ولكن جملة ما كتب عن شكسبير، وتوضيح الجانب الفكري النصراني لديه كانت تنطلق من النظرة المسيحية الغربية، التي تعزز الافتخار بهذا الكاتب الغربي وتمسكه بالنصرانية، ولكن لم نجد في هذه الدراسات ما يشير - حتىٰ ولو إشارة عابرة - إلىٰ الأفكار التنصيرية لدىٰ شكسبير، والتي كانت الدافع وراء كتابتنا لهذا البحث.

ومامن شك، فإنني قد أفدت كثيراً من توجيهات وملحوظات

وتعليقات بعض الأساتذة الكرام، الذين تفضلوا بقراءة البحث، وإنني أقدم لهم عظيم شكري وامتناني، ومنهم الأستاذ الدكتور عبدالحكيم حسان عمر، أستاذ الأدب المقارن بجامعتي القاهرة وأم القرىٰ، والأستاذ الدكتور رضا حواري، أستاذ النقد والأدب الإنجليزي بجامعة الملك سعود، والأستاذ محمد لطفي الصباغ أستاذ علوم البلاغة والأدب العربي بجامعة الملك سعود، والدكتور علي أحمد الغامدي، الأستاذ المشارك بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود، والدكتور عبدالمنعم عبدالمجيد علي، عضو هيئة التدريس بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية للبنات بالقصيم، والأستاذ الدكتور سعد الهاشمي، أستاذ الدراسات الحديثية بكلية الدعوة بجامعة أم القرىٰ، والأستاذ الدكتور حسن الواركلي، أستاذ الأدب الإسباني والمقارن بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرىٰ، كما أنني أشكر الأخ الزميل الأستاذ توفيق بن عبدالعزيز السديري، الوكيل المساعد للشؤون الإسلامية، والأستاذ الدكتور المستشار جمال الدين محمود، كلاهما بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ولقد كان لآراء الأساتذة الأفاضل قيمة علمية أثرت الدراسة، برغم اختلاف وجهات النظر، فكانت بعض الآراء مؤيدة لما كتبت وبعضها مخالف.

أما الرأي المخالف، فقد تضمن جملة أمور، منها: أن دراسة موضوع فكري مثل التنصير لايمكن أن يجري في دراسة تتعلق بأدب خيالي،

والمعـروف أن أدبـاء الغـرب، ومنهـم أدباء الانجليـز منذ بدايات أدبهـم ومنذ عصر الشاعر كادموين Caedmon حتى اليوم لم يجعل التنصير ضمن الإطار الذي أوردناه في هذه الدراسـة عن شكسـبيـر، لذا فـلا يمكـن إثبـات ذلك والتـدليل عليه علمياً وموضوعياً، وإن حصل، فإن ذلك لايعدو عن كـونه رأياً فردياً، لأنه لايمكن دراسة مسرحيات شكسبير بصفتها أعمالاً أدبية من وضع الخيـال، ونحـمل الأديب مسؤولية مـايقـوله أشـخـاص المسرحيـات، ودورهم المرسوم لهم فنيـاً وأدبياً. بل يجب أن ننظر إلى أن شكسبير هو جزء صغير وصغير جداً من أدب، (هو الأدب الإنجليزي)، تمرس فيه ورعاه منذ الشاعـر كادمـوين وبعده كـثيرون حتى (Chaucer)، ومن جاء بعده، فكلهم جميعـاً ينهلون من نفس الثقـافة، ولهم نفس المواقـف، وإن انقطاع شكسبير وإسناد موضوع التنصير إلى مسرحياته، مع أنه لايفعل إلا كمـا يفعل أسلافه مما تعلمـوه، ليس فيه إنصـاف لما نسميه النقـد الأدبي المتجرد أو العادل، لأن ذنب شكسـبيـر كـذنب أهل أدبه منذ أن قـام ذلك الأدب، وذلـك لايعني أن الإنجليـز أنفسـهم - ومنهم أدباؤهم - كلهم منصـرون؛ لأن مـادتهم لا تختلف عما في أعمال شكسبير، ومادة شكسبير لاتختلف عما لديهم. وبالتالي فإن الاستنتـاج هو أن الإنجليـز والفـرنسيين والألمان، وكل من كتب في العـالم الغربي منذ القديم وحتى الآن، قد كـتبـوا في إطار التنصير الواعي كمـا يفـيد عنوان هذه الدراسة.

ومن الأمـور المخـالفـة الـتي جـاءت من بعض مـن قـرأ هذه الدراسـة:

التساؤل عن مدىٰ ما وصلت إليه من دليل أن شكسبير يعتقد في عقيدة التثليث، مع إثبات أن أدبه وكتاباته وشخصياته وتعابيره كلها ترجع إليه شخصياً، وأنه لايستخدمهاكمطية ومقاطع لبناء أدبه كما يظهر في مسرحياته وشعره، كما رأىٰ بعضهم أن تمجيد شكسبير لابد منه؛ لأن مسيحيته لا تنقص من قيمة أدبه وفنه، وإن أخطأ بعض من مجَّدوه، فلربما لأنهم لم يقرأوا نصوصه الأصلية، وأخذوا في تمجيد شكسبير وتعظيمه مما تناقلوه عن بعضهم بعضاً، وهم لم يفهموا شكسبير.

ومحصلة القول عند الذين انتقدوا هذه الدراسة، أن شكسبير كان عفوياً فيما كتب، ولم تكن لديه منطلقات دينية، فلا يصح إذن أن نحاسب شكسبير علىٰ مايقوله بمقتضىٰ دينه وفكره المسيحي؛ لأنه مسيحي الثقافة، ويكتب لجمهوره حسب الجو العام لذلك الجمهور وتراثه الثقافي، بل لا بد أن نعلم أن مايقوله شخوص مسرحيات شكسبير لا يحسب، بل ولايعبر عن رأي شكسبير، فتلك الأقوال تصدر عن الشخصيات، وليس لشكسبير فيها ناقة ولا جمل.

إن جملة هذه الآراء تأتي بصورة غير شعورية في الدفاع عن شكسبير مبنية علىٰ شيء من التسويغ والتعليل والمغالطة، فضلاً عن اعتماد بعض الأفكار النقدية التي تنادي بالضرورة الأدبية حيث إن الكاتب الروائي أو المسرحي ليس مسؤولاً عما يقوله أشخاص الرواية أو المسرحية إذ إن تلك الشخصيات قد تتعرض بالإساءة لأعيان المجتمع من الملوك والأمراء

والكبراء في صورة نقدية أو تهكمية فلا يحمل المؤلف تبعة ذلك. إن هذا مخرج أدبي يتستر خلفه النقاد للدفاع عن الأدباء وهو مجرد رأي تخالفه آراء أخرىٰ، ونقول لهؤلاء: لو أن كاتباً عربياً - ولانقول مسلماً - استتر خلف هذه الفكرة النقدية، وتعرض إلىٰ علية القوم وكبرائهم بالإساءة، هل يترك دون حساب؟.

ونقول أيضاً: إن العلاقة بين الأدب والدين علاقة وثيقة في الآداب الغربية منذ عصورها الأولىٰ حتىٰ قيام الثورة الصناعية في الغرب، التي فصلت بين الدين والأدب وبين الدين والدولة.. إلخ، مما يؤكد أن أدب شكسبير كان ذا صلة بالدين قبل قيام ثورة العلمانية ومظاهر الإلحاد والفكر المادي. وفكر الالتزام في الأدب تجعلنا نؤكد أن شكسبير كان ملتزماً بفكرة الولاء السياسي والديني التي تضمنها أدبه، فلا مجال للدفاع بأن شكسبير لم يكن يهدف إلىٰ ذلك، وأن أفكاره عن النصرانية والدين والفكر التنصيري جاءت في مسرحياته عفوية وليس لها بعد عقدي أو التزام أدبي. والأدب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي سابقاً ظهرت فيه روائع الإنتاج الأدبي لدىٰ تولستوي، وجوركي، وترجنيف، ودستوفسكي، وكجان مبنياً علىٰ الالتزام بالفكر الشيوعي. ولو أخذنا فكرة عدم الالتزام في الأدب كما ينادي بها دعاة نظرية الفن للفن، آو الأدب للأدب، والقول بأن الأدب أو الفن إنما يحكم عليه من ظاهره وشكله، مجرداً عن مضامينه، فهم (أي دعاة الفن للفن)، علمو أم لم يعلموا، متلزمون بفكر معين، وهو الالتزام

بالعبث والفوضىٰ، وهو حيلة من حيل الملتزمين برفض الالتزام بالخير والفضيلة والحق والإحسان . . الخ .

وأخيراً نقول: إن الإسلام أرحب صدراً في تقبل الأدب والفن مهما كانت عقيدة قائله ودينه مادام أنه ذا مضمون لا يتنافىٰ مع ما أمر الإسلام به، أو نهىٰ عنه، أو أذن به. والأدب وسيلة حيادية علىٰ اختلاف فنونه النثرية والشعرية ومابينهما. وتظهر سماحة الإسلام في هذا الصدد عندما سمع النبي ﷺ قصيدة لبيد اللامية وهي:

ألا كلُّ شيءٍ ماخلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيم لامحالةَ زائلُ
إذا المرءُ أسرىٰ ليلة ظنَّ أنَّه قضىٰ عملاً والمرءُ ماعاشَ آملُ
حبائِلُه مبثوثَةٌ بسبيلِهِ ويفنَىٰ إذا ما أخطأتْهُ الحبائلُ
فقولا له: إن كان يقسم أمره المأ يعظكَ الدهر ؟ أمُّك هابلُ
فإن أنت لم تصدِمْكُ نفسُك فانتَسِب لعلَّك تهديك القرونُ الأوائِلُ
فإن لم تجد مِنْ دون عدنانَ والداً ودون معدٍّ فلتزعك العواذِلُ
وكل امرئ يوماً سيَعْلَم سعيَه إذا كشفت عندَ الإله المحاصلُ

لقد طربت نفس النبي الكريم ﷺ، فقال ـ ومايَنطق عن الهوىٰ ـ: «أصدقُ كلمة قالها الشاعرُ كلمة لبيد: ألا كل شيء ماخلا اللّه باطل» وقد أورده الإمام البخاري رحمه اللّه تعالىٰ في كتاب الأدب تحت باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء ومايكره منه، كما أن الحديث ورد في كثير من كتب الصحاح والسنن، فقد رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد،

رحمهم الله تعالىٰ .

وهذا يؤكد أهمية المضمون والفكر ، فالأدب ذو المضمون الذي يتفق مع هدىٰ الإسلام، هو أدب مقبول في الإسلام، والعكس صحيح ، فإذا كان هناك أدب قائله مسلم ومنهج صياغته ومضمونه الفكري يتنافىٰ مع الإسلام وآدابه وشرائعه ، فهو مرفوض وقائله يبقىٰ مسلماً ، حاله حال المسلم الذي يقترف ذنباً أو إثماً ، فهو بذنبه لايخرج من دائرة الإسلام ، ولكن فعله يظل عملاً غير إسلامي ، فالزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن ، والسارق لايسرق حين يسرق وهو مؤمن ، وقياساً ، فالأديب الذي يقول كذباً لا يقوله وهو مؤمن .

ولننظر إلىٰ هدي النبي ﷺ عند ما سمع شعر أمية بن أبي الصلت ، ولم يكن أمية مسلماً ، فقد أورد الإمام مسلم رحمه اللّه تعالىٰ في صحيحه «كتاب الشعر» عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه ، قال : ردفت رسول اللّه ﷺ ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قال : هيه ، فأنشدته بيتاً ، فقال هيه ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال هيه حتىٰ أنشدته مائة بيت ، فقال رسول اللّه ﷺ : «إن كاد ليسلم» ، وفي رواية قال عليه السلام : «فلقد كاد يسلم في شعره» .

هذا يوضح أن للمسلمين أسوة حسنة في رسول اللّه ﷺ ، إذ امتدح شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو علىٰ غير دين الإسلام ، ولوكان حال شكسبير في أدبه وشعره كما كان أمية ، لما وسعنا إلا أن نقرَّ بالخير في ذلك

الأدب تأسياً به ﷺ، وإن لم يكن شكسبير على دين الإسلام، وبالمثل فإننا نذم شكسبير إذا كان قد أساء إلى الإسلام والمسلمين، لا لأنه مسيحي، بل لأنه تعرَّض لغيره من أهل الأديان المخالفة بسوء، وهذا أيضاً يأتي من هديه ﷺ عند قوله لحسان بن ثابت رضي اللّه عنه: «اهجُهم وروح القدس معك»، أي يهجو المشركين أعداء اللّه ورسوله، ونظن في هذا ما يكفي لإظهار موقفنا في إعداد هذه الدراسة.

نسأل المولى العلي القدير أن ينفع بهذا العمل أبناء الإسلام والمسلمين، وأن يبصرهم بحقيقة أعداء الله، وأعداء رسوله ﷺ، وأعداء عباد الله الصالحين، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وندعوه جل وعلا أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون مفتاح خير وفلاح ونجاح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور/ عدنان محمد عبد العزيز وزان

أستاذ الأدب الإنجليزي والأدب المقارن بجامعة أم القرى

وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الباب الأول

شكسبير في الأدب العربي



شكسبير في الأدب العربي

هذا الجزء من الدراسة يتحدث عن شكسبير في الأدب العربي (شعراً ونثراً ونقداً)، وهذا هو الباعث الرئيس لكتابة هذا البحث، ورأينا من المناسب أن نعرض بصورة موجزة عن مكانة شكسبير في الآداب العالمية، مقارنة عند العرض النقدي الموسع لصور الإفتتان عند النقاد والأدباء العرب والمسلمين بشكسبير، والغلو في تمجيده، بالرغم من إساءته إلىٰ الإسلام والمسلمين، وإلىٰ النبي محمد ﷺ، كما أن هذا الباب تضمن تمهيداً لإظهار فساد هذا التمجيد، وأنه لا يقوم علىٰ حق، بل علىٰ اتباع وتقليد وابتداع .

إن عالمية أديب ما لا تقوم علىٰ التحيز والمحاباة ، ولكنها تقوم علىٰ حكم كثير من القضاة (النقاد) الذين يحكمون علىٰ عالمية ذلك الأديب مفترقين غير مجتمعين، فتجمع تلك الأحكام وتفند وتنقد، وبعد ذلك تعرف هذه الأحكام فإن كان فيها رأي غالب جامع، عُدَّ ذلك الأديب من أدباء العالم، بحيث لا تنحصر شهرة هذا الكاتب في أدب أمته بل يتعدىٰ ذلك ليشمل آداب الأمم الأخرىٰ، ويفضل علىٰ أعمدة الأدب القومي، وعرف الكاتب بعالميته .

وبالرغم من أن الشهرة العالمية لم تتولد لوليم شكسبير بسرعة ، حيث مضىٰ ما يزيد عن مائة عام قبل أن يعرف شكسبير خارج حدود موطنه

الأصلي في إنجلترا ، فالمعروف أن شكسبير ولد في بلدة من بلاد الريف الإنجليزي لأسرة عادية ، لا تنتمي إلىٰ عراقة أصل يوفر لها من أسباب النعيم الموروث الشهرة والصيت . لقد ولد شكسبير في غير ضجة أو إثارة ، لم تُحط مولدَه مراسمُ الولادة عند الكبراء والأمراء ، ثم عاش عيشة بسيطة ، تلقَّىٰ خلالها مبادئ في العلوم والمعرفة ، ولم يكمل تعليمه بسبب الضائقة التي عاشتها عائلته ، ولقد ذاق شكسبير مرارة العيش وقسوة الزمن ، وهو بعدُ حدث لم ينضج . ويذكر بعض النقاد أن الكثير لم يكن يعرف عن حياة شكسبير ، ولا عن عبقريته الفذة ، ولم يصل من كتابة يده صفحة لرسالة ضمن مجموعة رسائل له أو مذكرة ضمن مجموعة مذكرات له [١] .

وذيوع صيت شكسبير في الدنيا مكان خلاف وجدل بين النقاد ، فيسأل سائل : هل كان شكسبير عبقرياً حقاً ، أم كان مجرد إنسان عادي محدود الثقافة مغموراً ؟ وهل كتب شكسبير نفسه إنتاجه الأدبي شعراً ومسرحاً ؟ مائة وأربع وخمسون سونتيه (Sonnets) اسم فني أو مستعار باسم «شكسبير»؟ من هذا المنطلق يرىٰ بعض النقاد أن الأديب والكاتب الإنجليزي الشهير فرانسيس بيكون قد يكون هو شكسبير الحقيقي ، ويرىٰ بعضهم أن كريستوفر مارلو أو وليم ستانلي قد يكون شكسبير [٢] .

(١) إلياس فياض طراد ، تاريخ العرب والعالم ، ١٢١ ـ ١٢٢ تشرين الثاني ـ كانون الأول ، ١٩٨٨م ، ص٣٧ .

(٢) المرجع السابق .

ومثار هذا الخلاف عند هؤلاء النقاد يرجع إلىٰ سببين رئيسين ، أحدهما : أن مسرحيات شكسبير تحتوي علىٰ فقرات ومعلومات ومفردات وعبارات تنبىء عن موسوعية علمية في ثقافة كاتبها ، ودرايته بالفلسفة والقانون مما لا يمكن أن يعزىٰ إلىٰ شكسبير كما يظهر في ترجمة حياته . وثانيهما : أن المسرحيات التي كتبها شكسبير تضم مشاهد وأبياتاً تدل علىٰ أن مؤلفها أرستقراطي النزعه والنشأة ، وأصحاب هذا الرأي يعتقدون « أنه من العار ، بل من الحرام علىٰ رأيهم ، أن تنشأ العبقرية في الأكواخ ، وأنه لمن الشائن المزري إذن أن تعزىٰ هذه الروايات علىٰ ما فيها من روعة وجلال إلىٰ شكسبير العامي القروي »[1] .

والفريق الآخر من النقاد من أنصار شكسبير يرون أن حياة شكسبير ليست محاطة بالإبهام والغموض ، وأن اتصاله بالمسرح والعمل المسرحي وفن التمثيل ، وانشغاله به عرضاً وتأليفاً ، يدل علىٰ إلمام شكسبير بفن المسرح ودقائقه ، وثمة من يقول : إن « الشهرة أثمن المقتنيات ، فلا تنال عفواً ، ولا يشتهر أحد في مطلب من المطالب إلا وفي طبعه وأحواله ووسائله ما ينيله هذه الشهرة ، والشعراء أرباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح ، يجب أن يكونوا في بلاد كثرت نجادها ووهادها وأنهارها وغدرانها وسهولها

---

(١) جريس القسوس ، هل ألف شكسبير رواياته ، الرسالة ، العدد ١١٦ ، ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ ، ص ١٥٤١ .

ووعورها ورياضها وغياضها، كالشام وسويسرا وفرنسا وإنجلترا، وبعض جهات اليمن ونجد ، وأن يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة، وأخبار الأمم، ومواقع الحروب، وسياسات الدول، وأساليب الحكام ، ويتضلعوا مما أنشأه أرباب الكلام وناظمو جواهر المعاني، من نحو العبرانيين والمصريين والأشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود، وغيرهم من أمم المشرق والمغرب . فإذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل، وكان بالفطرة الموروثة ميالاً إلى ابتكار المعاني، ونظم القريض، سُهلَ عليه التبريز على الأقران، والاستيلاء على العقول، وكان شكسبير من هذا القبيل »[١].

والمطَّلع على فهرست المترجمات في المكتبة البريطانية (مكتبة المتحف البريطاني)، وفهارس كبريات المكتبات العالمية الأخرى؛ مثل الكونجرس في الولايات المتحدة الامريكية ، والأسكوريال في إسبانيا . . إلخ، وفيها مترجمات أعمال شكسبير في لغات آداب الأمم، يستطيع أن يحكم من خلال طول تلك القوائم في الفهارس وتنوعها وتعددها، ما امتاز به شكسبير من عالمية في آداب الأمم ، فلقد تُرجِمَت أعمال شكسبير إلى لغات غربية ولغات شرقية؛ فقد ترجمت أعماله مراراً إلى الفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والهولندية، وإلى لغات الشمال في الدول الإسكندنافية (الدنماركية، والنروجية ، والسويدية ، والفنلندية)، وإلى

---

(١) حسين لبيب ، المقتطف، المجلد ٧١، الجزء الرابع، ديسمبر ١٩٢٧م ، ص ٣٨٩ .

لغات أوروبا الشرقية المجرية والبولونية والروسية ، وفي اللغات الشرقية ترجمت مسرحيات شكسبير إلى العربية والفارسية والعبرية والتركية والأوردية والصينية واليابانية . . إلخ[١].

كما أن عالميَّة شكسبير تتجلى في تنويه واهتمام كتاب ونقاد وأدباء الآداب العالمية بمكانة هذا المؤلف ، وربما تفضيله على أعلام الفن والأدب في آدابهم . وفي هذا السياق نورد جملة من آراء الكتاب الغربيين عن شكسبير ، فهيجو يفضل الفن الحديث على الفن اليوناني الذي يُظهر «النشوز النافر » من حسابه ، ولا يلقي بالاً إلى علاقته مع الروعة والجلال ، بينما أصحاب الفن الحديث ، (وفي مقدمتهم شكسبير) ماهرون في تداخل كلا الجانبين ؛ إذ يتسرب في غمار الآخر فيصبح الجليل نافراً ، والنافر جليلاً . ولكن فولتير يناقض رأي هيجو فيرى أن شكسبير محروم من الفن والنسق[٢]. أما الأدباء الألمان أمثال جوته ، وشليجل ، وليسنغ ، وهردر ، الذين جعلتهم ألمانيا رموز فخر وطني لها نجدهم أكثر إعجاباً بشكسبير ، ويرونه ترجمان الطبيعة التي تتكلم بألسنة كثيرة ، ويمكن ذكر أحد أشهر الكتب النقدية التي ظهرت في الألمانية في القرن التاسع عشر عام ١٨٧١م بعنوان Shakespeare - Studien ، وتتحدث عن شكسبير ومكانته وفنه[٣] . وفي

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٢) انظر : Sir Paul Harvey & J.E. Heseltine, The Oxford Companion to French Literature Oxford,1969, P.P. 379-383 .

(٣) انظر : Henry & Mary Garland, The Oxford Companion to German =

الأدب الإيطالي يرىٰ بنديتوكروتشه أن شكسبير أديب عبقري عالمي، لا يحده زمان أو مكان[١]. وهكذا موقف كثير من الأدباء والنقاد والكتاب في أمريكا ودول شمال أوروبا ودول الشرق الأقصىٰ في الصين واليابان وغيرهما.

لقد انتقد تولستوي شكسبير كثيراً، وأبان بأنه لا يتذوق مسرحياته، ولا يعجب بها، ولا يدري سر تعظيمه والافتتان بأدبه الذي لا يرىٰ فيه عمقاً، أو أصالة جوهر، أو قداسة مظهرٍ، ومع هذه الصراحة عند تولستوي فإن جمهرة الروس من أدباء وقراء يميلون إلىٰ رأي إيفان ترجينيف، الذي يعظم شكسبير ويمجده[٢]. وعموماً فإن روسيا وألمانيا وفرنسا هي الدول الأوروبية الكبرىٰ التي كانت تنافس إنجلترا في السيادة علىٰ القارة خلال القرن الذي استفاضت فيه لشكسبير شهرة عالمية أو شهرة أوروبية، وشأنها فيما نحن بصدده أن العناية بالشاعر الغريب أدل علىٰ استقلال الفكرة الإنسانية، أو استقلال العبقرية في عالم الفكر »[٣].

وكما وصل شكسبير إلىٰ الأمم الغربية ولغاتها وآدابها، وصل إلىٰ الأمم الشرقية مع قيام المسرح الحديث، فكان طلاب المدارس في مراحل التعليم الثانوي يدرسون شكسبير في جميع البلاد التي تدرس فيها اللغة الإنجليزية

= Literature, Oxford, 1976, PP. 797 - 798.

(١) عباس محمود العقاد، التعريف بشكسبير، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨، ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٥.

لغة ثانية أو لغة أجنبية؛ مثل مصر والسودان والهند.. إلخ.

لقد ظهر الاهتمام بشكسبير في العالم العربي عن طريق أقسام اللغة الإنجليزية في الجامعات العربية، فكان من الطبيعي أن تخصص برامج الدراسة عدداً من مسرحيات شكسبير لتدريسها للطلاب في المرحلة الجامعية، وما يمتد بعد ذلك إلى تخصيص دراسات علمية في الأطروحات التي تُجاز لدرجتَي الماجستير والدكتوراة في مرحلة الدراسات العليا بالجامعات.

ولّما كانت شهرة شكسبير ذائعة في الأوساط الأدبية والعلمية، وبدأت بعض طبقات الشعب ممن لا يجيدون قراءته وفهمه بالإنجليزية، ترغب في التعرّف على أعماله، فقد ظهرت الحاجة إلى ترجمة شكسبير للقراء من ناحية، وللاستفادة في تطوير الفن المسرحي في الأدب العربي، ومعرفة مكوّنات المسرحية، سواء كانت ملهاة، أو مأساة أو مسرحية تاريخية، وما فيها من عناصر تتألف منها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الترجمات الأولى لبعض أعمال شكسبير إلى العربية كانت نقلاً عن الترجمات الفرنسية، إلا أنّه في العقد الأول من القرن العشرين ظهر الاهتمام بترجمة أعمال شكسبير من الإنجليزية مباشرة، عندما ظهرت ثُلّة من الأدباء والكتّاب ممن تعلّموا اللغة الإنجليزية وآدابها في المدارس والمعاهد العُليا، وفي الجامعة المصرية بمصر آنذاك وغيرها، واستطاعت هذه الطائفة من الأدباء (التي أطلق عليها اسم طبقة

المدرسة الإنجليزية) أن تنقل محاسن الإنجليزية، وتترجم أعمال شكسبير إلىٰ اللغة العربية بصورة أفضل من الترجمات التي نقلت عن اللغة الفرنسية، ومن هؤلاء الكتّاب والنقّاد نذكر محمد السباعي ، وإبراهيم المازني، ومحمد فريد أبو حديد، وعلي أحمد باكثير . ولقد أثّر اتجاه روّاد طبقة أدباء المدرسة الإنجليزية العرب في الكثير من الناس للاطلاع علىٰ الأدب الإنجليزي عامة، وأدب شكسبير خاصة، الذي يصور شخصياته خارج حدود القومية ، فهاملت مثلاً أمير من أمراء القرون الوسطىٰ ولكن الذي يعني القارئ منه في مسرحية شكسبير هو الشخصية الإنسانية التي تمثل فيه ، ويمكن أن تتكرّر هذه الشخصية في كل زمان، وعند كل أمة من الأمم بذلك المزاج وتلك الطبيعة ، وفي وِسع القارئ أن ينسىٰ أن هاملت أمير ، وأنّه من أمم الشمال، إذا تدبّر همومه وأحزانه ونجوىٰ ضميره ودوافع سخطه ورضائه ، فهو صورة إنسانية مستمدة من بنية الحياة، غير مرتبطة بزمان أو مكان، بل منحصرة بمزاجٍ إنساني معّين ، ومردّ ذلك بالنسبة لأدب شكسبير هو التعبير الأدبي القوي المبرّأ من تصنع العاطفة، وهكذا يجيء الاهتمام بترجمة أعمال شكسبير إلىٰ الأدب العربي لروعتها الأدبية ولتعبيرها عن العواطف الإنسانية في مختلف الأزمنة والأمكنة ، مما يظهر معه علاقة شكسبير بالأدب العربي في المقام الأوّل كبقية الآداب الأخرىٰ.

وقد حاولت مجموعة من الكُتّاب المحافظة علىٰ ترجمة بعض مسرحيات شكسبير مع الإبقاء علىٰ الأصل بالقَدر المستطاع ، وبذلت لذلك

جهداً كبيراً في سبيل نقل روح النصوص المترجمة إلى لغتنا، بحيث يفهمها قُرّاء هذه اللغة، ويحسُّون بها إحساساً صادقاً كما يفهمها ويحسُّ بها أبناء اللغة الإنجليزية .

كما أفادت الترجمة إلى العربيةِ من الأدب الإنجليزي عامة ، ومسرحيات شكسبير خاصة ، في توضيح المقاييس الأدبية ومعرفة النظرة السليمة إلى الفن المسرحي والشعور بالحياة في هذا المجال الذي استفاد منه شكسبير نفسه من خلال ممارسته للعمل المسرحي منذ أن كان سايساً في مسارح لندن ، وكل ذلك مبني على القاعدة العامة للنقد الأدبي التي قال بها أرسطو في حديثه عن التقليد والمحاكاة Memesis، معارضاً فكرة أستاذه أفلاطون ، في أن التقليد ليس بالضرورة ، وإنما المحاكاة تقوم على التصوير للأصل المقلّد .

وبدأ العربي بتمثيل مسرحيات شكسبير في مصر عام ١٩٠٣م، وذلك عندما عرضت مسرحية (مكبث) لأول مرة على مسرح حديقة الأزبكية[١] . وتظهر علاقة شكسبير بالأدب العربي أيضاً عندما زارت إحدى الفرق المسرحية الإنجليزية مصر للاحتفال بمرور ثلاثة قرون على وفاة شكسبير ، وهي فرقة شكسبير الإنجليزية التي جاءت لتعرض بعض مسرحيات شكسبير بين عامي ١٩٢٧م و ١٩٢٨م، خصوصاً أمام أنظار الجالية البريطانية المقيمة

---

(١) أمين بكير ، وليم شكسبير مسرحه كل الدنيا ، الفيصل ، العدد ٢٠٤ ، جمادي الآخرة ١٤١٤هـ ، ص ١١٢ .

في القاهرة وأمام طلاب ومدرّسي الجامعة المصرية المتخّصصين في الأدب الإنجليزي وبعض الأدباء والنقّاد المجيدين للغة الإنجليزية وآدابها والمطّلعين على مسرحيات شكسبير . وقد قدمت هذه الفرقة بعضاً من روائع شكسبير المسرحية (١) .

ثم إن ترجمة أعمال شكسبير من قبل عددٍ لا بأس به من النقّاد والمترجمين العرب ـ تمت أولاً ـ بمجهودات فردية ثم أصبحت تحت إشراف هيئات علمية دلت على اهتمام العرب بشكسبير ، وأهميته في الأدب العربي . ونذكر بعض المحاولات الفردية لترجمة شكسبير ، مثل التي قام بها كل من نجيب حداد ، وباكثير ، وكلاهما ترجم « روميو وجولييت » ، كما ترجم محمّد عفّت مسرحية «العاصفة » ومسرحية « مكبث » ، وقام عبد اللطيف محمد بترجمة «أحلام العاشقين» ، أو «خاب سعي العشاق» ، كما حظيت مأساة «عطيل » بترجمات متعددة منها ترجمة خليل مطران ، وترجمة طانيوس عبده ، وغيرهما ، بعد كل هذه الترجمات الفردية ، تبنّت الإدارة الثقافية بجامعة الدّول العربية ترجمة عدد كبير من أعمال شكسبير قام بترجماتها نخبة من أساتذة الجامعات ، ومشاهير النقّاد والكتّاب العرب ، وقد ظهرت هذه الترجمات تحت إشراف طه حسين كما أنّه في أواخر الستّينات من هذا القرن تولّت وزارة الإعلام الكويتية مشروعاً ضخماً في

---

(١) انظر : Ramses Awad , Shakespeare in Egypt, Arab Centre For Research,Cairo, 1980, PP. 7-8 .

ترجمة لروائع المسرحيات العالمية في الآداب المختلفة انتهى الأمر بترجمة ما يزيد عن عشر مسرحيات لشكسبير، ومئات المسرحيات من كتاب المسرح العالميين.

هذا ما يخصّ جانب الترجمة، أما ما يخصّ عرض مسرحيات شكسبير في صورتها المترجمة، وتمثيلها في البلاد العربية فنذكر على سبيل المثال ما قامت به وزارة المعارف المصرية من تمويل ترجمة بعض مسرحيات شكسبير، وعرضها على خشبة المسرح خلال عام ١٩٣٧م وتقديمها لطلاب المدارس.

كل هذا يبيّن الاهتمام بشكسبير، إمّا من ناحية الترجمة أو من ناحية تدريسه بالجامعات، أومِنْ ناحية تمثيل مسرحياته بالمدارس والجامعات، وتدل كل هذه الأمور على مدى الاهتمام بشكسبير في الوطن العربي حتى إن بعض العرب ذهبوا إلى القول بأن شكسبير كاتب من أصل عربي اسمه الشيخ زبير[١].

وقد يكون الأمر شاقاً وعسيراً في اتفاق وجهات النظر في استحسان مزايا كاتب ما مع كثرة المعايير والموازين النقدية وتعدد آراء النقاد وتباينها، وهذا الأمر ينطبق على مشاهير الأدباء والكتاب وإن عرفوا بعالميتهم، فنعرفهم من الأفكار كما نعرفهم من الإعجاب، ولكن المسألة قد لا تكون

---

(١) انظر: Adnan M . Wazzan, Translating Shakespeare in Arabic Liteiature : An historical Outlook, University of Warwick, Warick,1987,PP. 18-20.

كذلك إذا كانت افكار الكاتب أو الأديب تتسم بالانحياز، وعدم التجرد والعمد المقصود في الإساءة إلىٰ معتقدات أمة من الأمم، أو دين من الأديان كما فعل شكسبير حال كتابته عن الإسلام في ثنايا العديد من مسرحياته، ومع هذا، فقد خدع أناس كثيرٌ بهذا الكاتب نتيجة تلك العالميه التي كسبها في الأوساط الأدبية وخصوصاً من العرب المسلمين كما سنعرض إلىٰ نماذج من رؤاهم وآرائهم[1].

ولننظر إلىٰ قصيدة بعنوان « شكسبير » لأمير الشعراء أحمد شوقي وما فيها من مديح وثناء وتمجيد وإجلال، بل ومغالاة وغلوٍّ إذ يقول :

أعلَىٰ الممالك ما كرسيُّه الماءُ وما دِعامتُه بالحق شمَّاءُ

إن عبارة «أعلىٰ الممالك ما كرسيه الماء» تذكر القارئ بقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[2]، وهي صفةٌ وصَفَ اللهُ جل جلاله بها عرشَه العظيم وحده، فلم يكن بها من اللائق أن يوصف به عرش أي ملك من ملوك الأرض وإن كان مسلماً، فضلاً عن أن يكون كافراً ففي ذلك تقديس للأشخاص يظهر الشطط والشطح في مديح شكسبير، ويستطرد شوقي، فيقول :

---

(١) رأينا من المناسب تضمين هذا الجزء من الدراسة أكبر قدر من قصائد الشعراء، وعلىٰ الأخص قصائد أحمد زكي أبوشادي التي تعب الباحث في العثور عليها، حيث إنها طبعت منذ زمن بعيد في كتيب صغير غير متوفر في دواوينه المشهورة ويندر العثور عليه بسهولة ويسر، وفي ذلك تعميم للفائدة.

(٢) سورة هود، آية: ٧ .

ياجــيرةَ (المنشِ) حلاّكم أبُوّتُــم ... مــا لـم يُطَــوّقْ به الأبْــنــاءَ آبــاءُ
مُلكٌ يطاول ملك الشمس، عزّتُـه ... فــي الغرب باذخةٌ في الشرق قَعْسَاءُ
تأوي الحـقيقةُ مـنـه والحقوق إلىٰ ... رُكــنٍ بَنَــاهُ مــن الأخــلاق بنّــاءُ
أعــلاه بالنظــرِ العــالي ونطّقــه ... بحــائط الــرأي أشـيــاخٌ أجِــلاءُ
وحَــاطَهُ بالقنــا : فِتيــانُ مملكــة ... في السلم زَهرُ رُبي، في الروع أرزاء
يستصرخون ويُرجىٰ فضلُ نجدتِهم ... كـأنهم عربٌ في الدهــر عَرْبــــاء
ودولةٌ لا يراهــا الظـنُّ من سَعــةٍ ... ولا وراءَ مـــداهــا فــيــه عليــاءُ
عـصماءُ لا سببُ الـرحمنِ مُطّرحٌ ... فــيها، ولا رَحــِمُ الإنســانِ قــطعاء
تلك (الجـزائر) كــانت تحتَهم رُكُنا ... وراءهــنه لباغــي الصــيدِ عــَنْقــاءُ

*****

وكــان وُدُّهـــُمُ الصافي ونُصرتُهم ... للمسلمين وراعـيهـم كــما شــاؤوا
دستورُهم عجبُ الدنيا وشاعرُهم ... يــدٌ عــلىٰ خــلقــهِ للّه بــيضــاءُ
ما أنجبتْ مثل (شكسبير) حاضرةٌ ... ولا نمـــتْ مــن كـريم الطـير غــنّاءُ
نــالت وحــدَه (إنكلــترا) شـرفاً ... مــالم تنلْ بالنجــوم الكـُثْر جــوْزاءُ
لم تُكشف النفس لولاه ولا بُليت ... لهــا ســـرائر لا تُحصــىٰ وأهــواءُ

إنني أقول جدلاً : إن شوقي لم يفهم، ولم يتقن قراءة شكسبير، فبنات الشعر لاتكون كالآتي، وبنت شعر شوقي لا تريناه كالمرآة بنات شعر شكسبير لكي نقول إنه يفهم(أي شوقي) مايقول، حيث كتب عن شعر شكسبير قائلاً :

شِعرٌ من النسَق الأعلىٰ يُؤيّدُه من جانب الله إلهامٌ وإيحاء
من كل بَيْت كآيِ اللّه تسكُنُه حقيقةٌ من خيالِ الشّعرِ غرّاء
وكلّ معنىٰ كعيسىٰ في محَاسنه جاءتْ به من بناتِ الشعر عَذراءُ
أو قصةٍ ككتابِ الدهرِ جامعةٍ كلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهماَ تُمَثّلْ ترَىٰ الدنيا ممّثلةً أو تُتْلَ، فهي من الإنجيل أجْزاءُ

إن جملة الأبيات التي تبدأ بقول الشاعر: « ما أنجبت مثل شكسبير حاضرة » إلخ فيها تجاوز لحدود المديح والثناء المقبول المعقول، وفي هذا التجاوز شطط غريب، حيث يرىٰ الشاعر أنه لولا شكسبير لم تكشف سرائر النفس ومكوناتها، (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وهذا الإطراء البالغُ جانب فيه الشاعر الحق وجافاه. والشاعر لم يقف عند هذا الحد بل ذهب ليشبه أبيات شكسبير الشعريه، - (وهي من شيطان شعره) - ومعانيها بعبد الله ورسوله عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وما جاء به من آيات في الإنجيل بوحي من عند المولىٰ سبحانه وتعالىٰ. ولقد تاه خيال الشاعر في نشوة المبالغة والمديح بما سوَّل له الشيطان من تعظيم شكسبير وجعل شعره في مصاف الآيات المنزلة. ألم يعلم قول الله تعالىٰ: ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾** ﴾[1].

(١) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ .

ويستمر شوقي في وصفه لشكسبير قائلاً:

ياصاحبَ العُصُر الخالي ألا خَبَرٌ عن عالَمِ الموتِ يرويه الألِبّاء
أما الحياةُ فأمرٌ قد وصفتَ لنا فهل لماَ بعدُ تمثيلٌ وإدناءُ
بمن أماتك قل لي: كيف جُمجمة غبراءُ في ظُلمات الأرض جَوفْاءُ
كانتْ سماءَ بيانٍ غير مُقْلِعة شُؤبوبها عَسَلٌ صافٍ وصَهباءُ
فأصبَحَت كأصيصٍ غير مُفتقدٍ جفضنُه ريحانٌ للشعر فَيْحاءُ
وكيف بات لِسَانٌ لم يدع غرضاً ولم تَفتْهُ مِنَ الباغين عوراء
عفا فأمسَىٰ عقربٍ بَلِيت وسُمُّها في عروقِ الظلم مشّاء
وما الذي صنعتْ أيدي البلىٰ بِيَد لها إلىٰ الغيب بالأقلام إيماءُ؟
في كلّ أُنمُلةٍ منها إذا انبجست برقٌ ورَعدٌ وأرواحٌ وأنواءُ
أمستْ من الدُّود مثل الدُّود في جَدَث قُفّازُها فيه حَصباء وبُوغاءُ
وأيْنَ تحت الثرىٰ قلبٌ جَوَانبه كأنهنّ لوادي الحق أرْجاءُ؟
تصْغىٰ إلىٰ دَقّه أُذْنُ البيان كما إلىٰ النواقيس للرُّهبانِ إصْغاءُ
لئن تمشىٰ البِلىٰ تحتَ التراب به لا يُوكل الليث إلا وهْو أشلاء

*****

والناسُ صِنفان موتىٰ في حَياتهم وآخرُون ببطنِ الأرض أحْياءُ
تأبَىٰ المواهبُ فالأحياءُ بينهُم لا يستَوون ولا الأمواتُ أكفاء
يا واصِفَ الدّمِ يجري هاهنا وهُنا قُمِ انظرِ الدمَ، فهْو اليومَ دَأماءُ
لامُوكَ في جعْلكَ الإنسانَ ذِئبَ دم واليومَ تبدو لهم من ذاك أشياءُ

وقيـل أكـثرَ ذِكـرَ القـتل ، ثم أتـوا   مـا لم تَسعْـه خَـيالاتٌ وأنبـاء
كـانوا الذئـابَ وكـان الجهـل دُاءَهُمو   واليومَ عِلمُهُمُ الراقـي هـو الـداء
لؤمُ الحـياة مَـشىٰ فـي الناس قاطبة   كما مَـشَىٰ آدمُ فـيـهم وحَـواء
قـمْ أيِّدِ الحـقّ فـي الدنيـا أليس لـه   كتيبة منكَ تحت الأرضِ خَرْساءُ؟
وأيـن صـوتٌ تَميـدُ الرَّاسيـاتُ لـه   كـمـا تمايـدَ يـومَ النـار سَينـاء
أيتـركُ الأرض جـانوها وليس بـهـا   صحيـفةٌ منك في الجانين سـوداء
تـأوي إليـها الأيَامَـىٰ فـهْـي تعزيَةٌ   ويَستريحُ اليتامَـىٰ فهْي تأسَاءُ[1]

وبالنظر في قصيدة شوقي نجد المديح الذي امتلأ بالتعظيم والتقدير والإجلال وهكذا فعل شاعر النيل حافظ إبراهيم في قصيدته التي عنوانها «ذكرىٰ شكسبير» وفيها يقول :

يُحـيّيكَ مِنْ أرْضِ الكِنانَةِ شاعِرٌ   شَغُوفٌ بقَوْلِ العَبْقَرِيّين مُغْرَمُ
إليكَ مُلُوكُ القَوْلِ عُرْبٌ وأعْجَمُ   ويُطْرِبُه فـي يَـوْمِ ذِكْراكَ أن مَشَتْ
وفـي كلّ عَصْرٍ ثم أنشَأتَ تَحْكُمُ   نَظَرتَ بعَيْنِ الغَيْب في كلّ أُمّةٍ

إن من ينظر في قول الشاعر : نظرت بعين الغيب . . إلخ ، يلاحظ أن حافظ إبراهيم بالغ في المدح والثناء ، وغلا في إطراء شكسبير غلواً تجاوز به الحد بأوصاف ، قد لا يصح أن تطلق علىٰ نبي مرسل ، فضلاً عن شاعر من سائر الخلق ، لم يعرف من الهدىٰ والحق ما عرفه من هداهم الله إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم . وهكذا نجد حافظ إبراهيم يغرق في مديح شكسبير ،

---

(١) أحمد شوقي ، الشوقيات ، بيروت ، دار الفكر ، ب ت .

وبعلمه الغيب في خضم النشوة الشعرية . والمعلوم أن علاَّمَ الغيوب هو الله سبحانه وتعالىٰ، الذي يقول جل شأنه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]. وقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]. وقال عز من قائل : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]. حتىٰ في حق النبي محمد ﷺ الذي يقول عنه سبحانه وتعالىٰ: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴿٥٠﴾ ﴾[4].

ثم يسير حافظ في مديحه لشكسبير في بقية القصيدة، حيث يقول :

فلم تُخْطِىء المَرْمَىٰ ولا غروَ أَنْ دَنَتْ لَكَ الغَايَةُ القُصْوَىٰ، فإنك مُلهَمُ
أَفِقْ ساعةً وانظُر إلىٰ الخَلْقِ نظرَةً تَجِدهُمْ وإِنْ راقَ الطِّلاء هُمُ هُمُ
علىٰ ظَهْرِها مِنْ شَرِّ أطماعِهِمُ دَمٌ وفَوْقَ عُبابِ البَحْرِ مِنْ صنعِهِمْ دَمُ
تَفانَوْا علىٰ دُنَيا تَغُرُّ وباطِلٍ يَزُولُ إلىٰ إنْ ضَجَّتِ الأَرْضُ مِنهُمُ
فَلَيْتَكَ تَحيا ياأبا الشِّعْرِ ساعَةً لتنظر ما يُصْمِي ويُدْمِي ويُؤلِمُ
وقائِعَ حرْب أَجَّجَ العِلْمُ نارَها فكادَ بها عَهْدُ الحضَارةِ يُخْتَمُ
وتَعلَم أنَّ الطَّبْعَ لا زال غالِباً سواء جَهُول القَوْمِ والمُتَعَلِّمُ
فما بَلَغَت منْه الحَضارةُ مَأرَباً ولا نال منه العِلْمُ ما كانَ يَزْعُمُ

---

(١) سورة التوبه ، الآيه ٧٨ .

(٢)سورة الأنعام، الآية ٣ .

(٣) سورة النمل، الآية ٦٥ .

(٤)سورة الأنعام، الآية ٥٠ .

أهَبْتَ بَهذا مِنْ قُرونٍ ثَلاثَةٍ — وكُنْتَ على تلكَ الطّبائِع تَنْقِمُ
وما هَدَمَ التّجرِيبُ رَأياً بنيتَه — ولا زالتِ الآراءُ تُبْنَى وتُهْدَمُ
ألا إنّ ذكْرَى شكسبيرَ بَدَتْ لنا — بشيرَ سلامٍ ثَغْرُه يتَبَسّمُ
فلو أنْصَفُوا أبْطالَهُمْ لتهادَنوا — فلالا وحَيّوا شَعْرَه وترنّمُوا
ولَم يُطْلِقُوا في يَوْمِ ذِكْراهُ مِدْفَعاً — ولم يُزْهِقُوا نَفْساً ولَم يتقحّمُوا
له قَلَمٌ ماضِي الشّباةِ كأنما — أقام بشقيه القضاءُ المُحتّمُ
طَهورٌ إذا ما دُنّسَتْ كفُ كاتِبٍ — وثوب إذا ما قر في الطرس مرقَمُ
ولُوعَ بتَوير البَاعِ فلَمْ يجُر — بعاطفةٍ إلا حَسبناه يَرسُمُ
أرانِي في (ماكبيث) للحِقْدِ صورةً — تَكادُ بها أحشاؤُه تَتَصَرمُ
ومثل في (شَيلُوكَ) للبُخْل سِحنَةً — عليها غُبارُ الهُونِ والوَجْهُ أقتَمُ
وأقعدني عَنْ وَصِف (هملِيت) حُسْنُها — وفي مِثلِها تَعْيَا اليَراعَةُ والفَمُ
دَعِ السحْرَ في (رُميُو) و(جُوليتَ) — إنّما يُحِس بِما فيها الأديبُ المُتيمُ
أتاهُمْ بشِعرٍ عبَقريٍّ كأنه — سُطُورٌ مِنَ الإنجيلِ تُتلَى وتُكرَمُ

ومرة أخرى نجد حافظ إبراهيم يغلو في مديحه لشكسبير في مقاربة التشبيه بين شعر شكسبير وعبقريته مع كلام الله في الإنجيل، فيقول :

أتاهُم بشِعرٍ عبقرِيٍّ كأنّه — سُطُورٌ من الإنجيلِ تُتْلَى وتُكرَمُ

وفي هذا البيت شططٌ كبير، فقد دفعت العاطفه والانفعال في مدح شكسبير، وشدة الإعجاب به حافظ إبراهيم إلى الخروج عن الجادة، وقاده ذلك إلى الزلل. فكلام الله لا يقدر أن يأتي بمثله أحد ولو اجتمعت الإنس

والجن، وكان بعضهم لبعض ظهيراً.

ويمضي حافظ في تعظيمه لشكسبير، فيقول:

ندىً على الأيام يزدادُ نُضْرَةً ويزدادُ فيها جدَّةً وهو يقدمُ
يؤتي إلى قُرَّائه أنَّ نسجَه ليوم وأن الحائكَ اليومَ فيهمُ
كتلك النقوش الزَّاهيات بمعبد لفرعونَ لا زالت على الدَّهر تسلمُ
فلم يدنُ مِنْ إحسانه متأخِّرٌ ولم يجر في ميدانه متقدمُ
أطلَّ عليهم مِنْ سماءِ خياله وحلَّق حيثُ الوهمُ لا يتجشمُ
وجاء بما فوقَ الطَّبيعة وقعه فأكبر قوم ما أتاه وأعظموا
وقالوا: تحدَّانا بما يعجزُ النُّهى فلسنا إذن آثاره نترَسَّمُ
ولم يتحدَّ النَّاسَ لكنَّه امرؤٌ بما كان في مقدوره يتكلَّمُ
لقد جهلوه حِقبةً ثم ردَّهم إليه الهدى فاستغفروا وترحَّمُوا
كذاك رجالُ الشَّرق لو ينصفونَهُم لقامَ لهم في الشَّرقِ والغربِ مَوسِمُ
أضاء بهم بطنَ الثَّرى بعد موتِهم وأعقابهم عن نور آياتهم عُموا
فقُل لبني التاميز والجمع حافلٌ به يُنثَرُ الدُّرُّ الثَّمين ويُنظَمُ
لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم لفخركُم بالشَّاعر الفردِ أعظَمُ(١)

وفي حدود المديح والثناء والتعظيم، ظهرت قصيدة حافظ ابراهيم، وإن كانت اتسمت بالمبالغة في الإكبار والإجلال، و إننا لا نقرُّ ما جاء في قصيدتي شوقي وحافظ لعدم استحقاق الممدوح ذلك الثناء، لعداوته

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، بيروت، م. أ مج، ١٩٦٩.

للإسلام والمسلمين ، ومع هذا ، فقد جاءت بعض المنظومات الشعرية في كتابات أحمد زكي أبو شادي ، التي جمعها في كتيب صغير بعنوان (ذكرىٰ شكسبير) ، أشد شططاً من التي عند شوقي وحافظ ، وفي كُتيِّبه ذاك يقول أبو شادي : « هذه المجموعة الشعرية منظومات فرضتها تلبية لدعوة جمعية الشعر Poetry Society بمدينة لندن ، لمناسبة فتح مَمثلْ شكسبير التذكاري Shakespeare Memorial Theatre بعد تجديده علىٰ إثر الاحتراق الذي نُكب به حديثاً »[1] . وقد بين أبو شادي أن ذلك جاء نتيجة لدعوة عامة إلىٰ شعراء الأمم الذين يقدرون هذا الشاعر المميز بأعماله وآثاره الأدبية الخالدة ، فيقول أبو شادي مضيفاً لما سبق : « وما أقدمت علىٰ نظمها (أي القصائد) إلا مدفوعاً بعاملين قويين ، أولهما : إكباري لهذا العبقري العظيم الذي رفع رأس الإنسانية بنبوغه الفخم وعقله الجبار ، وثانيهما : دافع الاشتراك في واجب قومي نحو هذا المثل العالي للإنسان العظيم »[2] ، وهذه القصائد هي :

١ ـ أنشودة علىٰ غرار السونيتات Sonnets ، وهي قصيدة غنائية علىٰ غرار ما هو موجود في الشعر الأوربي ، وتتألف من أربعة عشر بيتاً ، عُرفت في القرن الحادي عشر وقد أجاد وأبدع في نظمها وليم شكسبير ومن جاء بعده من الشعراء المشهورين أمثال جون ملتون ، ووليم وردزوورث ،

---

(١) أحمد زكي أبو شادي ، ذكرىٰ شكسبير ، مطبعة النهضه ، القاهرة ، ب ت ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق .

وجون كيتس ، وفي هذه القصيدة السونتية يقول أبو شادي :

تحييك قبل تحايا (الربيع) نفوس تحن إليك المدىٰ
وأنت المُرحَّب مثلُ السَّميعِ إلىٰ (عالم) من سناك اهتدىٰ !
رسمت له (الكون) رسم اليقين بمرآة شعرك يافاتنُ
فكنتَ المدينَ لنفع المدين كما ينقذ المُجدِبَ الهاتنُ
فعفواً إذا أقلقتك التحايا وصفحاً إذا صاحبتك الأماني
فأنت الذي قد منحت البرايا غذاء المواهب في كل آن !
فمن حقك الصَّفْوُ هذا الوفاء ومن حقهم كلٌّ هذا الخشوع
فأنت (النبي) وما الأنبياء بإحسانهم غير نفح يضوع

إن قول الشاعر : (فأنت الذي قد منحت البرايا) والبيتين اللذين بعد هذا البيت ، فيها ضلال عن الحق ، وانحراف عن الطريق المستقيم ، حين بالغ الشاعرُ ، فوصف المخلوقين بصفات الخالق ، التي هي من صفات الربوبية ، وكذلك بصفات الألوهية التي لا تنبغي إلا لله وحده ؛ إذ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] . كما أن الشاعر استهان بمهمة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أئمة الهدىٰ وأنوار الدُّجي ، الذين بعثهم الله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ويستمر قائلاً :

فيجتذب الخلق من كل فجٍّ كما يمنحُ الخلق عِطْر الخُلود

---

(١) سورة الشورىٰ ، الآية ١١ .

فلا بِدعَ إن أقبلوا رُسلَ حج إلى فيلسوف المنى والوجود !
وكم قد بكيت وكم قد ضحكتَ بتمليك المستعز الحقيقي
فأبكيتم مثلما قد منحت من الأنس في موحشات الطريق !
فيا (شكسبير) تأمل قريراً وفاء القُرونِ البواكي الخوالي
تجد حولك اليوم جيلاً كبيراً عهد القرون التوالي !

٢ - والمنظومة الثانية رباعية، نظمت لتكتب على جدران المسرح، وقال فيها أبو شادي :

وافت إليك أميرَ الشعر خاشعة شتى العقول تُناجي نورَك الهادي !
فإنما (الممثل) الباقي بحُرقته مِنْ روحك الفذِّ إبداعٌ لآباد !
انظر إذن تلق آلافاً مُجَمَّعةً ما بين حاضر أرواحٍ وأجساد!
تصغي إلى الحكمة الكبرى مؤلهة فيك النبوغُ فتلقى حظَّ عباد!

مرة أخرى نجد الشاعر في هذه الرباعية (كما سبق في السونتيه) يصف شكسبير بصفات الله سبحانه وتعالى، ويجعل الخلق تناجي نورَه الهادي، قال الله تعالى : **﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾**[1].

٣ - أما القصيدة الثالثة، فكانت قصيده عامة، غير مقيدة بنوع أو حجم أو وضع، وجاءت في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يتحدث عن عبقرية

---

(١) سورة يونس، الآيه ٣٥.

شكسبير ، ويتكون من أربعين بيتاً ، يقول فيها أبو شادي :

شـأوتَ العـلىٰ وملكْتَ الفخـارا فماذا يُفـيدك مـدحي مـرارا ؟!

وكـيف أُحدِّثُ عـنك النُّفـوس وأنت الذي قـد رفـعتَ السِّتارا ؟

فـكـنت لـهـا قبساً مـن جـلال وكـانت لعـقلك بحـثاً منـارا !

ومـا زلت تنفـخُ أذكـىٰ الفُـهـوم ومـا زِلت تـرمـق فـيها الفَخَارا !

وكـرَّت سـنونٌ ومـرَّت قـرونٌ ومـازال نفحـك فـضلاً مُـعـارا

فـما كـان تـكـريمُنا ردَّ دَيْـنٍ إذا مـا ردَدَنا الدُّيـون الكـِبَارا !

ومـا الشَّـمس مـهما أطـلنا الثناءَ بـنائلـةٍ بالثـَّناء اشتـهـارا!

تجـلُّ حـرارتُهـا والضِّيـاءُ وهـيهاتَ ترجـعُ نوراً ونـارا !

كـذلـك أنـت الغـنيُّ الأبِـيُّ فـأصبـحَت للشُّمس خِلاً وجارا !

مـحـال لقـدر كـما فـي وفـاءٍ وفـاء يُعـيد الحقـوقَ الـكـثارا!

وَأرَّخـك العـالمـون الثقـاة وجـاؤوا وفـوداً تـرف ادّكـارا

وقـالوا : وُلـدتَ بـأرضِ (الأفوق) فـصرتَ لأهـليه دومـاً شِـعارا

إذا انتسـبوا فـلـك الانتسـاب وإن فـخروا فـلك الفـخرُ سـارَا

فـقـلتُ : أجـل ، إنما أنت فيـهم قـرين (المسـيح) تجـلَّىٰ وطـارا

وقـد وهـبَ النَّـاسَ مِـنْ روحـه وقـد بـذل التَّضـحيات الـغِزارا

هنا نجد الشاعر يساوي بين شكسبير ونبي الله ورسوله عيسىٰ بن مريم عليه السلام، ويبدو وكأنه يؤكد معتقد النصارىٰ بأن عيسىٰ بن مريم قدَّم روحه تضحيةً للناس، حيث ظن النصارىٰ بأنه صلب وقتل، وهذا ضلالٌ

وشطط، وخروج على الاعتقاد الإسلامي الصحيح فيما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا أظن أن أبا شادي يعرف مايقول عن شكسبير، فالشاعر الذي يصوغوه شعراً شاعر غريب، إذ أن الشاعر لايصبح متنبئاً إذا كان شعره الأدبي مثل أقوال الأنبياء، إذا ماقيس بآخرين، وأشك أن أبا شادي فهم شكسبير من خلال قراءة نصوصه بلغتها الأصلية، ولكنه كتب عنه بما كان يسود الساحة الأدبية في زمنه، وماقيل عنه عبر العصور.

فما كل آثارِك الخالدات سوى إرثِ عُمرك لمَّا توارى
وإن كنت معنىً لغير الفناء وإن كنت فكراً جليلاً مُثارا
ولدت ولكن بملك (الأثير) وزرت (لبني الأرض) ترجو اعتبارا
فأعطيتَهم كلَّ ما قد خَبَرْت وما ازددت أنتَ العليم اختبارا !
فأنت بمولدك العالميِّ ومنه انتقلت إلينا انتشَارا !
ومن ظنّ كم كوكب في الفضاءِ حوى من نبوغك فيه ازدِهَارا !
فإنَّ الحياة كموج الضِّياء تشقُّ الفضاء وتطوي البِحَارا !
ولن يعلم النَّاس ما أصلَها أكانت حِجَى في العُلى أم غُبارا !
ولكن لعقلك إنِّي الضَّمينُ فقد كان كالنُّور حيَّاً وزارا !
فما لوثته ذُنُوبُ الأنام ولا كان إلا السّنا والزّوارا !
أشعته عمرها كالزَّمان تبث الرجاء وتقضي البَوَارا !
وتهدي حرارتها للنُّفوس وُجوداً جديداً وكوْناً مدارا
فياللغنى في الذي قد بذَلْت سخياً كأنك ترمي النَّضارا !

فمن لم يَرَ القدسي البهيَّ ببذلك لم يَلقَ إلا اغْتِرَارا
ومن قال إنك رهنٌ لأرضٍ فما قال حقّاً وما عَزَّ دارا
فما قال إلا أماني الغُرور كذا العبقرية تأبىٰ الإسارا
لها وطنٌ في الرحيب الوجودِ وإن عَشِقتْ في هوانا المزارا !
فيا علماً في كبار الرِّجال هَدَيتَ الكبار وسُستَ الصِّغارا
قدَرْنَاك لا كوكباً مغربيّا فحسبٌ ، ولن قدرنا النهارا !
بأنواره وبآلائه يسرُّ العُفاة ويهدي الحيارىٰ
وما الفُرد في ذاته بالقليل إذا صاحبَ الفضلُ فيه الوَقارا
فإنْ قيل : فردٌ وإن قيل : نجمٌ سواءٌ لمن نال منك اليَسَارا
وحسبُ الحقيقة وصفُ اليقين إذا ما اقتصرنا عليه اقتصارا
فنترُك أصلَكَ للفلسفات ونستعرِضُ الأدبَ المستَشَارا
ونفخر بالرَّوض بين الرُّجوم وإن كُنتَ مجداً لنا مُستْعَارا !

***

والجزء الثاني من القصيدة يتحدث عن فن شكسبير وأسلوبه وأنماطه ، وجاء ذلك في خمسة وعشرين بيتاً :

بك ائتم جيلٌ ، فجيلٌ، وجيلٌ ولا غَرْوَ إن عشتَ دهراً إمامًا
فقد كنت تفحَصُ فحص الخَبيرِ وتبعَثُ حكماً يَبِيد الظَّلامَا
خُلاصتُه تجربات الحياة وقوَّته أن يدُومَ احتكاما
كأنك فُرقان دينٍ جديدٍ فصان الفضائل صَوْناً وحامَىٰ

ووحَّد أديانَنا في اعتقادٍ ... بإعجازه ، وهَدَىٰ مَنْ تعامىٰ
فحدَّثنا عن معاني الوُجودِ ... فما قال زُوراً ولا نال ذامَا
ومَثَّل ما شاءَ إبداعُه ... صُنوفَ الورىٰ والمنىٰ والحُطاما
فمِنْ فاجعاتٍ تُذيب الحديدَ ... إلىٰ مُضحكاتٍ سَقَيْنَ المُداما
ومِنْ حادثاتٍ هَدَمْنَ الغرَامَ ... إلىٰ مُحسنات بنين الغرَاما
ومن نُخبِ الوصفِ في شعرِه ... وهَبْن الشُّعورَ السَّليم السَّلاما
جعلتَ البيانَ لأُذن السَّميع ... ظُهوراً كرسمٍ تجَلَّىٰ وداما
وأغنيت أيضاً بتمثيله ... وإن كُنت أغنيتَ عنه الأناما
وما حاجةُ النَّاسِ من ممثلٍ ... وهذي سُطورك قامت قيامَا !
إذا ما قرأنا أناشيدَها رأينا ... المعاني ازدَحَمْن ازدِحَاما
ومرَّت فصولٌ بألبابنا ... مَشاهدكُم محتنا اغتنامَا
فسُحنا بها في الوجودِ الفسيح ... زماناً كريماً ، وعُدنا كِرَاما
ومن عجبٍ أن تركتَ العُقول ... حيارىٰ تُناجي المعاني الجِسَاما
ترىٰ ألف وصفٍ بلا مُرشدٍ ... إلىٰ ما اعتقدتَ وما قد تسَامَىٰ
كأنَّك أشفقت من صدمِها ... برأيك فاخترت هذا الغَماما !
وحجبتَ مرآة رُوح تسامت ... فحيَّرتِ النَّاسَ حتَّىٰ العِظَامَا
وإن وهَبْتنا سخيّ الشُّعاع ... وأحيت رجاءً وروَّت أوَامَا
فبينا نخالُكَ ربَّ ابتسامٍ ... إذا بالتَّبسُّم ليس ابتساما !
عويصُ المعاني بعيدُ الأماني ... ومقتسمٌ للذكاء اقتسَاما !

فعندك من كلِّ نوع نصيبٌ وفيك الفراسةُ تُلقى اعتصاما !
وتحيا بآثارِك الخالداتِ نُفوساً وخلقاً ولهواً وجاماَ !

أما الجزء الثالث من القصيدة، ففيه يتحدَّث أبو شادي عن مآثر شكسبير، وقد جاءت في اثنين وأربعين بيتاً :

نشأت بعصر لبعث العلوم فكوَّنت علماً جديداً مُجادا
وساءَلْتَ حتَّى قصيَّ الرَّجوم وأنطقتَ حتىَّ الضنَّين الجَمادا
وأمتعتَ مستأهلاتِ الفهوم بما قد منحتَ غناءً وزادا
وألهمتنا كيفَ يسمو الشُّعورُ بمَنْ عزَّ أُمَّتَه والبِلادَا
وكيف تفنَّن ربُّ النُّبوغِ فيخلُقُ حتَّى القديمَ المُعَادا
يُقَلِّب طرفاً بهذا الوجودِ وينقُل عنه العزيزَ المُرَادَا
فخطَّ عَنِ الحقَّ إعجازه ومنه استمدَّ السنيُّ المِدادَا
كذلك في فحصه للأنامِ كثاراً بمثله أو فُرادىٰ
وحقِّكَ ما عاش قبلا رسولٌ يُدانيك فيما بحثتَ اجتهادَا
فمن خبرةٍ بشُعورِ الورىٰ تجُسِّمه صورة أو جهادا
إلىٰ نكهةٍ من مزاج الحياةِ بسطنا لها ووهبنا الفُؤادا !
إلىٰ قوَّةٍ في اختراعِ البيان شهيّاً كأنا نذُوقُ الشَّهادا
إلىٰ حيلةٍ في ابتكارِ المعاني وخصبٍ يزيدُ العُقولَ اعتدَادا
إلىٰ قُدرةٍ في اقتباس سريعٍ فنغنَمُ منكَ السَّريع الحَصَادا
إلىٰ صحَّة الحُكم حتَّىٰ كأنَّا نُشَاهد فيك الوحيدَ الرَّشادا

مواهب فكر بعيد المنال ... وهبْنَ الجمالَ منالاً وآدا
وحررنَ أسرى الظَّلام البهيم ... وكنّ لركن البيان العِمَادا
فلله شعرُك ملء النَّشيد ... تُنَاجي صديقك حتَّى تهادى
عذوبتُه كنعيمِ الخُلود ... ورقَّته تستهيمُ المنادَى
ولله أمثالُه رائعاتٍ ... أفَدْنَ الذي بالشُّعاع استفادا
أقاصيصُهُ ثمَّ تمثيلُهُ ... تجسَّمْنَ حتى غَدَوْنَ اعتقادا!
بدأتَ الحياةَ بها مزاحاً ... وكم كان جداً فلذَّ انتقادا
وصاحبت (مارلو) بها هادياً ... فجازيتهَ بالنُّبوغ السوِدادًا !
يعيشُ المعلِّمُ في علمِه ... إذا المتعلمُ أوفى وزادا
ويخلُدُ قربُك في الفاتحينَ ... إمامٌ حبَاكَ ابتداعَاً وقادا
ولما انتقلت لعهدِ (الدَّرام) ... وألبسْتَنَا للشُّجون الحِدَادَا
وعشنا نُؤاسيك طَوْراً وطَوْراً ... نُبادلك الائتناسِ ارتيادا
شُخُوصُك لمّا تزلْ للحديثِ ... تحدِّثُ عنك العلى والعِبَادا !
وأسفارُ وحيك مثلُ الكواكبِ ... عزتْ ولكن بُلغن ارتيادًا !
فنسمُو إليها سُمُوَّ الخيَالِ ... لنلقى الحقيقةَ تزهُو اتقَّادا !
ونرتَدَّ عن رصدِ شتَّى النُّجومِ ... وما نرتضي عن حِجَاكَ ارتدادا !
فيا (شكسبير) إذا ما احتفَلْنَا ... بعيدك دينا لمن قد أفادا
فمن مجدنا أن جمعنا لنحظَى ... بمعنى البقاءِ ونلقَى اعتضادا !
وهيهات غيَرك تُلفى لديه ... خلائِقُه يَحتشِدنَ احتشادا

فهذا (فلستاف) جمُّ المُزَاحِ لك (هملت) يبغي انفرادَا
و(رميو) يغنِّي بشعرِ الهوىٰ و(جُلييت) تصبُو إليه اتِّحادا
و(قيصر) في جُنده لم يَمُت يرىٰ في رِثائك عُمراً مُعادَا !
وهذا (عطيل)وجمعُ (الملوك) نسوا في حِمَاك الخُطوبَ الشِّدادا
وشتَّىٰ الرَّجال وشتَّىٰ النساءِ لمن بالخلُود علىٰ النَّاس جادا
جمعنا وجاؤوا سواء فما قَنعنَا هوىً أو خشيت النفادا
وقد دمتُ قبرك بيت السُّكون وما كنتَ إلا رقيباً تَنَادىٰ !
فما غِبتَ عنا ، وما مِتَّ صدقاً ولو مِتَّ أعظِمْ بهذا معادَا ![1].

***

والمُطَّلع علىٰ قصائد أبي شادي يجد فيها التعظيم المبالغ فيه لشكسبير، وجعله في منزلة الأنبياء، بل أكثر منهم، وذلك حين يقول :

فأنت (النبي) وما الأنبياء بإحسانهم غير نفح يضوع

وبهذا القول، فإن أبا شادي يبدو وكأنه جعل الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أقلَّ منزلة ومكانةً من شكسبير، وهم المؤمنون بتوحيد الله ووحدانيته، وليسوا علىٰ شيء من الشرك وعقيدة التثليث عقيدة شكسبير وقومه وبني جلدته[2]، مع أننا نتساءل : هل معنىٰ كلمة (النبي) عند أبي

(١) أحمد زكي أبو شادي ، ذكرىٰ شكسبير ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ب ت .

(٢) إن كتَّاب السير والتراجم ومؤلفي الكتب الخاصة بمشاهير الشخصيات العالمية في الغرب يتعدون ـ إن لم نقل يتورعون ـ عن ذكر الأنبياء إلىٰ جانب مشاهير الشخصيات من المكفرين والأدباء والفلاسفة، في حين أن أبا شادي لم يتردد في نطق عبارات الإلحاد والكفر كما يظهر في بعض قصائده آنفة الذكر .

شادي معناها مجازي أم حَرفي ؟ .

بمثل هذا التقديس والإجلال والإكبار، كانت صورة شكسبير تظهر في كتابات الأدباء والنقاد العرب ، من خلال رسائل الماجستير والدكتوراة التي تقدم بها الطلاب لنيل تلك الدرجات العلمية ، أو من خلال المؤلفات التي كتبها مؤلفوها في الجامعات العربية أو خارجها ، أو المقالات التي كتبها أصحابها في الدوريات وغيرها من الأبحاث التي كانت من العوامل المساعدة على تمجيد شكسبير ، ونعته بأحسن الأوصاف، وأنه « شاعر الإنسانية »، و« أديب الكون »، و « ينبوع الحكمة والعلوم »، و « مهندس المشاعر والعواطف والأحاسيس »، و « طلسم من طلاسم الأدب المسحورة»، و « الأصيل الخالد » ، وهكذا فإن القائمه تطول في ذكر الأوصاف التي وصف بها شكسبير بأقلام العرب، والتي بها فتنوا الناس، وما أشد الفتنة ووقعها عندما تكون تلك الأقلام العربية من المسلمين ، فهم دافعوا عن شكسبير وادعوا علمهم بما كتب وكأنهم لما يقرأوا قط السوء الذي كتبه شكسبير عن الإسلام والمسلمين، وعن النبي محمد ﷺ ، وكأنهم لم يعلموا الفكر النصراني الذي تضمنته مسرحياته، والدعوة إلى المسيحية ، فهل كان هؤلاء من المبطلين أم من الجاهلين أم من الأدعياء ؟ وإنني أعرض إلى نظرة بعض أولئك الكتاب فيما سيأتي من المقالات المنشورة، لبيان وجوه الفتنة التي وقعوا فيها .

لقد عبر المحرر أو رئيس تحرير مجلة المقتطف في مقال له بعنوان :

(شكسبير: دلائل شهرته، ولمحة من نشأته) «بما أعجب به في كتابات المؤرخين والنقاد والمفكرين عن شكسبير في دواوين المعرفة وأكد أنه بالاستقراء، فإن شكسبير يعد أشهر رجل عند الأوربيين والأمريكيين من بين مشاهير العظماء أمثال أرسطو، وأفلاطون، ونابليون، وبيكون، وفولتير وغيرهم، وأن شكسبير هو أحسن الشعراء ولا يقاس أحد به من المتقدمين أو المتأخرين، ذلك أن شكسبير كان من أعلم الناس بطبائع البشر علىٰ اختلاف درجاتهم وأجناسهم وأنواعهم وعناصرهم وكان ينظر إليه الشعراء - وعلىٰ الأخص الإنجليز - نظرة التلميذ إلىٰ المعلم. وأوضح أن الشاعر جون دريدين كان يقول: «إنني بالرهبة والوقار أطلب بركة شكسبير»[١].

هذه جملة من الآراء التي قدمها رئيس تحرير المقتطف إلىٰ القارئ العربي، ليجذب الانتباه إلىٰ هذا الكاتب، ويبين عظمته حين قال: «فإذا اجتمعت للشاعر الوسائل، وكان بالفطرة الموروثة ميالاً إلىٰ ابتكار المعاني، ونظم القريض، سَهُلَ عليه التبريز علىٰ الأقران، والاستيلاء علىٰ العقول، وكان شكسبير هذا القبيل»[٢].

بمثل هذا القول الذي ملأه حسن لبيب تقريظاً ومديحاً وثناءً مبنياً علىٰ الهوىٰ والعاطفة ولم يبن علىٰ موازين الحق. وتأكيداً لعبقرية شكسبير وشهرته، ينطلق الكاتب ليبين عظمة شكسبير، وأنه من أرباب الخيال

---

(١) حسن لبيب، المقتطف، ديسمبر ١٩٢٧، المجلد ٧١ الجزء الرابع، من ٣٨٥-٣٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٩.

المجيدين لصور البديع والمعاني الرشيقه مع صدق العاطفة، والأحاسيس.
لكن الأستاذ محمد سيد محمد في مقال له يعارض هذه الأفكار، فيقول: «إن الشعر العربي يموج بالعاطفة وأما الشعر الإنجليزي تغلب عليه الفكرة، والناس يلتمسون عند الشاعر عاطفة، وعند الفيلسوف فكرة وهم يلتمسون للعاطفة نغمة موسيقية ويلتمسون للفكرة أسلوباً وقالباً منطقياً» (١).

ومعلوم أيضاً أن شعر شكسبير من النوع المرسل، وعنه يقول الأستاذ محمد فريد أبو حديد: «يورد للشعر المرسل عيبان؛ أولهما: أنه يحرم الأذن من موسيقى القافية، والثاني: أنه يحطم الحدود بين الأبيات فلا ترتاح الأذن إلى ما اعتادته من الوقف في أمر كل بيت والترنح مع الوزن من بدء مقدور إلى خاتمة منتظرة» (٢). وعن هذا كله يشير أبو حديد: إلى ملك الشعر المرسل وليم شكسبير في مثل اختاره من مسرحية (عطيل) Othello.

وفي مجلة الرسالة كتب جريس القسوس رسالة جوابية لصديق له، يجيبه عن مشكلة من مشكلات الأدب الإنجليزي، فحْواها سؤال جعله الكاتب القسوس عنواناً لمقاله، وهو «هل ألف شكسبير رواياته؟»، فقال: «أخي ح. ش. كتبت تسألني أن أجلو لك حقيقة هذا النابغة، الذي

---

(١) محمد سيد محمد، مقارانات بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي، المنهل، رجب ١٣٦٥، ص ٣١١.

(٢) محمد فريد أبو حديد، هل للشعر المرسل مكان في العربيه، الرساله، العدد ٩، محرم ١٣٥٣هـ، مايو ١٩٣٣، ص ١٠.

على سعة شهرته وذيوع اسمه في مختلف الأزمان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية مجهول الهوية »[1]. ثم يستطرد الكاتب للحديث عن نظريتين أساسيتين، يحدد من خلالهما حقيقة هذا الكاتب وما كتبه من مسرحيات ، فتحدث عن المدرسة الأرثوذكسية التي تنتصر لشكسبير[2] وتؤيده ، وتحدث عن المدرسة اللاستراتفوردية التي لا تنتصر لشكسبير، ثم تحدث الكاتب عما أسماه هو بنفسه باسم النظرية الشيخزبيرية (نسبة إلى الشيخ زبير)[3]. وبين وضع شكسبير ومكانته في نظره، حيث قال : « إن علاقة شكسبير الغرامية مع السيدة السمراء (The Dark Lady) يظن بعضهم أنها مصرية ، وحبه للخيول ـ وخاصه خيول رواد المسرح ـ وما في رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغن بسمائها وطيرها العنقاء (فينكس Phoenix)، وزهرها وشجرها »[4]. هكذا يشير القسوس إلى عربية شكسبير ، أو على الأقل إلى اهتمام شكسبير بالعرب، لكي ينادي بأهمية هذا الأديب، مع أنه لم يظهر موقف هذا الأديب من الإسلام إذ إن الإسلام ليس العروبة والعرب ،

---

(١) القسوس ، « هل ألف شكسبير رواياته» الرساله ، ٢٥ جمادي الثانية ١٣٥٤ ، ٢٣ديسمبر ١٩٣٥ ، العدد ١١٦ ، ص ١٥٤١ .

(٢)المرجع السابق، ص ١٥٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٤٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤٣ .

أوضحت في محاضرتي التي ألقيتها ضمن فعاليات ورشة العمل التي عقدت في جامعة واريك ما يظنه العرب في أن اسم شكسبير تصحيف لكلمة الشيخ زبير اسماً لشخص بهذا الاسم أو أنه شيخ لقبيلة الزبيريين في شمال الجزيرة العربية .

والعروبــة والعرب ليست الإسلام مع أن مفهوم العرب Arabia شيء قديم وإن دلَّ على العرب، فلا انفصام له عن الإسلام بعد علو شأن الإسلام، فلا يجب الفصل بينهما . وليس بمستغرب ظهور هذه الأفكار والآراء من الكتاب الذين لا يحملون هم الإسلام وهموم المسلمين.

لقد كتب المدرس الأول لمادة اللغة العربية بثانوية بنها طه طه عبد الفتاح في صحيفة دار العلوم مقالاً بعنوان : « شكسبير وقس بن ساعدة الإيادي» : فأوضح كيف أنه كان يجيل نظره في كتاب الكنز الذهبي Golden Treasury وما فيه من مختارات لقصائد شعرية إنجليزية، ومنها قصيدة لشكسبير بعنوان : Time And Love وقد أمعن النظر فيها، فشعر وكأنه في سوق عكاظ، يستمع إلى قس بن ساعدة الأيادي ينشد أبياته المشهورة التي أوردها في نهاية خطبته المشهورة، التي تحدث فيها عن مشاهد الكون وما فيه من مواعظ وعبر ، ولقد رأى الكاتب مناسبة ترجمة قصيدة شكسبير إلى العربية، وعقد المقارنة بين القصيدتين، ليبين عظمة هذين الرجلين ، فعرض بادئ ذي بدء قصيدة قس بن ساعده، وقوله فيها :

في الذَّاهبين الأولين ... من القُرون لنا بصائرْ
لَمَّا رأيتُ مواردًا ... للمَوْت ليس لها مَصَادِرْ
ورأيتُ قومي نَحوَهَا ... تمضي الأكابر والأصاغِرْ
لا يرجعُ الماضي إليَّ ... ولا منَ الباقين غادِرْ
أيقنتُ أني لا محالةَ ... حيثُ صارَ القومُ صائِرْ

بعد ذلك، ترجم الكاتب قصيدة شكسبير، وصاغها بنفس البحر والقافية، وهي تتضمن سبعة وثلاثين بيتاً، وفيها يقول :

لما رأيتُ الدهرَ طاح بما بنى العصرُ الغوادِرْ
بيدٍ مُدمّرةٍ لِمَا قَدْ شيَّدته منَ المفاخِرْ
دكَّ البُروجَ الشامِخَات فأصبحتْ دِمنَاً دواسِرْ
وأهاب بالعاديَ مَنْ شِبْه قلبي وهو صاغِرْ [١]

بعد عرض القصيدتين انتهى طه طه عبد الفتاح للقول: « رجلان امتزج شعورهما، وعقلهما، ومنطقهما، حتى كأنهما نفس واحدة، ذات شعور واحد، وعقل واحد، وتفكير واحد، على الرغم من سعة البون وتشعب وجوه الاختلاف بينهما [٢]، وبعد أن ذكر الكاتب عبارة « نفس واحدة » رجع يقول: هناك اختلاف بينهما، وهذا الاستدراك جاء من الكاتب، ليطلق لنفسه العنان في تمجيد شكسبير، حيث وصف كل واحد منهما كما يلي، فيقول : « أما قس بن ساعدة فهو سامي الجنس، عربي الشعب، من القاطنين بالأصقاع الحارة الصحراوية، ذات الجو اللافح، والشمس المشرقة المحرقة، والسماء الصافية، كان يعيش في القرن السادس الميلادي، في بلاد بدوية، يسيطر عليها نظام القبيلة ولا أثر فيها للحضارة والمدنية، ولا

(١) طه طه عبد الفتاح، صحيفة دار العلوم، ٣ ذو القعده ١٣٥٤هـ، ١ يناير ١٩٣٦م، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠.

لدراسة العلوم وبث الثقافة، وأما شكسبير فهو آري إنجليزي، من القاطنين بالجهات التي يغلب عليها البرد القارس، وتعلوها السماء الكدرة المكسوة بالغمام، كان يعيش في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد تمتع بما لم يتمتع بمثله قس من الحياة في ظل حضارة نامية، وثقافة واسعة، ودولة قوية منتظمة[١].

هذه العبارات قد يقول قائل: إنها كلمة حق أريد بها باطل، أو أنها جملٌ تحمل في ثناياها إعجاب تخاذل المستَعْمَرَ بالمستَعمِر المسيطر، وأنها كلمات تحمل معاني سلبية في حق مؤمن مثل قس بن ساعدة. لم يتحدث طه طه عبدالفتاح عن تأثيرات أو تفاعلات في حقول ومواضيع أدبية تأثر بها أدب من أدب آخر، بل أظهر بعض التوافقات، وتوارد الخواطر والأفكار حدثت مستقلة عن مثيلاتها في آداب أخرىٰ.

لقد بدا تمجيد شكسبير في كلام طه عبد الفتاح في أكثر من مكان من مقاله، فيقول: «أما شكسبير، فترىٰ في دقة معانيه، وفي ترتيب فكره، وتنسيق خياله صورة ناطقة للحصافة العقلية، التي كانت من جهة مظهر العبقرية الخاصة، ومن جهة أخرىٰ ثمرة الثقافة القويمة المنتجة»[٢]، ثم يختم طه عبد الفتاح ذلك قائلاً: «إن جل ذلك ما كان ليمر بخاطر قس الإيادي، لأن ظروف حياته البدوية لم تكن تعينه علىٰ ذلك. ولو كان قد

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٢.

قُسم له أن يحيا مثل حياة شكسبير لربما جاراه في المضمار، وربما حاز قصب السبق[١].

هل كان طه عبد الفتاح مطلعاً على الحقيقة الكاملة لقس بن ساعدة كما أوردها الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة)، فيقول : حدثنا أبو عبد الرحمن : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي رحمه الله ، قال : حدثنا أبو العباس : الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفسطاطي ، بمكة من حفظه - وزعم أن له خمساً وتسعين سنة في ذي الحجة سنة ست وستين وثلاثمائة على باب إبراهيم عليه السلام- قال: أخبرنا محمد بن عيسى بن محمد الأخباري ، قال : أخبرنا أبو عيسى بن محمد بن سعيد القرشي ، قال : حدثنا علي بن سليمان ، عن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قدم الجارود بن عبد الله وكان سيداً في قومه ، مطاعاً عظيماً في عشيرته : مطاع الأمر رفيع القدر ، عظيم الخطر، ظاهر الأدب ، شامخ الحسب ، بديع الجمال ، حسن الفعال ، ذا منعةٍ ومال في وفد عبد القيس من ذوي الأخطار والأقدار ، والفضل والإحسان ، والفصاحة والبرهان ، كل رجل منهم كالنخلة السحوق، على ناقة كالفحل الفنيق قد جنبوا الجياد ، وأعدوا للجلاد ، مجدين في

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ ، وقد روى الحديث البزار والطبراني وأبو نعيم الأصبهاني وغيرهم بأسانيدهم عن ابن عباس رضي الله عنه.

سيرهم ، حازمين في أمرهم ، يسيرون ذميلا ، ويقطعون ميلاً فميلاً ، حتىٰ أناخوا عند مسجد النبي ﷺ، فأقبل الجارود علىٰ قومه والمشايخ من بني عمه ، فقال : ياقوم ، هذا محمد الأغر ، سيد العرب ، وخير ولد عبد المطلب ، فإذا دخلتم عليه ، ووقفتم بين يديه ، فأحسنوا عليه السلام، وأقلوا عنده الكلام. فقالوا بأجمعهم : أيها الملك الهمام والأسد الضرغام، لن نتكلم إذا حضرت ولن نجاوز إذا أمرت ، فقل ما شئت ، فإنا سامعون ، وأعمل ما شئت ، فإنا تابعون ، فنهض الجارود في كل كمي صنديد ، قد دوموا العمائم ، وتردوا بالصمائم ، يجرون أسيافهم ويسحبون أذيالهم ، يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون مناقب الأخيار ، لا يتكلمون طويلاً ، ولا يسكتون عياً : إن أمرهم ائتمروا ، وإن زجرهم ازدجروا ، كأنهم أسد غيل يقدمها ذو لبؤة مهول ، حتىٰ مثلوا بين يدي النبي ﷺ، فلما دخل القوم المسجد ، وأبصرهم أهل المشهد ، دلف الجارود أمام النبي ﷺ ، وحسر لثامه، وأحسن سلامه ، ثم أنشأ يقول :

يانبيّ الهدىٰ أتتْكَ رجال   قطعَتْ فدفداً وآلا فآلا
وطَوْت نحوك الصَّحاصِح طُراً   لا تخال الكلالَ فيك كلالا
كلُّ دهماء يقصرُ الطَّرفُ عنها   أرقلتها قلاصُنا إرقَالا
وطوتها الجيادُ تجمع فيها   بكماةٍ كأنجُمٍ تَتَلالا
تبتغي دفع بأسِ يومٍ عبوسٍ   أوجل القلب ذكره ثمَّ هالا

فلما سمع رسول الله ﷺ، ذلك فرح فرحاً شديداً ، وقربه وأدناه ،

ورفع مجلسه وحباه وأكرمه ، وقال : ياجارود ، لقد تأخر بك وبقومك الموعد ، وطال بكم الأمد . قال : والله يارسول الله ، لقد أخطأ من أخطأك قصده ، وعدم رشده ، وتلك وأيم الله أكبر خيبة ، وأعظم حوبة ، والرائد لا يكذب أهله ، ولا يغش نفسه . لقد جئت بالحق ، ونطقت بالصدق ، والذي بعثك بالحق نبياً واختارك للمؤمنين ولياً ، لقد وجدت وصفك في الإنجيل ، ولقد بشر بك (ابن) البتول ، وطول التحية لك ، والشكر لمن أكرمك وأرسلك ، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين . مد يدك ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله .

قال : فآمن الجارود ، وامن من قومه كل سيد ، وسر النبي ، ﷺ ، بهم سروراً ، وابتهج حبوراً ، وقال : ياجارود ، هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ، ؟ قال : كلنا نعرفه يارسول الله ، وأنا من بين قومي كنت أقفو أثره وأطلب خبره : كان قس سبطاً من أسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحاً إذا خطب ، ذا شيبةٍ حسنةٍ ، عمر سبعمائة سنة ، يتقفر القفار ، لا تكنه دار ، ولا يقره قرار ، يتحسىٰ في تقفره بيض النعام ، ويأنس بالوحش والهوام ، يلبس المسوح ويتبع السياح علىٰ منهاج المسيح ، لا يفتر من الرهبانية ، مقر لله بالوحدانية ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، وتتبعه الأبدال ، أدرك رأس الحواريين سمعان ! فهو أول من تأله من العرب ، وأعبد من تعبد في الحقب ، وأيقن بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعمل

قبل الفوت ، الحسن الألفاظ ، الخاطب بسوق عكاظ ، العالم بشرق وغرب، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، كأني أنظر إليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذي هو له، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادِّكار ... وليالٍ خلا لهنَّ نهارُ
ونجومٌ يحثُّها قمر الليلِ ... وشمسٌ في كلِّ يوم تدارُ
ضَوؤُها يطمِسُ العيونَ ورعدٌ ... شديدٌ في الخافِقَين مطارُ
وغلامٌ وأشمطٌ ورضيعٌ ... كلُّهم في التراب يوماً يزارُ
وقصورٌ مشيدة حوتِ الخيرَ ... وأُخرىٰ خلت فهنَّ قفارُ
وكثيرٌ ممَّا يقصِّر عنه ... جوسَةُ النَّاظر الذي لا يَحَارُ
والذي قد ذكرتَ دَلَّ علىٰ ... اللَّه نفوساً لها هُدىٰ واعتبارُ

فقال النبي ، ﷺ : علىٰ رسلك ياجارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ علىٰ جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام مونق ، ما أظن أني أحفظه، فهل منكم يامعشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئاً ؟ فوثب أبو بكر قائماً ، وقال : يارسول الله ، إني أحفظه ، وكنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب ، ورغب ورهب ، وحذر وأنذر ، هذا ما كان من أمر قس بن ساعدة، والأخبار والآثار في هذا كثيرة، كلها انتهت بقوله : ﷺ : « رحم الله قساً إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده » (١).

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب

ما من شك في أن المقارنة الأدبية لا تنتقى من أحد إذا ماقورن بصورة صحيحة بغيره سواء أكان مختلفاً مع الذي يقارن به أم متوافقاً معه، لأن أوجه المقارنة الأدبية لاتعني دوماً تفضيل أديب على آخر، بل هي مقارنة إنجازيهما ما لم تتصل المقارنة بالأمور. لذا، فإن ما أوردناه من حقائق وبراهين عن قس بن ساعده تؤكد لنا بكل يقين أن وجه المقارنه بين شكسبير وقس الإيادي فيه إجحاف وبعد عن الموضوعية من حيث العقيدة والإيمان واليقين، ويكفي أنه شهد له الرسول الأكرم محمد ﷺ، وصدق الله العظيم في قوله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[1]، وقوله جل جلاله: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٩﴾**﴾[2]، فهل ياترى هناك وجه مقارنة أو وجه مساواة بين من آمن واتقى، وعرف وحدانية الله وأيقن بالبعث والنشور واليوم الآخر في قوله وعمله وصدق بالبشارة بالنبي محمد، ﷺ، ولم يسئ إليه وهو حال قس بن ساعدة، وبين شكسبير المعتقد في التثليث، الذي أساء إلى الإسلام ونبيه محمد، ﷺ، في أدبه وفكره الصليبي النصراني، على خلاف ما فعل قس بن ساعده، حين قال عن النبي، ﷺ، «ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمداً، ﷺ، بالحبور صاحب النجيب

العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ،، ج١ ص ١٠٥-١٠٨، ١١٣.

(١) سورة القلم، الآيتان ٣٥-٣٦.

(٢) سورة الزمر، الآيه ٩.

الأحمر، والتاج والمغفر، ذو الوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، فذلك محمد المبعوث إلىٰ الأسود والأبيض، أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول :

الحمدُ لله الذي لم يخلق الخَلقَ عَبَثْ
لم يُخلنا (حيناً) سُدىٰ من بعدِ عيسىٰ واكتَرَث
أرسل فينا أحمداً خيرَ نبي قد بعث
صلىٰ عليه الله ما حجَّ له ركبٌ وحث »[١]

وهكذا يجانب كثير ممن يكتب عن شكسبير الصواب، انسياقاً وراء العاطفة، أو رغبة في التقليد والاتباع والابتداع، واستشرافاً بالأدب الإنجليزي، وأدباء الإنجليز النصارىٰ.

وفي مجال المقارنات كتب عبد الرحمن شكري موضوعاً بعنوان « شكسبير وابن الرومي » تناول فيه صلة التقارب بين قصيدة رثاء مارك أنطونيوس ليوليوس قيصر، التي كتبها وليم شكسبير، وحث الناس علىٰ الأخذ بثأره، وقصيدة ابن الرومي في رثاء أهل البصرة عندما دخلها صاحب الزنج، وفتك بأهلها وسبىٰ نساءهم، ومثل بهم أشنع تمثيل. ومع أن الكاتب أظهر تفوق ابن الرومي وبراعته في القصيدة، مقارنة بقصيدة

---

(١) أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ١ ص ١١٠-١١١.

شكسبير، إذ قال : « وقصيدة شكسبير تختلف من أجل أن الخطيب كان مضطراً أن يداهن الذين يريدون إثارة الرومان عليهم . . ، وابن الرومي لم يكن في حاجة إلى مداهنة صاحب الزنج، فكان يسميه اللعين من أول الأمر، ويكيل له الهجاء صاعاً بصاع» (١) .

لهذا جاءت المقارنة غير متكافئة، ليس فيها إلا ذكر لتداعي المعاني في اشتراك القصيدتين في موضوع واحد، ومسألة الشعر العربي وقوته معلومة مؤكدة : « فالشعر العربي كثير جداً وافر جداً خصب جداً متنوع أشد التنوع متباين أعظم التباين لا يعرف له مثيل ولا نظير في شعر أمم العالم جميعاً على كثرة عددها وإختلاف أجناسها وتعدد لغاتها ، ولسنا نعني بذلك أن كل الشعر العربي رصين قوي أخّاذ نفاذ ولكننا نعني بذلك أن الجيد منه يفوق الجيد من الشعر في أي لغة كانت غير اللغة العربية وعند أي قوم كانوا غير العرب، أما الشعر الإنجليزي في الأدب الإنجليزي فلا يحتل هذه المكانة التي يحتلها نظيره في الأدب العربي، ولو استطعنا أن نجرد الشعر الإنجليزي من شعر شاعر واحد كبير، لأصبح الشعر الإنجليزي شعراً آخر ، ولاحتل مكانة أخرى غير التي يحتلها الآن بين الأدب العالمي ، ذلك الشاعر الفحل المجيد هو شكسبير » (٢).

---

(١) عبد الرحمن شكري ، بين شكسبير وابن الرومي ، الرسالة ، العدد ١٤٣ ، محرم ١٣٥٥هـ ، مارس ١٩٣٦ ، ص ٤٩٩ .

(٢) محمد سيد أحمد ، مقارنات بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي، المنهل ، العدد ٧ رجب ١٣٦٥هـ - يونيو ١٩٤٦ ، ص ٧٤ ، ٧٦ .

إذن قرر الأستاذ محمد سيد أحمد في العبارة السابقة تميز الشعر العربي، رغم شهرة شكسبير والذي ظهر من خلال المرتبة السابقة أنه أقل إجادة من الشعراء العرب ، فلماذا إذن هذا الافتتان الكبير بهذا الكاتب ؟ وهو عدو لله ولرسوله .

وكتب الأستاذ مصطفىٰ طه حبيب، السكرتير الفني لفضيلة الشيخ الأكبر شيخ الأزهر مقالاً بعنوان : « من الأدب الغربي مولد عبقرية » مجد شكسبير كثيراً، إذ يقول :

« أضحىٰ اسمه في فم الزمن عنواناً علىٰ المجد الخالد والعبقرية الفذة هذا الغلام هو وليم شكسبير »[1]، فالأستاذ حبيب يرىٰ أن شكسبير يصور في أعماله الأدبية صور العظمه ونفاذ البصيرة ، ويحلل النفس الإنسانية تحليلاً صادقاً عميقاً هو الحق بعينه ، إن عبارة « هو الحق بعينه » فيها مبالغة ومغالاة ، فليت الكاتب يقارب أو يقترب من الحق؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ هو العليم بحقائق الأنفس وما عليها، قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، وقال تعالىٰ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[3].

---

(١) مصطفىٰ طه حبيب ، من الأدب الغربي : مولد عبقرية ، رسالة الإسلام ، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص ٨٤-٨٥ .

(٢) سورة ق ، الآيه ١٦ .

(٣) سورة الشمس، الآية ٧، ٨ .

كما كتب أمين بكير « وليم شكسبير : مسرحه كل الدنيا » عنوان مقال نحىٰ فيه منحىٰ من سبقوه ، ويتضح ذلك أولاً في عنوان المقال وثانياً في الاستشهاد بأقوال بعض الكتاب، مثل لطفي السيد، الذي قال عن شكسبير : « إنه شاعر الإنسانية حيث تتجه أنظار شكسبير للتعبير عن نزعات الإنسانية الخالدة »[1]، ويرىٰ أمين بكير أناإستلهام شكسبير فكره من الأساطير اليونانية، ليؤكد أنَّ مسرحه هو كل الدنيا[2]، ومتىٰ كان استلهام الأفكار الوثنية والإلحاد مصدر الخير لهذه الدنيا ، ولكن هذه حكمة الله التي قضت بتدافع الحق والباطل في هذه الدنيا، قال تعالىٰ :﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[3]وقوله جل جلاله : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[4]، إن من قدر الله علىٰ الإنسان علىٰ هذه الأرض ضرورة تنافس الطاقات، واصطراع قوىٰ الشر والضلال والإلحاد مع قوىٰ الإيمان والخير، وهذه المعركة مستمرة بين الخير والشر منذ أن خلق الله الإنسان[5]، إشارة

---

(١) أمين بكير، وليم شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) مسرحه كل الدنيا، الفيصل، العدد ٢٠٤، جمادىٰ الآخر ١٤١٤ هـ، ص١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣)سورة البقرة، الآية ٢٥١ .

(٤) سورة الحج، الآية ٤٠ .

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج١ ، ص ٣٩٦ .

إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1]، وهكذا يصطرع الفكر الإلحادي والفكر النصراني والفكر الصليبي عند شكسبير الذي قيل : إن مسرحه كل الدنيا مع أن الحق في دين الإسلام ، وليس في مسرح شكسبير وإن وصف بأنه كل الدنيا .

في أحد مقالاته التي تضمنها كتابه (ساعات بين الكتب)، وتحت عنوان « شكسبير » كتب عباس محمود العقاد تعقيباً علىٰ ما كتبه شليجل عن البرومثيوث (الإله الذي صنع الإنسان في أساطير اليونان) ، وأن هذا الإله لا يخلق الإنسان فحسب ، بل يفتح أبواب عالم الجنة المسحور ، وفي هذا يعلق العقاد القول عن شكسبير وقدراته فيقول « هذه قدرة لم يضارع شكسبير فيها أحد من شعراء الأرض قاطبة ، ولم ينبغ في الغرب شاعر يسوغ للشهرة والعبقرية أن تسولا له التطاول إلىٰ مقامه ، إلا شهد له بهذه المنزلة التي لا تُطَاولْ ، واعترف بها اعتراف من يقر بعظمة الله ، فلا غضاضه فيها ولا عار»[2].

إن المطلعين علىٰ الكثير ممن يناصرون شكسبير ويقدسونه ويعظمونه ، ويتكلمون بعبقريته ودلائل شهرته لا يقولون بمساواته بعظمة الله ، فالله

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات ٢٤، ٢٥ .

(٢) عباس محمود العقاد ، ساعات بين الكتب ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م ، ص ٣٢٨.

سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ولعل هذا النوع من التفكير والإجلال والتقدير لشكسبير هو الذي جعل العقاد ينتحل الأعذار لهذا الكاتب في حديثه عن الإسلام ونبي الإسلام، حفاظاً علىٰ جلال هذا الكاتب، ولأن في الإسلام (كما يظن البعض) سماحةً تقبل حتىٰ الإساءة والتشكيك في وحي الله الذي هو وحي يوحىٰ علمه شديد القوىٰ فيقول العقاد : « إن شكسبير لم يكن يعرف عن الشرق شيئاً من تواريخه وأحواله أو مواقعه وأمكنته، يزيد علىٰ القسط الشائع بين أبناء زمنه ، مما تناقلوه عن الصليبيين ومن تقدمهم من رواد السياحه وطلاب الغرائب والأساطير ، وكلما وردت الإشارة إلىٰ الشرق في رواياته وقصائده، فهو شرق الطيوب والعطور وشرق الأسرار والخفايا ، وشرق الأرواح والجنة التي تفارق الهند لتلهو وتعبث في مفازة الغرب ثم تعود إليها، وربما حماه صدق البديهة فأورد تلك العجائب موردها من الفكاهة والتندر ، وربما أومأ إليها متسائلاً، كما أومأ إلىٰ قصة نبي الإسلام والحمامة في روايته الأولىٰ من تاريخ هنري السادس ، فقد كان محمد عليه السلام يوهم العرب في زعمهم، أنه يتلقىٰ الوحي من مَلَكَ في صورة حمامة تقف علىٰ كتفه، وتضع منقارها في أذنه ، لأنه كما زعموا عودها أن تلتقط الحب منها . وقد سمع شكسبير بهذه القصة وسمعها الأوربيون من رواة الحرب الصليبية. فلما أومأ إليها عرضاً لم يزد علىٰ أن يتساءل : أوكان محمد يسمع الوحي من حمامة ؟ إنك إذن

لتسمعيه من عقاب »[١].

هكذا دافع العقاد عن شكسبير ووصفه بالبراءة وحسن النية، مع أن شكسبير كان يأخذ معلوماته من كل المصادر التي يقع عليها، كما هو معروف وواقع، ولا يرىٰ أحد أنه كان حسن النية أو غير ذلك، فلقد كان يأخذ من تاريخ ملوك إنجلترا واسكتلندا، وتاريخ ملوك دول أوربا، ومن التراث الأدبي الإغريقي والروماني، وبالذات من بلوتارخ أو بلوتارك، ومن تاريخ العصور الوسطىٰ والحروب الصليبية، ومآثر النهضة في إيطاليا، ومن تاريخ هولنشيد . . إلخ، ولقد غفل العقاد عن أن السوء، كل السوء، سببه الحروب الصليبية التي أججت نار العداوة بين الإسلام والمسلمين، كما أن العقاد نسي قول الله تعالىٰ: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴿١٢٠﴾ ﴾[٢] بل إنه لم يتتبع بصورة شاملة وموسعة جملة ما كتبه شكسبير عن الإسلام والمسلمين مثله مثل الكثير من المفتونين بعبقرية شكسبير.

إن مسألة فكرة العربية والدم العربي في شخصية شكسبير هيمنت كثيراً علىٰ بعض الكتاب والأدباء والنقاد فقد كتب جريس القسوس يقول: «وفي روايات شكسبير خاصة من الحكم والكنايات والإشارات ما يثبت أن مؤلف هذه الروايات الخالدة كان ملماً بعض الإلمام بالأدب العربي وخاصة القديم

---

(١) عباس محمود العقاد، التعريف بشكسبير، ص ٢٢١ـ ٢٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

منه ولا نقول العكس ، لأن هذه القصص المتشابهة وردت في الآداب العربية قبل الإنكليزية بعهد طويل »[١] .

أما الدكتور صفاء خلوصي ، فلقد كتب بشيء من التفصيل في مجلة العربي مقالاً بعنوان : «شكسبير ملامح عربية في صورته وأدبه» . وصدّر الموضوع بجمل متقطعة هكذا :

* لكأنه كان عربياً في صورته وخلقه .
* ولكأنه كان عربياً في صوفيته وأدبه .
* وكأنما استقىٰ من قيس وليلىٰ في وصف الحب وعذريته .
* ومن ألف ليلة وليلة في وصف الحب وغيرته .

وكان هذا المقال صدر في الذكرىٰ الأربعمائة لشكسبير ، وقد نادىٰ خلوصي العرب بقوله : « فما أجدر العرب بإحياء ذكراه إحياء لعبقريته وعُروبته »[٢]، مؤكداً أن الطابع العربي ملازم لشخصية شكسبير وأدبه أبداً. وينطلق خلوصي لتوثيق آرائه بأقوال متعددة، وذلك بإمعان النظر في صورة شكسبير الزيتية، المعروفة باسم «دافينانت» Davenant المحفوظة في الصالة الوطنية للصور الزيتية في لندن ، فيقول : إن أول ما يلفت النظر في الصورة: الأقراط الموجودة علىٰ أذني شكسبير ، وهذا شأن الشعوب

(١) جريس القسوس ، الرسالة ، العدد ٢٠٧ ، ربيع الثاني ١٣٥٦هـ-يونيو ١٩٣٧م ، ص ١٠٢٤.

(٢) صفاء خلوصي ، شكسبير ملامح عربية في صورته وأدبه ، العربي ، العدد٥٦ ، صفر ١٣٨٣هـ ، يوليو ١٩٦٣م، ص٥٨ .

الشرقيه ورجالها ومنهم العرب، كما تذكر دائرة المعارف، فيقول خلوصي : «وليس بدعاً أن يحمل شكسبير قرطاً وهو الرومنتيكي المتصوف ، ففريق من المتصوفة عندنا لا يزالون يحلّون آذانهم بالأقراط »[١]، ثم أورد سبعة أسباب عن صورة «دافينانت» واحتفاظ وليم «دافينانت»، بها وأنه ابن غير شرعي لوليم شكسبير ، وغيرها من التعليلات والبراهين ، بعد ذلك يستطرد خلوصي ليتحدث عن العناصر العربية في مسرحيات شكسبير وعلىٰ الأخص في (عطيل)، و(تاجر البندقيه) ، و(روميو وجوليت) ، و(مكبث)، و(العاصفة) ، ويعزز القول بأدلة توضح مصادر عقد وحبكات قصة كل مسرحية من ألف ليلة وليلة ، وموضوع (قيس وليلىٰ)، وغيرهما . كما أن خلوصي يرىٰ بعض صور التصوف العربي في مسرحيات شكسبير كما هي الحال في مسرحية (ريتشارد الثاني)[٢].

ثم ينتهي صفاء خلوصي في الجزء الأخير من مقاله وتحت عنوان «الأفكار العربيه الإسلامية في مسرحيات شكسبير »، فيقول : « أما الأفكار العربية والإسلامية في ثنايا المسرحيات الشكسبيرية فأكثر من أن تكون مجرد مصادفات عابرة وتطابق أفكار عارضة . وإلىٰ ذلك فالرجل محب للعرب غاية الحب ، فمن مظاهر حبه للعرب أنه يمجد الصفات العاليه في شخص عربي كعبد الله المغربي (اوتلو)، فقد جعله مثلاً أعلىٰ في

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ ـ ٦٢ .

الشهامة والرجولة والغيرة علىٰ الأرض والشرف »[١].

ثم يعود المؤلف ليؤكد ضرورة احياء ذكرىٰ شكسبير العربي خصوصاً في المدن والدول العربية التي أوردها في مسرحياته؛ مثل مصر وسوريا والعراق وطرابلس وصور وحلب ودمشق والقدس والإسكندريه[٢].

ومن الشك إلىٰ مجال التخيلات والتكهنات التي لا تثبت إلا بسمة البحث العلمي، الخالي من الحماس المتدفق علىٰ حساب التعقل في إطلاق الأحكام وإصدارها، يكتب صفاء خلوصي مقالاً بعنوان « لم يكن شكسبير إنكليزياً، إنما كان عربي الأرومة»، وذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. فيؤكد بالعديد من الأقوال بأن شكسبير وصورته لا تدل علىٰ أنه من أصل آري، إذ أن جل ملامحه سامية عربية يحمل جمال المحيا الرجولي عند العرب، أنف سامي طويل، والجبين العربي الواسع، والشفاه الممتلئه شهوة وعراقة، والوجه الذي يجمع بين الطول والعرض باعتدال، ليس بالوجه الآري الطويل أو السلافي المستدير ، وأغلب الظن أنه كان أسمر حنطياً، بعيداً عن اللون النورمندي المعروف ، وهذا يؤكد تغزله بالسمراوات. « نعم، تغزل شكسبير بالسمراء كأي شاعر عربي ، في حين أنه كان محاطاً بملايين السكسونيات الشقروات ، ولو اقتصر غزله بهذه السمراء علىٰ مقطوعة أو صوناتا واحدة لهان الأمر ، ولكنه يشمل سبعاً

---

(١) المرجع السابق . ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق.

وعشرين صوناتا ، فهي تضم السلسة الثانية من سلسلتي (صوناتات) شكسبير ، التي تبدأ (بالصوناتا) السابعة والعشرين بعد المائه، وتنتهي (بالصوناتا) الرابعة والخمسين بعد المائة ، وهي آخر (صوناتا) نظمها الشاعر»[(١)] ، وينزلق الدكتور خلوصي، وكأنه يريد أن يزيد في تأكيد عروبه شكسبير، ليقول بإسلامه: « ونجد في بعض صور شكسبير شارباً بسيطاً مع لحية ، تمشياً مع القاعدة الإسلامية من حيث حلق الشوارب وإطلاق اللحىٰ»[(٢)] .

وعن لغة شكسبير نحواً وصرفاً وإملاءً يرىٰ الدكتور خلوصي في ضعف شكسبير في قواعد اللغة الإنجليزية دليلاً يرجح انحداره من أصل غير إنجليزي ، ذلك أن أخطاء شكسبير النحوية والعروضيه والإملائية متأتية «عن نقص في ثقافته، أو عن كونه منْ أصل أجنبي، أو من كليهما معاً»[(٣)] . إن الذي رآه خلوصي ضعفاً في قواعد وكتابة اللغة الإنجليزية، كان سمة لغة عصر النهضة غير المستقرة، ثم ما الذي يعرفه خلوصي عن تطور اللغة الإنجليزية، وإملائها وقواعدها عبر العصور، وهو ما لايستطيع الحكم عليه سوىٰ المتخصصين في تاريخ اللغة الإنجليزية وتطورها من العصر

---

(١) صفاء خلوصي ، لم يكن شكسبير إنكليزيا إنما كان عربي الأرومة ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق ، ج٣ ، مج ٥٢ ، رجب ١٣٩٧هـ - يوليو ١٩٧٧م ، ص ٦٦٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣)المرجع السابق، ص ٦٦٩ .

الأنجلوسكسوني حتىٰ اليوم. ويستطرد خلوصي ليؤكد عروبة شكسبير في ما تضمنته مسرحياته من النزعة العربية في ذكر الخوارق والسواحر والأشباح، وذكر الخيول والطيور العربية، وذكر العطور والزهور المعروفة في بلاد العرب. وينتهي خلوصي ليختم مقاله بالعبارة التالية: «واللغة الإنجليزية لغة نثر، والعربية لغة شعر، وقد استطاعت عبقرية شكسبير العربية أن تمنح الإنجليزية القدرة الكاملة علىٰ الأداء الشعري الذي لم تعهده من قبل، فعلىٰ هذا، فإن الإنجليز مدينون للعرب بأقدس ما لديهم، وهو لغتهم بأسمىٰ معانيها الشعرية»[١].

إن كتابات الدكتور خلوصي فيما ذكرناه أعلاه تتسم بسرد الأمور والأقوال والأوصاف، والزج بها بأدلة واهية، واستنباط النتائج والأفكار بغير ما هي عليه من الواقع، وهذا ما أنكره فارس حازم علىٰ هذه الآراء الغريبة التي جاءت في كتابات الدكتور خلوصي، فيقول فارس حازم: «قرأت في العدد السادس والخمسين من مجلة (العربي) الغراء مقالاً للدكتور صفاء خلوصي عن (شكسبير)، تملكني العجب، حيث انتهيت من قراءته، إذ إن الدكتور يكتب في باب اختصاصه، وهو حجة لا يطعن بمعلوماته الأدبية، وهو دائماً الأديب الجاد، فتساءلت: هل كان أستاذنا يمزح في مقاله ذاك أم يتهكم؟»[٢]، وبعد هذه الاستهلالة أوضح فارس

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فارس حازم، العربي، العدد ٥٨، ربيع الثاني ١٣٨٣هـ - سبتمر ١٩٦٣هـ، ص ٦.

حازم في مقاله الأمر، بحيث يرىٰ أن من يتكلم عن العرب وأحوالهم وحياتهم وعطورهم وخيولهم، أو أن له أفكاراً عربية لا يكون عربياً فيقول فارس حازم : « لكم أود أن أقتنع بالرأي الغريب الذي جاء به الدكتور خلوصي ، علىٰ كل حال هذا رأي يتضمن ما لا أرتضيه لأنفسنا نحن العرب. فلدينا من الثروة الأدبية الشيء الكثير ، ومن المجد الأدبي والتاريخي ما يكفينا ، وما نستطيع أن نعتز ونفخر به، دون أن نستعير أدباء أجانب نؤكد عروبتهم »[1].

هذا كلام واقعي، يدل علىٰ الصدق والثبات؛ لأن رأي خلوصي لا يمكن الاقتناع به لبعده عن أبسط قواعد البحث العلمي.

ورغم مقولة فارس حازم التي كان يجب الاكتفاء بها للرد علىٰ الدكتور خلوصي ، إلا أننا نجد الدكتور خلوصي يدافع عن نفسه في عدد لاحق من أعداد مجلة (العربي)، وقد اتسم الدفاع بشيء من التناقض والاضطراب، فهو ينفي أنه دعا إلىٰ استعارة شكسبير قائلاً : « حاشا لله ، ما دعوت إلىٰ شيء من هذا ، وإنما أردت أن أبين مدىٰ ما يدين به الشاعر الإنكليزي للعرب من حيث ملامحه الجثمانية، ومقومات أدبه. . فالمعنيون بدراسة الأدب المقارن والنقد الأدبي ، قلما يلتفتون إلىٰ الأدب العربي الالتفاتة التي يستحقها حين يحاولون إرجاع الأنماط الأدبية إلىٰ أصولها الأولىٰ »[2]، ثم

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧.

(٢) صفاء خلوصي ، لم نستعر شكسبير وإنما أثبتنا ما يدين به لنا ، العربي ، العدد ٦٠ ، جمادىٰ

إن الدكتور خلوصي خروجاً من المأزق الذي وقع فيه نتيجة لرد فارس حازم، يبين أنه لم يدع إلى استعارة شكسبير، لإغناء الأدب العربي، بل إنه كان يبين فضل الأدب العربي على شكسبير فيقول: « وليس شكسبير وحده مديناً للأدب وبكاشيو ودانتي وثاوذي، وتينيسن وعشرات غيرهم، ولكننا لم نتعرض لهؤلاء حتى الآن على وجه التفصيل، إذ الأفضل تركيز هجومنا على الحصن الأدبي الكبير : « شكسبير »، فإذا ما سقط بأيدينا واعترف العالم بدينه الأدبي لنا، استطعنا بكل سهولة أن نبرز دَيْن الأوربيين الآخرين. هذه الحركة أعمق غوراً من مجرد إستعارة شاعر أجنبي لإثراء أدبنا، فأدبنا ولله الحمد غني بما لا يقل عن ثلاثمائة شاعر مبرز منذ الجاهلية حتى يوم الناس هذا، هذا عدد لا تجد ما يضارعه أو يقاربه في أي أدب في العالم »[1].

إن الدكتور خلوصي بهذه العبارات يذر الرماد في وجوه المتهمين له أو المنكرين عليه بما أسماه هو نفسه في مقاله « الضجة حول العناصر العربيه في الأدب الشكسبيري »[2]، ليس ثمة شيء من هذه الأقوال ورد ضمن أفكار وطرح الدكتور خلوصي في مقاله، إنما كان يؤكد عروبة شكسبير، وحث العرب على إحياء ذكراه إحياءً لعبقريته وعروبته. وقد أراد أن يتنصل مما

الآخرة ١٣٨٣هـ نوفمبر ١٣٩٦م، ص٦ .

(١) المرجع السابق، ص ٦ ـ ٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦ .

أدين به، ولم يَصْدقْ الدكتور خلوصي في كلامه الذي ذكره[١]، ولا أدل على ذلك أنه وبعد مرور ما يزيد عن أربعة عشر عاماً، عاود الكرة عندما كتب مقاله الذي أشرنا إليه أعلاه وعنوانه «لم يكن شكسبير إنكليزياً، إنما كان عربي الأرومة»، ليؤكد عروبه شكسبير، ظناً منه أن الباحثين قد نسوا ما ذكر في الستينيات وما حدث بينه وبين فارس حازم، وهو أي خلوصي بهذا الأسلوب، إنما يدس الأفكار ويراوغ القراء، وكأنه يقول عن شكسبير إنه عربي وعجمي .

ومن فكرة عروبة شكسبير، والملامح العربية في صورته وأدبه، ننتقل إلى الملامح الإسلامية في أدب شكسبير، هكذا كتب الدكتور محمد أبو بكر حميد في مقاله الذي يحمل عنوان: «ملامح إسلامية في إبداعيات شكسبير»، وبخطوط عريضة تقدمت مناقشة الموضوع، إذ نجد عبارة: «القراءة الواعية لمسرحيات شكسبير من منظور إسلامي تضعنا أمام جوانب الاتفاق معه أكثر من جوانب الاختلاف»، ينظر الكاتب إلى ظاهرة عقوق الوالدين في مسرحية (الملك لير)، ويبين تأكيد الإسلام على وجوب بر الوالدين وعدم عقوقهما، ثم يبين آثار الاعتداء على الآخرين وسلبهم حقوقهم المادية والمعنوية، ويظهر كيف أن شكسبير في مسرحية (مكبث) صوّر أن في القصاص حياة للناس وفق هدي الإسلام . ويستطرد الكاتب ليشرح تبعات الوشاية والدس في موقف ياغو مع عطيل في مسرحية

---

(١) صفاء خلوصي، شكسبير: ملامح عربية في صورته وأدبه، ص٥٨ .

(عطيل) ، وهنا يستشهد المؤلف بقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ ﴾ (١)
وهذا ما حصل بالفعل من عطيل عند سماعه أقوال ياغو ، فأقدم علىٰ قتل محبوبته دزدمونه . وبمثل هذه الأفكار المرسلة التي لا تعتمد علىٰ دليل أو برهان ، أطلق حميد العنان لنفسه ليمجد شكسبير ، ويدعو القراء لقبوله وقراءته لأنه يكتب من منظور إسلامي ، فيقول : «وهكذا فإن القراءة الواعية لمسرحيات شكسبير من منظور إسلامي ستضعنا أمام جوانب الاتفاق معه أكثر من جوانب الاختلاف ، لأنه كتب أدباً إنسانياً رحباً واسع الأفق يتفق مع الرؤية الإسلامية في كثير من الجوانب أكثر من اتفاقه مع النظرة المسيحية » (٢).

إن هذا النوع من المبالغة في تعظيم شكسبير وغيرها كان الدافع والباعث الرئيس في كتابة هذا البحث ، لإجلاء الحقيقه وإظهار الحق أمام القراء العرب والمسلمين ، حتىٰ لا يُخدعوا كثيراً بمثل هذه الأقوال العارية من الحق ، الخالية من الصحة والصواب . ولقد أوضحنا في مقدمة الكتاب أسماء بعض المراجع التي تبين نصرانية ومسيحية شكسبير إن لم نقل وصليبيته ، ومع هذا لا نزال نسمع مثل هذه الأقوال الباطلة الفاسدة .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٦ .

(٢) محمد أبو بكر حميد ، ملامح إسلامية إبداعيات شكسبير ، المنهل ، العدد ٤٨٠ ، شوال ـ ذو القعده ١٤١٠هـ مايو ـ يونيه ١٩٩٠م ، ص ١٩٢ .

شكسبير ومنظوره الإسلامي : « وسواء سمع عن الإسلام أم لم يسمع فلا شك أن شكسبير كان مؤمناً بالله وبرسالة الأديان الحقة على أنها هداية للإنسان من الظلمات إلى النور »[1]، إن هذه الأغلوطات إذا ما بسطت أمام أصحابها، قالوا : نحن نتكلم عن الأدب والفن . نعم هذا صحيح ولكن اليس الأدب يعبر عن فكر وعن عقيدة ؟ وأجناس الأدب هي أداة التعبير عن ذلك الفكر أو تلك العقيدة . فلم يكن الإسلام فناً أو أدباً بل هو دين وعقيدة، لهذا فقد هاجم شكسبير تلك العقيدة، وهاجم نبيهاﷺ وما جاء به من حق وشريعة سمحاء. فعلى الإنسان أن يكون واضحاً فيما يقول ولا يتأرجح بين العاطفة والهوى، والحق أحق أن يتبع .

إن النماذج التي استعرضناها فيما سبق لتؤيد ما ذهبنا إليه في أهمية إماطة اللثام عن اتجاه ونزعة وفكر التنصير في مسرحيات شكسبير، مع بيان هجومه على الإسلام والمسلمين، لكي نبين سفاهة التقليد الأعمى، والمتابعة الضالة في تمجيد هذا الكاتب، ووصفه بصفات أكثر مما يستحق وجعله في منزلة أكثر من منزلة الأنبياء والرسل، بل وأحياناً مساواته في عظمته بعظمه الخالق البارئ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وحقاً إن هذا التقليد ما أنبأ به المصطفى ﷺ، فقد روى الشيخان البخاري ومسلم : أن النبي ﷺ، قال : « لتتبعن سَنَنْ من قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه » قلنا : يارسول الله ، اليهود

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

والنصارىٰ ؟ قال : « فمن »[١].

هكذا فعل كتاب وأدباء ونقاد العرب والمسلمين في متابعة كتاب اليهود والنصارىٰ إستطالة للشرف بهذا الأديب النصراني، أو نحو ذاك، بالرغم من أن فريقاً من اليهود والنصارىٰ يضع شكسبير في أسفل سافلين، كما فعل تولستوي ومارك توين وكثير من أتراب شكسبير ومعاصريه دون محاباة أو تزلف أو تملق، لنظرتهم نحوه بأنه لايبلغ مستوىٰ الأدب العظيم الذي يقدرونه هم، وهذه مسألة دنيوية، فما بالك والأمر يتعلق بأمور الدين والشريعة والعقيدة والنبوة . . . إلخ فكيف نجعله النبي، ونجعله مخلد الفكر، وحسن النية، وأديب الإنسانية وما إلىٰ ذلك من الأوصاف ؟ .

---

(١) رواه البخاري ج ٣/ ٣٢٦٩ (٦٨٨٩). رواه مسلم ج٤/ ٦(٢٦٦٩).



الباب الثاني

مكونات التراث الفكري في نشأة شكسبير

مكونات التراث الفكري في نشأة شكسبير

التراث الإنجليزي:

يتميز عصر النهضة بمميزات كثيرة (وهو العصر الذي ولد فيه شكسبير، وظهرت فيه معظم مؤلفاته المسرحية) في إنجلترا عن غيره في البلدان الأوربية، لا سيما في فرنسا وإيطاليا ، ومرد ذلك عوامل متعددة منها الظروف السياسية والاجتماعية التي حكمت تطور المجتمع الإنجليزي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين . وإذا كان عصر النهضة في فرنسا ارتبط بالنهوض باللغة الفرنسية وأدبها، باعتبارها وسيلة للتعبير الأدبي الناضج ، وإذا كان عصر النهضة في إيطاليا تميز بثورة الفن والفكر، وإحياء الموروث الأدبي في الحضارة الإغريقية اليونانية، والحضارة الهيلينية الرومانية ، فإن عصر النهضة في إنجلترا اتسم بطابع سياسي، كان هدفه تحقيق الوحدة الفكرية بدعم المؤسسات السياسية والاجتماعية والدينية، ووضع حد لمجتمع العصور الوسطى للانطلاق نحو الجوانب الروحية والمادية فكرياً واجتماعياً، تخلصاً من سيطرة الدين وقيوده على الأشخاص ورغباتهم، وعلى الدولة، وخصوصاً تسلط الفاتيكان والبابا ، ولم يكن عصر شكسبير وبيكون ورالي واليوت وهوكر وغيرهم إلا نتيجة صراع اجتماعي وديني طويل، امتد طوال قرنين من الزمان، يتطلع إلى النهوض

الحضاري والفكري والاقتصادي، وتحقيق الإصلاح الوطني.

ومع أن عصر النهضة كما أشرنا سابقاً ـ كان يهدف إلى الوحدة الفكرية، إلا أنه اعتمد على الالتزام بالصيغ التقليدية القديمة، والعمل على تطويرها كسبيل للانتقال إلى العصر الحضاري الحديث لبريطانيا، وظهرت آثار عصر النهضة بمقوماته المذكورة في النصف الثاني من القرن السادس عشر إبان تولي الملكة اليزابيث الأولى سدة الحكم في بريطانيا حيث كرست جهودها لتحقيق الوحدة الفكرية.

ويمكن للقارئ أن يتحسس بصمات الخلفية الفكرية في الأعمال الأدبية التي ظهرت في ذلك العهد، والتي تمثل انعكاساً حقيقياً تجاه تقوية أواصر الوحدة الفكرية، ودعم أسس الاستقرار الاجتماعي، والحفاظ على مكانة النظام السياسي، مع التمسك ببعض الصيغ الفكرية الموروثة عن العصور الوسطى، وهذا ما نجده في أعمال الكاتب الإنجليزي المشهور وليم شكسبير.

وقبل أن نخوض في الحديث عن الانعكاسات الفكرية في مسرحيات شكسبير، وإظهار الجوانب الفكرية للتنصير، رأينا من المناسب أن نقدم في عجالة سريعه تعريفاً للكاتب المسرحي وليم شكسبير (مولده، نشأته، تعليمه، خبراته، أدبه)، وقد لا يكون من الضروري أن نقدم ترجمة لكاتب طبقت شهرته الآفاق مثل شكسبير، ولكن قد يكون من المفيد في دراسة نقدية كالتي بين يدي القارئ، أن تترجم لهذا المؤلف حيث إن ذلك يجعل

القارىء يتعرف (من خلال التكوين الأسري الاجتماعي، والتكوين الفكري الديني) علىٰ المسوغات التي أدت أو حدت بشكسبير أن يضمن أعماله المسرحية أفكاره التنصيرية (التي هي صلب هذه الدراسة ومضمونها)، والتي تقوم اساساً علىٰ الموروث الفكري والديني والأدبي في الأدب الإنجليزي كما سنبين ذلك قبل التعريف بشكسبير لأن ذلك ارتكاز في معرفة أدب شكسبير .

لا شك أن الإنتاج الأدبي لدىٰ أمة من الأمم أو أديب من الأدباء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث العام المكوّن لتلك الأمة ، مما يكون له كبير الأثر في تشكيل الأعمال الأدبية للكتّاب والأدباء ، وأن عوامل تكوين التراث متعددة ومختلفة، فمنها المؤثّرات التاريخية، وعلاقات الأمم بعضها ببعض ، ومنها المؤثرات البيئية لطبيعة البلدان ، ومنها المؤثّرات الدينية والثقافية ، وقد تكون هذه العوامل جميعها أو غيرها الأساس الذي يشكّل الخلفية الكبرىٰ لتراث أمة من الأمم ، ونحن عندما نتحدث هنا عن شكسبير والتراث الغربي، إنما نركّز علىٰ تأثير التراث في نمو المسرحية في الأدب الإنجليزي، ومدىٰ تأثير ذلك في الإنتاج الأدبي في فن المسرحية عند شكسبير ، ذلك كما يذكر الناقد المشهور ت . س إليوت T.S Eliot ١٨٨٨ـ ١٩٦٥م .

إن التراث له قيمة خاصة ومؤثّرة فيما يتّصل بالتكوين الأدبي للكاتب فيما يتوارثه الخلف من السلف وما يطرأ علىٰ ذلك من تغّيرات . كل ذلك يذكره إليوت في إحدىٰ مقالاته بعنوان التراث والموهبة الفردية Tradition

and the Individual Talent [1]، فالتراث ليس مجّرد وعاء يحتوي الأديب، بل إن الأديب يعد جزءاً منه، وعنصراً من عناصر مكونّاته ومفهومه. فالأديب يستفيد من التراث باعتباره جزءاً منه، ولكنه ينفرد ويتجرد عنه بما يضيف إليه من عوامل الجدّة والتطوير، حتىٰ لا يكون عمله مجرّد تكرار لِما سبق أن أنتجه السلف . وإذا ما عرفنا أن المسرحية في الأدب الإنجليزي التي ظهرت بداياتهافي القرن العاشر الميلادي قد قامت علىٰ الأسس الفنية للأدب المسرحي عند الإغريق والرومان [2]، عرفنا وأدركنا الأصول التي تمثّل التراث الثقافي لفن المسرح عند شكسبير.

وتذكر كتب الأدب العالمي والأدب المقارن أن نشأة المسرح عند الفراعنة في مصر موغلة في القِدم، إذْ أن الفراعنة سبقوا الإغريق القدماء في فن الأدب التمثيلي، خصوصاً المسرحيات الدينية التي كانت تُقام لذكرىٰ موت أوزيريس ، بينما يذكر بعض النقّاد أن المسرح الإغريقي يعتبر الرائد الأوّل للمسرح العالمي، وكان من الروافد الأولىٰ لقيام الأدب التمثيلي في كثير من آداب الأمم الغربية في إسبانيا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وبريطانيا بل لقد كان فنّ المسرح عند الرومان في نشأته الأولىٰ عالة علىٰ الأدب اليوناني. ولقد قامت فكرة المسرح لدىٰ الإغريق علىٰ أساس إحياء الطقوس الدينية الوثنية في تقديس الآلهة بمثابة نوع من العبادة، ولقد كانت

---

(١) T.S Eliot, Selected Essays, Faber and Faber Ltd., London, 1915, PP. 13 - 12.

(٢) Allardyce Nicoll, British Drama Harrap, London, 1978, PP. 1 - 14 .

ملاحم الشاعر اليوناني هوميروس، ومنها «الإلياذة» و«الأوديسة» تمثّل منهلاً كبيراً ومجالاً خصباً لعروض المسرح اليوناني فيما استقاه أدباء اليونان العظام لأعمالهم المسرحية، كما هو موجود في الإنتاج الأدبي عند أسخليوس Aeschylus، ويوربيبيدس Euripdes، وسوفكل Sophocles. ولقد جعلت المسرحيات اليونانية تتحدّث عن مواضيع ارتبطت بالآلهة أو الأبطال الخرافّيين والملوك، وما تمثّله من صراع ينشأ بين الآلهة الكبرىٰ والآلهة الصغرىٰ أو بين الآلهة وبين الأبطال من البشر. ويتركز هذا الصراع حول مسألة القضاء والقدر المبني علىٰ جبرية القدر، وحتميّته في مصير الإنسان، وأبرز مثال لذلك ما يوجد في مسرحية (أوديب) التي كتبها سوفكل.

من هذه المنطلقات الدينية بدأ الأدب التمثيلي ينتشر من اليونان إلىٰ آداب الأمم، فقد تأثر الأدب الروماني بادئ الأمر بالمسرحية اليونانية في مواضيعها الدينية وأهدافها العامة التي أحيطت بالمهابة والقدسية والاهتمام بالإيقاعات والأناشيد التي يعرض فيها أداء الطقوس الدينية، واستمر الأمر كذلك لفترة طويلة حتىٰ ظهرت فرق من المنبوذين والأرقّاء احترفت التمثيل، فبدأت المسرحية الرومانية تخرج عن الإطار الديني إلىٰ العبث والانحلال وعرض الرذائل[١].

---

(١) أحمد شوقي قاسم، المسرح الإسلامي: روافده ومناهجه، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٠، ص ٧ ـ ٢٠.

وبينما كان المسرح الروماني غارقاً في الانحراف، وهو من روافد المسرحية في الآداب الغربية ، كانت النصرانية تنتشر في أوروبا بعد عهود الوثنية الطويلة ، ولقد كانت المسرحية من أهم وأبرز الوسائل التي اعتمد عليها في نشر القِيَم الجديدة للإصلاح الخُلُقي والديني والاجتماعي بين الناس، لما كان يسود بينهم من الأفكار الوثنية والانحرافات، خصوصاً ما كان موجوداً في المسرح الروماني بعد ما نأىٰ عن المجال الديني ، ومنذ القرن الثاني عشر الميلادي وحتىٰ نهاية القرن السادس عشر، كانت المسرحية الدينية في أوج مجدها وازدهارها في الغرب ، ففي الأدب الإنجليزي والفرنسي والإسباني ظهرت المسرحية الدينية مستقاة من النصرانية المحرّفة ، إذْ كانت الغالبية العظمىٰ من المسرحيات في ذلك الوقت مبنية علىٰ قصص دينية، كقصة خلق آدم وحوّاء وقصة مريم العذراء، وقصة نوح عليه السلام وطوفانه ، وقصة قابيل وقتله لأخيه هابيل . . إلخ [(١)] ، التي تعكس في جملتها الطقوس النصرانية، وما يتخلّلها من أساطير وعقائد فاسدة، سادت كتب الأناجيل المتعدّدة، المحرّفة تحريفاً فكرياً وعقدياً وتاريخياً عن أصولها التي أوحىٰ اللّه بها إلىٰ أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليه أجمعين .

ولقد كان القصد من هذه المسرحيات هو تعريف الناس بالدّين النصراني وتعليمهم أمور دينهم حتىٰ يرتبطوا به ارتباطاً وثيقاً ، ولقد ظهرت في

---

(١) انظر: A.C. Cawley (ed.) Everyman and Medieval Plays J.M. Dent and Son Ltd. Lonodon 1974,PP.V-XXii.

الآداب الغربية ـ ومنها الأدب الإنجليزي ـ أنواع متعدّدة من المسرحيات الدينية وهي كالآتي :

النوع الأوّل : وكان يُسمىٰ بالمسرحيات الأخلاقية Morality Plays، وهو يكتب عادة للطبقة المثقّفة والمتعلّمة من أبناء المجتمع فقط، وتهدف إلىٰ إعطاء دروس أخلاقية للناس لمعرفة ما لهم وما عليهم .

والنوع الثاني : ويسّمىٰ بالمسرحيات الإعجازية، أو مسرحيات المعجزات Miracle Plays وهذا النوع يتعلّق في موضوعاته بمواقف الإعجاز التي وردت في الإنجيل عن شخصيات الأنبياء والرُّسُل والرهبان والقسس[١] .

والنوع الثالث : وهو المعروف باسم مسرحيات الأسرار Mystery Plays ، وتتضمن موضوعاتها أسرار الدين ، مثل سرّ القُربان المقدّس وأسرار الطقوس الخاصة بالمهن والمصائر والحرف[٢]، وتقوم فلسفة هذه المسرحيات أيضاً علىٰ مسألة الخطيئة والقصاص والغفران وهو أن الإنسان مسؤول عن خطيئة غيره ، الخطيئة الأولىٰ لأبي البشر آدم عليه السلام[٣] .

---

(١) انظر : Allardyce Nicoll, Drama, P.58.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ـ٨٠ .

(٣) أنور الجندي، خصائص الأدب الغربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ب ت ، ، ص ٣٦١.

ولقد كان الأدب المسرحي في أوروبا منذ ظهوره وحتىٰ عصر النهضة يُعدّ بمثابة مؤسسة دينية نصرانية، تقدّم للجمهور ما في التوراة والإنجيل من أخبار الأمم السابقة وأحوال الرُّسّل وهي محرّفة ومشوهة لِمَا فيها من مغالطات فكرية، وطمسٍ لوقائع تاريخية، حتىٰ في سرد أحداثها. ويلاحظ أنها متأثَّرة بالأساطير اليونانية والرومانية، بل لجأت إلىٰ تجسيد الوثنية في حقّ اللّه سبحانه وتعالىٰ، واعتباره شخصيةً من الشخصيات تقف علىٰ خشبة المسرح للتمثيل والكلام، مثله مثل بقية الشخصيات، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيرا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

واستمرت الآداب الغربية فيما يخص الأدب التمثيلي تعتمد علىٰ الأعمال المسرحية المرتبطة بالنواحي الدينية إلىٰ حين ظهور عصر النهضة، حيث ظهر الإحساس بالقومية الوطنية في الوصول إلىٰ الأصالة والكتابة عن الحياة الإنجليزية، والتاريخ الإنجليزي مثلاً، وظهر الكثير من هذه الروايات التي فُقِد معظمها، والكثير منها لا يُعرف كاتبوها، وكلها تصوّر حياة العصور الوسطىٰ، وحياة الملوك والنبلاء والشخصيات التاريخية، وحياة الفروسية، وتركّز في عناصرها علىٰ الوحدات الثلاث في المسرحيات والقصص التي قال بها أرسطو في كتاباته عن نقد الشعر، وهذه الوحدات تمثِّل وحدة الزمان والمكان والحدث، وقد اشتملت المسرحيات علىٰ تقسيمات محدّدة، فظهرت الملهاة والمأساة والمسرحية التاريخية، وهذا يتضح في أعمال الكتّاب المسرحيَّين السابقين واللاحقين والمعاصرين

لشكسبير [١].

إذن، فالتراث الثقافي الذي ينتمي إليه وليم شكسبير هو التراث الغربي بحدوده الجغرافية الواسعة من اليونان شرقاً إلىٰ المحيط الأطلسي غرباً ، ويشتمل علىٰ مكوّناته الأساسية، وهي الفكر اليوناني، والقانون الروماني، والدِّين المسيحي. وركيزة الفكر اليوناني، وتشريعات الدِّين المسيحي لهما بالغ الأثر في تشكيل الإنتاج الأدبي، وتوجيهه في الغرب بكل آدابه في ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وروسيا . . إلخ . وقد امتد هذا التأثير إلىٰ حين العصر الحديث، وخصوصاً بعد الثوراث القومية، كما في فرنسا وإسبانيا مثلاً والثوراث الصناعية في معظم بلدان أوروبا كما في بريطانيا علىٰ سبيل المثال. والملاحظ أن المسرحية كانت تحت تأثير التوجيه الديني في اختيار الموضوعات ، أمّا فيما يتصل بتأثير الفكر الإغريقي، فقد ظلّت المسرحية ـ كما أشرنا سابقاً ـ تستمد شكلها العام وموضوعاتها وتقاليدها ومادتها من هذا التراث ، حتىٰ ليمكن أن يقُال إنّه لولا المسرحية اليونانية، لما عرفت الآداب الأخرىٰ هذا اللون الأدبي علىٰ الإطلاق.

هكذا إذن تأثّر شكسبير بالتراث الكلاسيكي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فقد سبق أن أوضحنا بأن الرومان نقلوا عن اليونان الفن المسرحي إلىٰ أدبهم، وتأثّروا به تأثراً كبيراً ، فقد كانت الإمبراطورية الرومانية

---

(١) انظر : Emile Legouis, A Short History of English Literature, The Clarendon Press, Oxford, 1976,PP.199-121.

مزدوجة اللغة، إذْ كانت الإغريقية لغة الحياة الرفيعة، يقرأها ويكتب بها أبناء الطبقة العُليا في المجتمع، في حين كانت اللغة اللاتينية للطبقات الأخرىٰ، وبعد ذلك أصبحت اللغتان تعبّران عن تراث واحد، وهو التراث الكلاسيكي، إلىٰ أن تكونت الدولة الرومانية الشرقية، فأصبحت لغتها الإغريقية، وكانت اللاتينية لغة الدولة الرومانية الغربية، وظلت الإغريقية سائدة في الدولة الرومانية الشرقية إلىٰ حين الفتح الإسلامي التركي للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، وهذا هو بداية عصر شكسبير، إذْ إنه «هو عصر النهضة في إبان ازدهاره، وهو العصر الذي اصطلحوا علىٰ تحديده من منتصف القرن الخامس عشر إلىٰ نهاية القرن السابع عشر، ويبدأ من فتح القسطنطينية وينتهي عند أوائل القرن الثامن عشر»[1] بعد انتهاء حرب الوردتين عام ١٤٨٥م.

والواضح أن شكسبير تأثّر في إنتاجه الأدبي، وتكوينه الفكري بالتراث الكلاسيكي، وتراث القرون الوسطىٰ بالذات، ومنه التراث الروماني الذي تأثّر به أكثر من تأثره بالتراث الإغريقي، كما يتضح من قراءته لسينيكا وأوفيد وغيرهم من الأدباء الرومان وبالذات بلوتارك Plutarch، لقد اطلع شكسبير علىٰ أعمال الأدباء الرومان في صورتها المترجمة، لأنه لم يكن يجيد اللغات التي كتب بها التراث الكلاسيكي، واعتمد شكسبير في ذلك علىٰ تلك التراجم التي قام بها توماس نورث

(١) عباس محمود العقاد، التعريف بشكسبير، ص٥.

(١٥٣٦ ـ ١٦٠٥) Thomas North ، وبالذات ترجمة أعمال بلوتارك وما احتوته أعماله من ترجمات ذاتية في الأدب، وأعمال الأدباء وحياتهم، وكذلك عن الشخصيات الرومانية التاريخية[1]. وهذا ما أثّر تأثيراً مباشراً في مسرحيات شكسبير ذات الصيغة اليونانية، حيث نجده يعتمد في تراجم الشخصيات اليونانية وتصويرها على ما كتبه بلوتارك، كما هو الحال في مسرحية (تيمون الأثيني) Timon of Athen ، فبالرغم من أن المسرحية تتعلّق ـ كما يشير عنوانها ـ بموضوع عن الإغريق، إلا أننا لا نجد سوى ذكر لثلاثة أسماء إغريقية، وبقية الأسماء رومانية ، وكذلك أن صورة أثينيا في المسرحية صورة باهتة، بعيدة كثيراً عن الحقيقة ، بل نجده يصور مجلس الشيوخ الإغريقي على غرار مجلس الشيوخ الروماني، مما قد يدل على أن الأثر اليوناني أقل من الأثر الروماني في الخلفية الأدبية للإنتاج الأدبي لشكسبير .

ومما سبق يتضح أيضاً أن شكسبير في مكوناته الأدبية متأثّر بالتراث الكلاسيكي، والدين المسيحي، والتراث الثقافي السائد في العصور الوسطى ، فلقد عاش شكسبير في عصر النهضة المميّز بالنبوغ الفكري، والطموح العقلي، والاهتمام بالثقافة، والتراث الكلاسيكي، الذي يظهر أثره في أعماله الأدبية التي اتّسمت بالتّنوع والنضج والبراعة منذ أن بدأ عمله كاتباً مسرحياً ، بالرغم أن كثيراً من موضوعات مسرحياته قامت على

(١) انظر : Emile Legouis, AShort History Of English Literature, PP.80-83.

الاقتباس والاتباع، لا الابتكار والإبداع ، إلا أنه لاقىٰ نجاحاً كبيراً في حبكه قصص مسرحياته، ورسم الشخصيات، وعرض الأحداث وتسلسلها ، فمثلاً نجد أن مارلو، وبن جنسون، وبومنت وفلتشر لم يتمكنوا من إعطاء الصورة الحقيقية في عرض الشخصيات كما فعل شكسبير، حيث كانت معظم مسرحياته المأساوية تتعلّق بالتراث الروماني ومسرحياته الكوميدية تتصل بالحياة الإنجليزية، وهكذا[1].

وُلد شكسبير بمدينة ستراد فورد بمنطقة واريك شاير يوم الثالث والعشرين من إبريل عام ١٥٦٤م، وتولىٰ تعميده قس القرية برتشجيرول المشهور بحماسته للدعوة البروتستانتيه، وكان والده جون شكسبير تاجراً من تجّار الطبقة الوسطىٰ في المجتمع، وأمّه ماري آردن تنتمي إلىٰ أسرة من ملاّك العقارات ، ولقد تلقّىٰ تعليمه في حياة والديه حتىٰ وصل إلىٰ ما يعادل المرحلة الثانوية في أيامنا هذه إلىٰ حدّ ما، وهو ما يعرف في بريطانيا باسم (المدرسة الأجرومية Grammar School)، وهي مدرسة تعنىٰ وتؤكّد علىٰ تدريس اليونانية واللاتينية، « وكانت برامج الدراسة في هذه المدارس، التي اشتهرت باسم مدارس الأجرومية الحرّة، تقتصر علىٰ دروس مقرّرة في أنحاء البلاد الإنجليزية ، يتلقىٰ فيها التلاميذ بعض مبادىء القراءة والحساب، وطرفاً من اللغة اللاتينية ، ويقرأون فيها حكايات أيسوب، ومختارات من شيشرون وفرجيل وهوراس وأوفيد، ويمثلون بعض مناظر

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

بلوتس وسينيكا، ويستظهرون نبذاً من كتابات البلغاء في القرون الوسطىٰ، ولا يدرسون من الإغريقية إلا ما يمكنهم من مراجعة الآيات في الكتب الدينية [١].

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره، تزوج فتاة تكبره بثمان سنوات، وهي آن هاثوي، وقد ولدت له بنتاً خلال السنة الأولىٰ من زواجهما، وفي عام ١٥٨٥م ولدت له توأماً؛ ابنةً وابناً، ومن المعلوم أن شكسبير ترك مسقط رأسه حوالي عام ١٥٨٦م، وهو في الثالثة والعشرين، حيث استقر به المقام في لندن حتىٰ عام ١٦١١م، ففي لندن زعموا أن شكسبير وصل إليها بغير زاد وبغير معين، فقاده حبّه للتمثيل إلىٰ باب المسرح، ولبث يتردّد عليه بغير عمل يستطيعه في داخله أو خارجه، سوىٰ حراسة الخيل لمن يرتادونه من النبلاء والنبيلات، ولم يلبث غير قليل حتىٰ لفت إليه أنظار الروّاد، فجعلوا يسألون عنه ويتفقدونه، ولا يسلّمون خيلهم إلىٰ غيره، إلا إذا كرروا السؤال عنه فلم يجدوه، وتكاثر الطلب في حراسته، فاستعان بصبيان له يجيبون النداء عليه، ويقول حاضرهم لمن يسأله عن « شكسبير : أنا صبي شكسبير »[٢]. وما إن جاء عام ١٥٩٢م حتىٰ ذاع صيته باعتباره ممثلاً وكاتباً مسرحياً إذْ أنه زاول التمثيل، بعد فترة من عمله سائساً عند باب المسرح، وبعد مزاولة التمثيل خاض في الكتابة وإنتاج المسرحيات.

---

(١) عبّاس محمود العقاد، التعريف بشكسبير، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤.

هذه نبذة مختصرة عن حياة شكسبير، الذي لم تتعدّ ثقافته العلمية المرحلة الثانوية، إذْ لم يكن كأقرانه من سابقيه ومعاصريه ممن تعلّموا بالجامعات، وتتلمذوا فنّ الأدب المسرحي وأتقنوه .

إنه الشاعر الذي حاول نظم الشعر وهو شاب يافع، واكتفىٰ بالتعليم الذاتي لِمَا كان يقرأه في أوقات فراغه في مجال فن المسرح الروماني، والتاريخ الإنجليزي، والأساطير والحياة الاجتماعية لبلاده[١]. هذا إلىٰ ما سبق ذكره في ثنايا هذا الفصل عن شكسبير، والتراث الغربي، الممثّل في قراءاته في التراث الروماني منذ أن كان بالمدرسة الأجرومية، وحتىٰ بعد تركها، وكذلك قراءاته عن الحياة الإنجليزية والتاريخ الإنجليزي، خصوصاً في عصر النهضة، وهو عصر شكسبير، الذي يسمّىٰ بعصر إحياء العلوم، أو عصر الدعوة الإنسانية، الذي سبق عصر النهضة بقليل، بدءاً من فتح المسلمين للقسطنطينية، وما كان لانتشار الحضارة الإسلامية من أثر في النهضة والإحياء علىٰ الدول الأوروبية التي ثارت في طلب الإصلاح، إذْ أسهم في ذلك العلماء والرهبان الذين هاجروا من الدولة البيزنطية، وكذلك تلاميذ العرب في غرب أوروبا بفرنسا، وجنوباً بالأندلس وصقلية، ولكن لم يكتب للجزر البريطانية هذا البعث المبكر الذي أصاب دول أوروبا الأخرىٰ، بسبب عزلتها الجغرافية، ولكن هذا قاد أخيراً إلىٰ ثورة مطبقة، ثورة مشتركة، إذْ دخلت إنجلترا المذهب الإنجليكاني، فكانت تلك بمثابة

---

(١) انظر : C.J. Sisson, Shakespeare, British Council, Longman, London,1971, PP.3-9.

ثورة من طرفين: ثورة الملوك على سيطرة الكنيسة الكاثوليكية في روما، وثورة الشعب لخلع الرئاسة الدينية المفروضة عليه [١].

هذه هي الخلفية المكونة للأديب الشاعر وليم شكسبير، الذي نظم الشعر، وأبقى تراثاً خالداً في جميع أنحاء العالم الغربي، بما أنتجه من نظم أشعار، وكتابة مسرحيات، منها التراجيدية، ومنها الكوميدية، ومنها التاريخية، لقد كتب شكسبير سبعاً وثلاثين مسرحية، راجت وترجمت في معظم الآداب العالمية في شرق الدُّنيا وغربها [٢]، فأصبحت تراثاً أدبياً له رسالة ذات طابع غربي نصراني صليبي في تاريخ الفكر والأدب الغربي، ممزوج بعناصر وثنية من مقومات الفكر اليوناني والروماني، وذلك ما سنعرض له من خلال بعض الأمثلة والنماذج الموجودة في مسرحياته فيما سيأتي:

التراث الإغريقي والهليني:

كانت مسرحيات شكسبير ـ وعلى الأخص التاريخية منها ـ تصور مشاهد الحروب الأهلية والقلاقل التي كانت تسود أوربا، ولم يكن ذلك التصور مجرد وصف لنظام أو نظم سياسية فحسب، بل كان جزءاً لا يتجزأ من نظام كوني أشمل وأعم، يمثل أطرافاً ثلاثة: الانسان، ومجموعة الكيانات، وأحوال الكون. وفكرة النظام الكوني كانت إحدى الأفكار

---

(١) عبّاس محمود العقاد، التعريف بشكسبير، ص ٥ ـ ١٣.

(٢) انظر: Adnan M. Wazzan, Translating Shakespeare in Arabic Literature,

المهيمنة في ذلك العصر ، أي عصر النهضة ، ونحن هنا نسوق أمثلة من أعمال شكسبير المسرحية التي تخص الإنسان والكون كما بدت له في منظورها الذي ورثه من أدباء اليونان والرومان وعلمائهم والتي أضافها إلى فكره المسيحي ، لينادي بأفكاره التي ضمنها أعماله المسرحية .

وهذه جملة المعتقدات التي اعتقد فيها الساسة في عصر النهضة ، عصر الملكة إليزابيث الأولى ، وامتدت إلى عهد الملكه فكتوريا ، وهي تمثل فكرة تكوين الدنيا ، وسير الحياة ، وتنظيم الكون ، وسلسلة الخلق الهائلة ، وكل هذا كان ينطق من فكرة نيميزيوس في كتابه (طبيعة الإنسان) ، الذي ترجمه جورج ويذر من اليونانية إلى الإنجليزية عام ١٥٣٦م ، وفيه يقول :

« ياللإنسان! تحفة رائعة ، يالسمو فكره ، وياالقدرته غير المتناهيه ، يالخفته وروعته في السمت والحركة ، ياللشبه بينه وبين ملك في فعاله ، وبينه وبين إله في إدراكه ، هو صورة الجمال في الدنيا ، ومثال الكمال بين الحيوان »[١] .

والواقع أن هذا القول جزء من تراث العصور الوسطى في أنقى أشكاله ، وهو وجهة نظر شكسبير التي تعبر عن الثناء التقليدي على صورة الإنسان ، وهو مخلوق على صورة الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

إن الإيمان بمنازل النجوم ، وتأثير الأبراج على حياة الناس فكر وثني ، ساد لدى الإغريق والرومان ، واحتضنه الإنجليز في حياتهم . وهنا نعطي مثالاً

---

(١) جورج ويذر (مترجم) طبيعة الإنسان ١٥٣٦م ، ص١٦ .

لذلك الفكر الوثني عند شكسبير في مسرحيته (الليلة الثانية عشرة)، ففيها نجد مناظرة بين بعض أجزاء الجسم الإنساني وبين بعض المجموعة الشمسية من النجوم في الفصل الأول، المشهد الثالث .

سيرتوبي بلتش : لقد جال بخاطري أن ساقك شكلت حتماً في ظل نجم يرعى الرقص، وذلك بسبب بنيتها الرائعة القوية .

سيرأندرو أوجيوتشيك : نعم، إنها لقوية وهي تبدو جميلة المنظر في جورب أصفر فاقع • هل لنا في شيءٍ من اللهو والطرب .

سيرتوبي بلتش : وماذا نفعل غير ذلك ؟ ألسنامن مواليد برج الثور ؟

سيرأندرو : الثور ! ولي الخضر والفؤاد .

سيرتوبي : كلا ياسيدي، بل السيقان والأفخاذ [(١)].

وعن قوانين نظام الحياة، والتدرج بدءاً بالحياة وانتهاءً بالموت ، جهلاً بحقيقة مالك الملك، الدائم الذي لا يموت، نجد شكسبير في مسرحية (ترويلس وكريسيدا)، وهي الملهاة التي كتبها مستنداً على رواية أحداث قصة طروادة الشهيرة، وهي تصور حب ترويلس ـ أحد أبناء بريام ملك

---

(١) Peter Alexander (ed), William Shqkspeare the complete works, collinns, London and Glasgow, 1971,p.351.

طروادة ـ لكريسيدا، فتاة غريرة، ابنة الكاهن كالكاس الطروادي والقصة وردت أيضاً في شعر تشوسر• وفي خلفية القصة يصور شكسبير الشخصيات الرئيسة (للإلياذة) في معسكري الإغريق الطرواديين على السواء. وهنا يظهر مفهوم الكون مراراً وتكراراً على أساس من سبق شكسبير في مفهومهم للكون فنقرأ العبارة الآتية :

« إن السماوات نفسها ، والكواكب السيارة ، وهذا المركز الأرضي ، جميعها تتبع قوانين التدرج والأسبقية ، والتزام المكان الصحيح ، كما تلتزم وقوانين الطبيعة والتوازن ، واطراد المواسم ، والنظام العام فضلاً عن أداء الواجبات واتباع العرف ، كل ذلك بمنتهى الانتظام . ولهذا السبب ، فإن كوكب الشمس الجليل يحتل مكان الصدارة في فلكه الذي يتوسط سائر الأفلاك ، وبنظراته الشافية يقوّم ما انحرف من أوضاع الكواكب الشريرة ، في علاقتها بالإنسان ، فيأمر كالملوك ، وينهى ، باعثاً بالرسل للطيب والرديء معاً ، فلا يعوقه عائق . أما إذا اختل نظام الكواكب ، فترددّت في اختلاط ضار ، فأية أوبئة وأية نذر وأي عصيان ، وأي اضطراب للبحر واهتزاز للأرض ، وهياج للرياح ، وأية مخاوف وتلبات وأهوال . سوف تزعزع تماسك الأوضاع وتوافقها ، وسوف تصدعها وتمزقها وتقتلعها من مستقرها المكين ، وحين تهتز قواعد التدرج ، وهي المراقي لجميع المقاصد النبيلة ، تنخر العلّة في نشاط البشر ، فكيف يتسنى للجماعات ، وللفصول في المدارس ، وللطوائف في المدن ، وللتجارة المسالمة عبر البحار ، ولنظام

البكورة، ومتطلبات كرم المحتد ، ولامتياز التقدم في السن وحقوق التيجان والصوالجة وأكاليل الغار ، كيف يتسنىٰ لهذا كله احتلال مكانه الحقيقي ، لولا قواعد التدرج ؟ عطّل إذن مقتضيات التدرج ، وأفسد أنغام ذاك الوتر ، ثم أنصت إلىٰ ما يترتب علىٰ هذا من تنافر في الأصوات . إن الأشياء كلها تتلاقىٰ في صدام أعمىٰ . فالمياه المحاصرة بالتخوم تشرئب بصدورها ، فتجاوز شطئانها ارتفاعاً ، جاعلة من هذه الأرض الصلبة لقمة مبسوسة ، ويتسيد الأقوياء ، الضعفاء ، ويضرب الابن الفظ أباه ، فيرديه قتيلاً . هذه هي الفوضىٰ التي تخلف انقضاء التدرج طالما يعتريه الموات» [١] .

لم يكن هذا حال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بما فطره الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ فطرة الإيمان والتوحيد ، الملة الحنيفيه التي يستشرف النصارىٰ واليهود الانتساب إليه . فلقد كان إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه يتفكر في خلق السموات والأرض ، ليتعرف علىٰ الإله الواحد ، وليعترف بوحدانيته كما تصوره الآيات التاليات ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) المرجع السابق ص ٨٠٠ .

﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]. هذا هو التوحيد، وهذا هو الإيمان بالله لا شريك له، فلم يكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يهودياً ولا نصرانياً، بل كان حنيفاً مسلماً .

وإن كان مفهوم التدرج يقوم علىٰ فساد المعتقد الذي يؤدي إلىٰ خلل الكون، فإن فساداً آخر يظهر لدىٰ شكسبير في معتقده، حينما يساوي بين الله والمخلوق في مسرحيته (الملك هنري السادس) ، وفيها تصور تالبوت خلال هدنة عقدت مع الفرنسيين، وهو يسبغ آيات التكريم علىٰ هنري السادس، الذي وصل إلىٰ باريس ليتوج ملكاً . هنا يساوي تالبوت في حديثه بينه وبين الله، اعتماداً علىٰ المقولة السائدة عند النصارىٰ بأن السلطان ظل الله في الأرض، سبحانه وتعالىٰ عما يشركون، فيقول تالبوت :

« يامليكي الكريم ، وياأيها الأمراء الأجلاء، ما إن سمعت بمقدمكم إلىٰ أرض هذه المملكة، حتىٰ أعلنت الهدنة لفترة من الوقت، ليتسنىٰ لي أداء واجبي إزاء مليكي، ودلالة مني علىٰ ذلك ، فإن هذه الذراع التي

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٥ ـ ٨٣ .

استردت إلى أعتاب طاعة جلالتكم خمسين معقلاً، واثنتي عشرة مدينة وسبع مدن منيعة مسورة ، علاوة على خمسمائة أسير من ذوي المكانة ، إنما تلقى بسيفها تحت قدمي جلالتكم، وبآيات الولاء المخلص الصاغر تعزو إليكم ما جنته من أمجاد انتصارها ، هذا الذي تحقق في سبيل ربي ، ولجلالتكم من بعده[1] .

وتصوير آخر في مسرحية (العين بالعين) أو (دقة بدقة) يوضح اعتقاد غفلة الإله وجهله فسبحانه من لا تأخذه سنه ولا نوم وهو بكل شي عليم :

أنجلو : إن أخاك منتهك لنصوص القانون ، ولذا فأنت تضيعين كلماتك سدى .

إيزابلا : وا أسفاه ، وا أسفاه !

إن كل الأرواح التي خلقت قد انتهكت القانون يوماً ، أما سبحانه الذي كان يجوز له انتهاز أفضل الفرص ، فقد اكتشف أسباب العلاج[2] .

وعن سلسلة الخلق الهائلة التي سبقت الإشارة إليها، وترقي الإنسان في خلقه، وما يتخللها من أفكار ميتافيزيقية جاءت عند أفلاطون وأمثاله من الفلاسفة، التي تصور أشكال الأسبقيات في الخلق، فتبين موضع الله من الملائكة ، والشمس من النجوم، والكواكب والعدالة من الفضائل، ورأس

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ، الفصل الثالث ، المشهد الرابع ص ٦٠٨ .

(٢) المرجع السابق، الفصل الثاني، المشهد الثاني ص ٩٢ .

الإنسان من بقية الأعضاء ، والنار بين عناصر معينة ، والملك بين الناس ، والنسر بين الطيور .

لهذا نجد في مسرحية (الملك ريشارد الثاني) أفكاراً فلسفية تجزم بعلم الغيب عند الإنسان ، واطلاعه على ما قدره الله حين خلق السماوات والأرض وما بينهما انطلاقاً من نظرية الأسبقيات • سبحان الذي لا يعلم الغيب إلا هو :

بولينجبروك : فليكن ناراً ، أما أنا ، فلأكن ماء منهمراً .

كما يقول بعد ذلك ببضعة أبيات :

انظروا ، انظروا ، ها هو الملك ريتشارد يظهر للعيان كما تظهر الشمس المحتقنة الساخطة من بوابة الشرق المشتعلة نارا ، عندما تلحظ أن الغيوم الحاسدة قد صممت على تعتيم نور مجدها وحجب طريق مسارها المتألق في اتجاه الغرب .

ويضيف يورك إلى هذا قائلاً :

ومع هذا فهو يبدو كملك ، فها هي ذي عينه البراقة كعين النسر ، تومض بنظرة ملؤها مهابة أخاذة [١] .

وما جاء في مقولة الملك ريتشارد ، وفي نطاق ضيق تذكر أربع أسبقيات ؛ النار بين العناصر ، والشمس بين الكواكب ، والملك بين الناس ، والنسر بين الطيور .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

ومسرحية (العاصفة) من أهم مسرحيات شكسبير التي تحدثت عن الكون ونظامه العام ، وفيها تصوير للإنسان على أنه يعيش في نظام كوني شامل ، السماوات تمارس نشاطها ، وكذا الحيوان والملائكة ، والإنسان جزء من هذا الكون ، لا حول له ولا قوة ولا إرادة ، كل هذه الأفكار التي ضمنها شكسبير هذه المسرحيه تنطلق من التقاليد التي أرساها أفلاطون وأتباعه ، تبلورها أحداث مسرحية (العاصفة) وكيف أنقذت حياة بروسبرو وميراندا ، وكيف صُور كالِيبان على أنه صاحب غرائز حيوانية وهمجية . والمسرحية كلها تجيش بالإحساس بما تموج به الخليقة من تغيرات غير غافلة الحدود المفروضه على الكائنات .

وقبل أن نمضي في الحديث عن أمثلة أخرى من مسرحيات شكسبير عن النظام الكوني ، وسيره ضمن حلقات ثلاثة ، يجدر بنا أن نوضح بأن التقسيم الثلاثي لنظام الكون في عصر النهضة ـ وكما تبناه شكسبير في أدبه ـ إنما هو انعكاس للثالوث المقدس في الفكر المسيحي المحرف الذي يقوم في جوهره على الاعتقاد بأن الله مكون من ثلاثة أقانيم ، هي (الأب ، والابن ، والروح القدس) . فقد أرسل الأب ابنه إلى هذا العالم ، وإلى هذا الكون ، ليولد من عذراء بقوة الروح القدس . وكان إيفاد الابن إلى هذا العالم يستهدف افتداء ذنوب البشر ومعاصيهم عن طريق الصلب والموت ، إنقاذاً للإنسان الذي كانت قد حاقت به اللعنة بعد خطيئته الأولى ، وطرده من جنة عدن .

من هذا المفهوم مفهوم الثالوث والتثليث ينطلق شكسبير معتمداً على

الفكر الإغريقي والروماني الوثني من جهة، وعلىٰ الفكر المسيحي المحرف من جهة أخرىٰ في كتاباته الأدبية. ليصور الإنسان كجزء من هذا الكون، يقوم علىٰ نظرية مركب الإنسان، وعناصر تكوينه من التراب والماء والهواء والنار، وعناصر أمزجته ـ أو أخلاط الجسد ـ من السوداء والبلغم والدم والصفراء، التي تسمىٰ الطبع أو المزاج، وهكذا في خاتمة مسرحية (يوليوس قيصر) وُصِف هذا الرجل بأنه كامل الاتزان، في حين نجد أن صورة عطيل في مسرحية (عطيل)، والملك لير في مسرحية (الملك لير) صورا علىٰ أنهما معروفان بقصر الفهم بينما، عرف هاملت في مسرحية (هاملت) ومكبث في مسرحية (مكبث) علىٰ أنهما قاصرا الإرادة. إضافة إلىٰ أن عطيل ومكبث اتسما بالحمق والطبع أو المزاج السوداوي. وشكسبير يصور شخصياته من خلال نظرية مركب تكوين الإنسان وعناصره، علىٰ أساس أن فكرة الاضطراب علىٰ المستوىٰ الشخصي تقوم علىٰ أساس الاضطراب في المستوىٰ العام للحياة والكون.

إن التصوير الأدبي لدىٰ شكسبير، الذي يعبر عن فكره واتجاهاته، ينطلق من فكرة الحلقات الثلاثة للكون السائدة عند الإغريق والرومان، والتي جعلها شكسبير انعكاساً لفكرة الثالوث في المعتقد المسيحي الخاطىء، من حيث إن الكون يضم مستويات متعددة، المستوىٰ الإلهي والملائكي، ومستوىٰ الكون الفسيح، ومستوىٰ المجتمع الإنساني، والهيئة الاجتماعية ومستوىٰ الإنسان أو العالم الصغير، ومستوىٰ الخلائق السفلي.

وقد تأثر شكسبير بكثير من الكتب التي تتحدث عن هذه الأفكار الوثنية المنحرفة، المتعلقة بسلسلة الخلق، لتقديم وصف لنظام الدنيا، ومن هذه الكتب نذكر ما يلي :

كتاب (عن التدرج الطبقي السماوي) On the Heavenly Hierarchy لديونيزيوس أريوباجي Dionysius Areopagite ، وكتاب الحاكم (The Governer) للسير توماس إليوت Thomas Elyot وكتاب (دليل الجندي المسيحي) Manual of the Christian Soldier لإرازموس F. Erasmus ، وغيرها من الكتب الأخرىٰ .

ويلاحظ أن ما انطوىٰ عليه الفكر الإغريقي والفكر الهيليني عن خلق الكون، وخلق الخلق، ووضع الإنسان في ذلك، يقوم علىٰ نظريات باطلة وفاسدة، لا تثبت أمام الحقائق العلمية التي ظهرت في العصور اللاحقة ، فضلاً عما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهو مايدل دائماً علىٰ الحق، فالله سبحانه وتعالىٰ يُجري سننه في الكون ومخلوقاته وفق طباع الفطرة، إذ يقول جل وعلا : ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** (٤٣) ﴾ [١]. وميدان النظر والتفكر والتدبر متسع أمام العباد واتساع الكون، وآفاق الخالق هائلة لا مدىٰ لها ، والله جل جلاله يأمرنا بالنظر في عظمة هذا الكون، فيقول عز من قائل : ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ**

---

(١) سورة فاطر ، الآيه ٤٣ .

وَالأَرْضِ﴿١٠١﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴿٢٠﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾[(٣)]. فأينما يولي الإنسان وجهه يجد آثار الوحدة والانتظام تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، فنجوم السماء وكواكبها من شمس وقمر وأجرام أخرى تتسم بطبيعة واحدة؛ لأن أصلها جميعاًواحد وخالقها جميعاً واحد، هو الله جل جلاله، فلا تأثير لها على أحد، ولا تأثر لها بأحد. عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله، وصلوا حتى تنكشف»[(٤)]. إن لوازم الليل والنهار هما الظلمة والضياء، وسبب حدوثهما الشمس والقمر، وهما آيتان تسبحان بحمد ربهما، الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، كل في فلك يسبحون، قال تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴿٤٠﴾[(٥)].

---

(١) سورة يونس، الآيه ١٠١.

(٢) سورة العنكبوت، الآيه ٢٠.

(٣)سورة فصلت، الآيه ٥٣.

(٤) رواه البخاري، فتح الباري ج٢/ ٥٢٦(١٠٤٣) ومسلم ج٢/ ٦٣٠(٩١٥).

(٥) سورت يس، الآيه ٤٠.

إذاً، كل كوكب، وكل نجم، وكل مذنب، يسبح في فلكه الذي قدر له، لا يتحول عنه ولا يحيد، والكل في وحدة متماسكة تنطق بوحدانية الله الخالق المبدع. ذلك كله يدل على الحسبان الإلهي، الذي جعلها تتحرك حول بعضها البعض، وهذه الأجرام السماوية جعلت مواقيت للصلاة والصيام والحج، وعلامات يهتدي بها المسافرون في ظلمات البر والبحر، وحساب الأزمنة من السنين، والشهور، والأيام، وتحديد المواعيد كما هي الحال في الصلاة. قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[١]. وعن الحكم بن بشير، حدثنا عمرو بن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: «دعوت رسول الله ﷺ، ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين (زالت) الشمس، فخرج النبي ﷺ، فقال: «أخرج يا أبا بكر، فهذا حين دلكت الشمس»[٢].

والحقيقة أن المفردات الدقيقة التي وصل إليها العلماء عبر العصور والأزمان تقيم البرهان تلو البرهان على عظمة الله سبحانه وتعالى، وانفراده وحده بالخلق، وتدبيره أمر الكون، وتؤكد دلائل وحدانيته، فسبحان الله أعظم الخالقين. لذا، فليس ثمة مجال للنظريات الباطلة، التي نقلت من اليونان والرومان، وأثرت في الأوربيين زمن شكسبير ومن بعده، والتي

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

(٢) رواه ابن حميد في مسنده.

جعلوها دليلاً لتفسير الحوادث والوقائع التي تقع على الإنسان بسبب الكواكب والنجوم والأبراج ضمن أعمالهم الأدبية .

ومعتقدات الإنسان في عصر النهضة زمن شكسبير تقوم على المساواة بين الخالق والمخلوق ، أو أدنى من ذلك بقليل ، أو أكبر ، للتأكيد على نظرية التدرج المنطلقة من القوة والسلطان ، (ويمكن قراءة قصيدة الدكتور جنسون The Vanity of Human Wishes) ، وكذلك كتابه Rassclas في هذا الموضوع) ، فالله يأتي في أعلى هرم التدرج ، ثم من بعده الملوك والسلاطين ، وهذا اعتقاد باطل وفاسد ، فما أغنى علم قارون ، ولا نفعه ماله ، حين خسف به ، ولا نفع فرعون سلطانه حين أغرق ، قال تعالى : ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [(١)] . وعليه فلا مساواة بين الخالق والمخلوق ، فالله رب العباد ، والجميع عبيد له ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا ، فعلى الناس أن يتأدبوا مع الله ، مالك الملك ، وخالق الخلق والكون ، وأنه لا ند ولا مثيل له . قال تعالى : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿١٤﴾** ﴾ [(٢)] . وقال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ**

---

(١) سورة العنكبوت ، الآيه ٤٠ .

(٢) سورة نوح ، الآيه ١٤ .

﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١].

أي إن الله سبحانه وتعالىٰ خلق الخلق من إنس وجن لطاعته وعبادته، وليقروا بكامل الخضوع والعبودية له جل جلاله طوعاً أو كرهاً، ولا تكون حالهم حال قائل المتكبرين المشركين : (أنا ربكم الأعلىٰ)، وقوله (ما علمت لكم من إله غيري)، فأخذ الله سبحانه وتعالىٰ مثل هذا (أي فرعون)، ومن علىٰ شاكلته نكال الآخرة والأولىٰ ، وهؤلاء وصفهم الله تعالىٰ بقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ۝٤١﴾[٢]. والذين يستكبرون عن طاعة الله وعبادته مأواهم جهنم، وسيدخلونها وهم داخرون صاغرون.

والاعتقاد بأن عوامل الطبيعة، وعوامل ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) تتصرف في الإنسان والكون ، اعتقاد فاسد باطل، جاء به معطلة اليونان والرومان ومجسمتهم ومشركوهم، لاعتقادهم في تعدد الآلهه ! انطلاقاً من مفهوم أن كل شيء في الكون له إله، فإذا غفل الإله الأكبر العظيم، تصرفت الآلهة والأرواح الأخرىٰ، والكواكب في الكون، ومصير الإنسان، وهذا ما صار إليه اعتقاد النصارىٰ بما عبثت به أيدي الأحبار والرهبان، حتىٰ اختلطت الفهوم، وساء الاعتقاد وفسد، وظهر للناس أن

---

(١) سورة الذاريات ، الآيه ٥٦ .

(٢) سورة القصص ، الآيه ٤١ .

الباطل حق، والحق باطل، والشر خير، والخير شر [١]. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [٢].

لذا، فإنما يفتري على الله الكذب الذين لا يؤمنون، فالله سبحانه وتعالىٰ بيده مقاليد السموات والأرض، وهما بقبضته، لا يغفل ولا يسهو، لا تأخذه سنة ولا نوم.

ومن النظريات الفاسدة التي ظهرت في عصر النهضة: نظرية الأسبقيات، التي تجزم بأن خالق الكون خص الإنسان بعلم الغيب علىٰ الإطلاق، وأطلعه علىٰ ما يصير وما صار، وما هو صائر في الدنيا والآخرة من حياة وموت، وبعث ونشور، وخلق ورزق.. إلخ. إن هذه النظرية

---

(١) هذا المفهوم انعكس في بعض مسرحيات شكسبير مثل مسرحية (مكبث) Macbeth علىٰ لسان الساحرات الثلاث اللائي كن يعبثن بحياة الناس ويعتقدن أن الخير شر والشر خير في قولهن «الشر خير والخير شر» Foul is Fair, Fair is Foul.

(٢) سورة الأعراف، الآيات ٥١ - ٥٤.

تعضد ما سبق من نظريات تدعي مساواة الخالق للمخلوقين، وهذا أمر باطل، إذْ لو كان في الكون إلهان لفسدت السماوات والأرض . وهكذا يردد السفهاء أقوالهم وأفعالهم من الآراء والأفكار والمعتقدات، ليدللوا على صحة ما يقولون، وإنما يقولون منكراً من القول وزوراً، ولا يعلم الغيب إلا الله الذي يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴿١٧٩﴾﴾[1]. وقوله جل جلاله : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ .

والمطلع على سيرة الملك النبي سليمان عليه السلام وأحواله وما سخر له الله من الأشياء من الطير والريح والجن . . . إلخ، يرى أنه هو ـ «أي سليمان عليه السلام» ـ وما سخر له، لم يكونوا يعلمون الغيب، فلقد مات سليمان عليه السلام والجن تعمل أمامه، وقالو: (لو كنا نعلم الغيب ما لبثنا في العذاب المهين) .

ولننظر إلى بلاغة القرآن الكريم ونتأمل صورة من صور الإعجاز فيه من خلال الخطاب الموجه إلى المشركين، وعلى الأخص مشركي العرب، فيخاطبهم المولى سبحانه بقوله : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيه ١٧٩ .

﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] ، كل هذه الآيات تظهر الإنكار الشديد على المشركين في جعلهم الأنداد لله وادعائهم الاطلاع على الغيب، الذي هو من شأنه سبحانه وتعالى، لأنه لا إله لهؤلاء المشركين وغيرهم إلا الله وحده، لا شريك له في ملكه وحكمه، وعلمه بالغيب، يقول تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2].

إذاً فالفكر اليوناني والروماني، الذي لحق بالنصرانية، واختلط بها، وتعلق به المسيحيون من أبناء الغرب، أصلُه فاسد، وما بني على فاسد فهو فاسد ، وهذا يؤكد بطلان ما يظنه الناس من بعض المسلمين ومن غيرهم، من عظمة الكاتب المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير، وأنه كاتب الإنسانية وأنه المفكر الذي خلص فكره من الشوائب والعوالق، واتسم بالموضوعية والنزاهة ، وفي الحقيقة إنما هو ذو فكر يقوم على الوثنية والشرك ، فكر يعتقد في تعدد الآلهة، ونظريات التدرج، والإيمان بالإجرام السماوية، وتأثيراتها على الإنسان ، وقد بينا ذلك من خلال عدد من الأمثلة لنصوص وشواهد موجودة في مسرحيات شكسبير ، وسوف نؤكد فساد فكر شكسبير عندما نتحدث عن الفكر النصراني وتأثير النصرانية في مسرحياته في الفصل الآتي من هذه الدراسة.

---

(١) سورة الطور، الآيات ٣٥-٤٣ .

(٢) سورة هود، الآية ١٢٣ .

الباب الثالث

النصرانية في مسرحيات شكسبير

النصرانية في مسرحيات شكسبير

من المعلوم أن معظم الإنتاج الأدبي لشكسبير ظهر في الزمن المعروف بعصر النهضة ، ذلك العصر الذي يرىٰ الغربيون أنه زمن الخروج علىٰ سلطة الكنيسة ، وزمن الحرية الفكرية . وعصر النهضة في إنجلترا (١٥٣٠ـ ١٦٢٥م) كان له تأثير في كتابات الأدباء ، وعلىٰ الأخص في الأعمال المسرحية لدىٰ شكسبير ، وأوربا تعتز بعصر النهضة وتنظر إليه علىٰ أنه عصر التحرر والانطلاق ، وأنه زمن البعث للفكر والعلم والفن والأدب ، وأنه البداية الأولىٰ لمسيرة الحضارة الأوربية الحديثة ، وهو بداية تاريخ تحرير الأراضي الأوربية من أيدي المسلمين ، وضمها إلىٰ حياز الممالك الأوربية النصرانية وهذا الواقع التاريخي للمسلمين والنصارىٰ في الفترة التي سبقت ظهور مسرحيات شكسبير ، وفي زمنه كانت مكان احتفاء كبير في مسرحيات شكسبير وعلىٰ الأخص ذكر الأتراك والعثمانيين الذين تردد ذكرهم عشرات المرات في مسرحياته خلال الحروب والمواقف السياسية ، والحديث عن معتقداتهم وحياتهم الاجتماعية ، كما سنبين ذلك فيما بعد .

لهذا ، فمن المناسب التمهيد لذلك بصورة عامة عن حال المسلمين والدولة العثمانية ، لإظهار إنعكاسات ذلك في مسرحيات شكسبير . ففي

عصر النهضه في أوروبا، كان المسلمون في أوج حضارتهم، وأسمى النظم الإدارية والعلمية والفكرية والأدبية، فقد كان على خلافة المسلمين السلطان سليم الأول العثماني، الذي كان حفياً بالعلم والعلماء، مولعاً بالآداب والتاريخ، وكان شاعراً عظيماً نظم قصائد جيدة بالفارسية، وكان ينوي جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدولة ونشر ديوانه عام ١٩٠٤م بطلب من القيصر الالماني وليم الثاني، وكان فطناً، صاحب دراية بالحروب والفروسية، وهكذا كان الأمر بالنسبة لخلفه ابنه السلطان سليمان القانوني، الذي تولى دفة الحكم عام ١٥٢٠م، وذلك بنحو عشرة أعوام قبل تاريخ عصر النهضة في إنجلترا الذي يؤرخ لها بعام ١٥٣٠م. كان سليمان القانوني حاكماً مسلماً محنكاً، لم تقدرعليه أوربا متفرقة أو مجتمعة[(١)].

لقد انتزع جزيرة رودس من أيدي فرسان القديس يوحنا، تلك الجزيرة التي طالما استعصت على أسلافه من قبل، وفيهم محمد الثاني نفسه فاتح القسطنطينية، كما اقتحم مدينة بلغراد واستولى على بلاد المجر ودخل عاصمتها بودابست عام ١٥٢٦م، وكان الأوربيون قد طمحوا إلى استرداد

---

(١) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٤٦ يشير وليم شكسبير إلى هذا السلطان المسلم في مسرحية (تاجر البندقية) في الفصل الثاني، المشهد الأول، وفيه كانت بورشيا تستقبل فيه الخطاب والراغبين في الزواج منها، وعلى الأخص في حديث الأمير المراكشي المغربي الذي تحدث طويلاً عن شجاعته وفيها يقول: «قسماً بهذا السيف الذي قتلت به الصفوي (أي شاه فارس)، وحززت به ناصية أمير فارسي، وانتصرت في ثلاث معارك على السلطان سليمان».

المجر من أيدي العثمانيين ، حتى لقد زحف إلى مدينة فينا حاضرة النمسا ، وكان في خطته من بعد ذلك أن يواصل زحفه حتى نهر الراين ، واستطاع سليمان القانوني بالفعل أن يقتحم أسوار المدينة الحصينة برغم تركه لمدافعه الثقيلة ببلغراد ، وظل جند العثمانيين يردون النمساويين عن خطوطهم برغم بسالتهم واستماتتهم في القتال ، حتى نزلت بهم خسائر فادحة في رجالهم ومعداتهم ، وما إن جاء الشتاء ببرده القارس حتى اضطر سليمان ، بسبب نقص المؤن ، أن يرجع عن المدينة إلى بلاده ، فكان ذلك أول فشل حربي يلقاه في حياته ، وكانت فينا آخر نقطة وصل إليها العثمانيون في فتوحاتهم بأوربا ؛ إذ شغلوا من بعد ذلك عنها بحروبهم مع الفرس أعدائهم الأشداء إذ ذاك [١] .

وخاض سليمان معارك متكررة مع الفرس حتى عام ١٥٥٤م ، كلفته خسائر كثيرة في الرجال والعتاد ، بسبب حسن بلاء الفرس ووعورة مسالك بلادهم . وصار لسليمان كذلك أسطول بحري ضخم قوي ، نشر سلطانه مهاباً في بحر الروم والبحر الأحمر حتى المحيط الهندي . والمعروف أن سليمان كان قد بعث إلى بحار الهند الغربية ببعض سفنه ، لتساعد سلطان الكجرات محمود بيكر إذ ذاك في حربه مع البرتغاليين الذين كانوا قد بدأوا

---

(١) محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، دار القلم ، القاهرة ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩م ص ٩٣ـ ٩٦ ، انظر كذلك محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٥١ ، ١٦٧ . .

يقيمون لهم قواعد حربية على شواطىء المحيط الهندي في زحفهم الاستعماري المعروف إلى تلك المناطق .

وظهر في الدولة العثمانية جملة من أمراء البحر العظام وفي مقدمتهم خير الدين بربروس ، الذي صار له أيام السلطان سليم سطوة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط حتى استولى على جملة من ثغور شمال إفريقيا ، وأخضع بلاد الجزائر لنفوذ الدولة العثمانية ، كما التحم بمراكب الإسبان القوية في خليج الجزائر ، فهزمهم واستولى على سفنهم جميعاً .

وفي عهد السلطان سليمان القانوني أنزل هذا الملاح التركي بربروس الهزيمة القاسية بأسطول شارلمان . كما أغار على سواحل إيطاليا ، ثم تعاون بعد ذلك مع القرصان التركي المشهور سنان على إنقاذ سبعين ألفا من مسلمي الأندلس .

إن هذه الأحداث التي وقعت زمن الخلافة العثمانية ، وعلى الخصوص في عصر السلطان سليمان القانوني سببها سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين عام ١٤٥٣م ، إذ إنها كانت تمثل السد المنيع والحصن الحصين في مواجهة المد الإسلامي ، وكانت أوربا تعلم أن أي خطر يهدد هذه المدينة بالاحتلال فإن ذلك يعني انهيار الدفاع المسيحي ، وفتح الباب على مصراعيه ليكتسح المسلمون القارة الأوروبية ، وهذا ما وقع بالفعل في عصر السلطان سليمان القانوني كما أشرنا سابقاً ، ولكن هذا الامر عاد على أوربا بكثير من النفع في قيام النهضة ، وانتفاض أوربا من جهلها ، وما كانت تعيشه من

سيطرة الفكر المسيحي، وتسلط رجال الدين النصراني على الناس[١].

وكما أسلفنا، فإن بوادر عصر النهضة لم تظهر في إنجلترا إلا مع مطلع عام ١٥١٦م، واستمرت حركة النهضة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وعصر النهضة أصله انطلاقة أوربية اتسمت بنهوض الأدب والفن في ظل النماذج الكلاسيكية. وأول ما بدأت حركة عصر النهضة كانت في إيطاليا، ثم انتشرت في بقية الدول الأوربية بقصد التحرر من الأفكار القديمة، والفلسفة البائسة، وكابوس البابوبية، وحركات الإصلاح الديني التي ظهرت في أواخر العصور الوسطى وسيطرة الدين على الأدب والفن في الشعر والمسرحية، فكان عصر النهضة بمثابة انتفاضة، أو ثورة، على الدين والروح الدينية السائدة في الأدب والعلوم والفن، واكتساب النماذج الكلاسيكية من الآداب الإغريقية والرومانية[٢].

إن عصر النهضة الذي بدأ في إيطاليا ـ ويؤرخ له من عام ١٤٣٠م حتى عام ١٦٥٠م ـ لم تظهر تأثيراته على الأدب الإنجليزي والحياة في إنجلترا ـ كما أشرنا سابقاً ـ إلا في عام ١٥١٦م، وعصر النهضة بمصطلح Renaissance يعني بالفرنسية: الميلاد الجديد، ذلك أن حياة أخرى وجديدة ولدت في أوربا بعد انتهاء عصر الإقطاع وعصر الدويلات الصغيرة

(١) المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٢) Sir Ifor Evans, A shhort History Of English Literature, Penguin. London, 1967, pp . 95-99.

والحكومات الصغيرة ، فقامت الحكومات الكبيرة وتحولت حياة الناس إلىٰ مجموعات من الشعوب التي يمثلهاالبلد الواحد، فكان الشعب الفرنسي والشعب الألماني والشعب الإسباني وهكذا ، وهذا الأمر أدىٰ الىٰ الاتصال بين الشعوب في المجالات السياسية والتجارية والأدبية والعلمية، وبدأ الاقتصاد في النمو ،وبدأت العملات في الانتشار، كما أن الاكتشافات العلمية والاختراعات بدأت تتوالىٰ، فمن تلك الاكتشافات الجغرافية التي قام بها فاسكواداجاما وماجلان وكولمبس وغيرهم ، وفي مجال الأدب نشطت الحركات الأدبية في أوروبا ففي إيطاليا نجد تاسو (١٥٤٤ـ ١٥٥٩م) Torquato Tasso ، وميكافيلي (١٤٦٩ـ١٥٢٧م) Niccolo Machiavelli ، وفي أسبانيا سرفنتيس (١٥٤٧ـ١٦١٦) Miguel de Cervantes، وأخيراً في فرنسا يظهر اسم رابلي (١٤٩٤ـ ١٥٥٣م) Francois Rabelai .

ومن مزايا عصر النهضة في الأدب الإنجليزي نمو اللغة الإنجليزية وتطورها، وميلها نحو الثبات في معناها ومبناها في كثير من القواعد والتراكيب نحواً وصرفاً وألفاظاً . كما اتسم عصرالنهضة في بريطانيا بنمو النثر عموماً، والنثر الأدبي خصوصاً، والذي لم يكن له وجود في العصورالسالفة، سوىٰ ما كان في صورة كتابات تاريخية، أو تعليقات، أو نصوص نظم وقوانين. كما ظهرت الكتابات الأدبية في فروع الفن الأخرىٰ؛ كالتصوير والنحت، و ظهرت الدراسات الإنسانية والعلمانية

بصورة كبيرة منذ بداياتها الأولىٰ في عام ١٤٩٠م، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ كثير من الخلافات الفكرية والصراعات بين الكنيسة والأدباء والمفكرين المتحررين والتربويين والأطباء . . إلخ، أمثال وليم جروكن (١٤٤٩-١٥١٩م) William Grocyn، وقد سبقه في ذلك توماس مور (١٤٧٨-١٥٣٥م) Thomas More الذي نشر كتاب (الطوبيا)Utopia الذي نادىٰ فيه بأن علىٰ الإنسان أن ينشد السعادة في حاضره بدلاً من الانتظار إلىٰ الحياة الآخرة[1].

وفي عصر النهضة ظهرت حركة التربويين ورجال التعليم، الذين نادوا بالفلسفة التربوية كما يتضح في أعمال توماس إليوت (١٤٩٠-١٥٤٦م) Thomas Elyot وجون تشيك (١٥١٤-١٥٥٧م) John Cheke ، وتوماس ولسن (١٥٢٥-١٥٨١م) Thomas Wilson وغيرهم.

ولقد عقد رواد الدراسات الإنسانية في عصر النهضة العزم علىٰ تنفيذ مقترحاتهم، وتطبيق فكرهم العلماني، وتقديمه للمجتمع الذي كان في حيرة من أمره. هل يتبع هؤلاء المجددين أم يتبع الكنيسة ؟ ومن أوجه الصراع الذي قامت بين رجال الكنيسة والعلمانيين مسألة الحفاظ علىٰ الكتب المقدسة فىٰ لغتها الأصلية العبرية، أو الإغريقية، أو علىٰ ـ الأقل ـ المحافظة علىٰ النص اللاتيني ؛ لأنه أقرب الىٰ العبرية ؛ خوفاً من تعرض الكتاب

---

(١) المرجع السابق.

المقدس للتأويلات والتفسيرات البشرية، وفقده من قيمته الروحية حتى في المؤسسات الدينية، والكنائس، ولكن الأمر انتهى بترجمة (الكتاب المقدس) العهد القديم عام ١٥٣٥م، وتلا ذلك ترجمة بقية الكتب والأسفار المقدسة إلى الإنجليزية، وأصبحت هذه الكتب في متناول الجميع، بعد أن كانت حكراً على الرهبان والقسس ورجال الدين. ولقد توالت الدراسات المختلفة والتفسيرات والتأويلات لهذه الكتب، الأمر الذي أفسد عقائد الناس، بل زاد من فساد عقائدهم ما في هذه الكتب من تحريف وتزوير أصلاً، ولقد أدى هذا الأمر إلى إنهاء سلطة الأديرة والصوامع والكنائس، بدءاً من عام ١٥٣٩م، ذلك أن عنف رجال الدين وشدتهم، وتسلط الكنيسة وقسوتها ساعد على نهضة الدراسات اللاهوتية والناسوتية، وظهور الفلسفات الإنسانية، وبعث الكلاسيكيات القديمة، وإنشاء المكتبات العامة، كل هذه الأحداث أدت إلى تغيرات كبيرة في حياة الناس اجتماعياً وسياسياً.

ونشطت حركات الأدب، وتعددت موضوعات الشعر، وتنوعت، وازدهر الأدب المسرحي، وفاق الشعر بمراحل كثيرة في هذا العصر، وتناول المسرح - إضافة للموضوعات الدينية - الموضوعات الاجتماعية، والغرامية، فظهرت الكتابات المتعلقة بالحياة الاجتماعية، وتاريخ الأمراء والملوك، وظهرت موضوعات الحب والغرام على نحو ما كانت في الآداب الكلاسيكية لدى اليونان والرومان، ومع هذا كله فإن تأثير الفكر الوثني

اليوناني والروماني كان جاثماً على عقول المفكرين والأدباء ، وكذلك التمسك بالنصرانية والإيمان بها كان معيناً لأولئك المفكرين والأدباء، وقد دللنا على ذلك في كتابات شكسبير عندما تحدثنا عن تأثير الفكر النصراني، وكذلك تأثير الفكر الإغريقي والهيليني في نشأته ومسرحياته في الفصل السابق، ونحن فيمايأتي نعرض مدى هيمنة الفكر النصراني على عبقري المسرحية الإنجليزية شكسبير[1]. إن ذلك الفكر قد تكون له قيمة أدبية تفوق الآخرين لعبقريته المسيحية، وقدرته الأدبية، ولكن ليس عند أهل الدين الحق دين الإسلام .

النصرانية في مسرحيات شكسبير :

أوضحنا فيما سبق أن شكسبير ولد عام ١٥٦٤م ، أي بعد أربعة عشر عاماً من بداية عصر النهضة، وامتدت حياته حتى ١٦١٦م، أي أنه توفي قبل الفترة التي يؤرخ لها بانتهاء عصر النهضة وبداية عصر آخر في الأدب بتسعة أعوام. وهذا يجعلنا نتساءل: هل تأثر شكسبير بالأفكار (النهضوية) التي سادت في بريطانيا آنذاك، المتمثلة في (الصراعات) الفكرية بين الكنيسة والأدباء، وظهور الدراسات الإنسانية والأفكار التحريرية التي رفضت الكتب المقدسة وسيطرة الكنيسة ؟ قد يبدو لأول وهلة أن الأمر كذلك ، ولكن الحقيقة التي يستبينها القارئ، يجد أن شكسبير تربى تربية تقليدية في مسقط رأسه من قبل والديه، وفي المدرسة الأجرومية التي تعلم فيها. وما

---

(١) انظر : Allardyce Nicoll, British Drama ,p p. 3-8 .

من شك في أن وليم شكسبير مدين للكتاب المقدس بالفضل الكبير في فكره وأسلوبه إذ يبدو أنه ليس ثمة كاتب التصق فكره وإنتاجه بالكتاب المقدس كما فعل شكسبير[١]. ومع هذا فقد انصرفت اهتمامات النقاد والكتاب إلى دراسة الجوانب الفلسفية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والجوانب الفنية . . إلخ ، عند شكسبير ، و لم يكن هناك اهتمام بدراسة الجوانب المتعلقة بالنواحي التنصيرية في مسرحياته ، ولقد كان شكسبير يختار موضوعات مسرحياته وحبكاتها ، بعناية ويكتب مسرحياته بأهداف متعددة ؛ منها تعليم الفكر المسيحي النصراني[٢].

وإذا كان يقال : إن شكسبير كاتب موهوب ومطبوع بقدرة الله ، فإن هذه الموهبة دعمت بوسيله التعبير والبيان التي تلقاها من الكتاب المقدس ، والتي توضح تدينه والتزامه بالمسيحية ، التي تعلمها من أحد رجال الكنيسه (المطهريين) أو (الطهريين Puritans) ، وهو القس توباس هنت ، الذي يدرب حواريه وأتباعه لينشأوا علماء في اللاهوت والدراسات الإنجيلية ، وهكذا كان حال شكسبير منذ الثامنة حتى الثالثة عشرة من عمره ، حين ترك المدرسة ورحل إلى لندن ، وهو يحمل بين جنبيه تعاليم النصرانية[٣]. وكان

---

(١) انظر : Thomas Carter,Shakespeare and Holy Scripture, Hodder and Stougton, London,1905,P.3.

(٢) انظر : George G. Williams , Shakespeare's Basic plot Situation, Shakespeare Quar terly, vol.2,No,4,1951, P.313.

(٣) انظر : Thomas Carter, Shakespear and Holy Scripture, P.3

أهم كتاب يرجع إليه شكسبير في هذه الفترة من حياته الإنجيل، الأمر الذي أشبع فكر هذا الكاتب بمفاهيم النصرانية وكلام الرب في الكتاب المقدس[(١)]. وبطبيعة الحال، فإن نصرانية شكسبير وتمسكه بها باعتباره نصرانياً جعله يهتم بالإنجيل وتعاليمه ويضمنه مسرحياته، وهذا حال كل معتقد في دين ما.

ونحن هنا نفند آراءه ونظهر مكامن فكره النصراني الذي خفي على الكثير، فأغتروا بفنه وأدبه، وفي هذا الصدد يمكننا أن نعطي أمثلة للإشارات الإنجيلية Biblical References غير المباشرة في مسرحيات شكسبير. ففي مسرحية (الملك جون)، في الفصل الرابع، المشهد الثاني، نجد هذه العبارة التي تتضمن بعض الإشارات الإنجيلية :

إن تكرار الاعتذار عن الذنب يجعل العذر أقبح من الذنب
كالرقع السوداء التي تزيد العيب سوءاً وتظهر عِظَمَ وقبح الذنب [(٢)]

إن فكرة السوء على السوء، والقبح على القبح وردت في نصوص إنجيل مرقص Mark حال الإنسان الذي يمنح ثوباً جديداً، فلا يشكر ذلك، ويمزقه، ثم يندم فيرقع الثوب، فيظهر قبيحا، أقبح مما فعل الانسان بتمزيق الثوب وهذه من كلمات المسيح إلى حواريه لموعظتهم وتحذ يرهم من

(١) المرجع السابق، ص ٤.

(٢) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare: the Complete Works.. P.343.

الذنـــوب والمعـاصـي [١]. وفــي مــســرحـيــة (ترويـض الـشـرســـة) The Taming of the Shrew يرد النص الآتي في حديث كريمو :

« كـلا ، لم ينلني سوىٰ البرد القـارس ، إليّ بالنار إذاً ، أين الطاهي ؟ هل العشـاء جاهز في المنزل المزين بالأزهار والأشرطة والنجوم المتدلية كالعناكب ؟ هل ارتدىٰ الخدم والحشم ملابسهم الجديدة وجواربهم البيضاء؟ وهل لبس العروسان والجميع حلل العرس ؟ [٢].

إن العبارة السابقة من مسرحية (ترويض الشرسة) اقتبسها شكسبير من إنجيل متىٰ Matthew ، يظهر المغزىٰ الديني والأخلاقي والفكري في قصة العـرس والملابس الخـاصـة به والتـي تـدعـو إلىٰ النظر والتـأمل [٣]. وعن ملابس العرس ومغزاها الأخلاقي نجد شكسبير يعاود ذكر ذلك في مسرحية (هنري الخامس)، وعن الترتيب والتنظيم يقـول الملك هنري : « كل الأشياء جاهزة متممة ، ما دامت نفوسنا جاهزة متأهبة » [٤]، والعبارة توضح المغزىٰ الأخلاقي عن استعداد المحارب المسيحي للمنازلة والكفاح ، وهذا ما أخذه شكسبير من إنجيل لوقا Luke [٥].

---

(١) انظر : Thomas Carter, Shakespeare and Holy Scripture, P.5 .

(٢) انظر : Peter Alexander ,William Shakespeare. the Complete Works,. P. 303.

(٣) انظر : Thomas Carter , Shakespeare and Holy Scripture, P.6.

(٤) انظر : Perer Alexander, William Shakespeare : the Complete. Warks,P.576.

(٥) انظر : Thomas Carter, Shakespeare and Holy Scripture,P.7.

ويلاحظ من يقرأ مسرحية (عطيل) تكرر عبارة « Peace and bestill» «السلام والسكون »[١]. وهي من العبارات الإنجيلية المشهورة التي كررها شكسبير في مسرحية عطيل، لما تتسم به المسرحية من الهيجان والانفعال، والحال يدعو إلىٰ السلام والسكون.

يرىٰ هينج كوهين بأن القراء والمشاهدين لشخصيات مسرحية (تاجر البندقية) ـ بما فيهم بورشيا ـ كانوا يربطون بين الشيطان ولونه الأسود ، كما كان الحال بالنسبة لشخصية الأمير المراكشي (المغربي) الأسود الذي جاء ليخطب بورشيا ، والسبب في ذلك أن المسرحيات الدينية التي سادت في العصور الوسطىٰ ـ وتسمىٰ (مسرحيات الأسرار) ـ كانت تظهر الشيطان علىٰ المسرح باللون الأسود . ومن هذا المنطلق المسيحي في تصوير الشيطان باللون الأسود أو الأسمر، صور شكسبير الأمير المراكشي باللون الأسود أو الأسمر، مظهراً بذلك البعد العنصري فضلاً عن ان الفكر المسيحي في تصوير تلك الشخصية، وجعلها محل الامتعاض أمام المشاهدين وعند القراء كرهاً للونها ودينها[٢]. وهكذا كانت صورة الشيطان في العديد من مسرحيات شكسبير، تقوم علىٰ تقاليد الفكر النصراني كما يظهر في مسرحية (هاملت) ، حيث يوجد القسم بعبارة « الشيطان الأسود » في

---

(١) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare : the Complete. Works , P. 1149.

(٢) انظر: Hennig Cohen, Shakespeare,s Merchant of Venic : p.p. 78-79 Shakespeare Quarterly ,vo1.2.No1. 1951,P.79.

الفصل الرابع المشهد الثالث . وكذلك في مسرحية (عطيل) عندما علمت إميليا بمقتل ديزدمونه ، فعملت على المقارنة بين الاثنين ، حيث نرى أن ديزمونه ملاك وعطيل شيطان أسود ، وهذا في الفصل الخامس المشهد الثاني ، وهذا العبارات والأفكار تظهر في مسرحيات أخرى هي : (مكبث) و (عذاب الحب الضائع) ، و (الليلة الثانية عشرة) . هكذا إرتبط لون الشيطان عند النصارى وربما كان لونه مختلفاً عند أهل الأديان الأخرى .

ومن يدقق النظر من خلال دراسة واعية لجملة من الألفاظ التي تضمنتها مسرحيات شكسبير ، يجدها تحمل معاني إنجيلية مسيحية عميقة ، من أبرزها كلمة (العناية الإلهية) Providence التي ترد على الخصوص في المسرحيات التراجيدية المأساوية ، مثل (الملك لير) و(عطيل) ، و(هاملت) ، و(مكبث) ، و(رميو وجوليت) ، و(تيمون الإثيني) ، و(كريولانس)[1] . إضافه إلى المفهوم المسيحي المتعلق بالخلاص والإنقاذ Salvation ، وخلاص الروح من العذاب والأذى والبلاء ، ذلك أن اختيار شكسبير لموضوعات مسرحياته وحبكاتها كان من منطلق مسيحي كاثوليكي أو بروتستانتي ، نتيجة لما تأثر به في نشأته الأولى من حياته ودراسته للإنجيل ، فهو بطبيعة الحال كان « إليزابيثياً تقليدياً ، مهتماً بتصوير النظام الاجتماعي ، ومؤمناً بأن

---

(١) انظر : George G. Williams , Shakespeare's Basic Plot Situation, . pp. 314-316.

الرب هو المهيمن على الكون »[١].

ومما يمكن ملاحظته من مظاهر الفكر النصراني المسيحي في مسرحيات شكسبير فكرة الولاء السياسي في عدد من المسرحيات التاريخية، والمسرحيات المتعلقة بملوك إنجلترا، وأن الخيانة السياسية والغدر تنتهيان بالعقاب السماوي في كثير من الأحيان، كما في مسرحية (مكبث) و(هنري الخامس) و (هنري الثامن) و (يوليوس قيصر) و(تيتنس اندرنيكوس) ، فالمسرحيات التاريخية بصورها المختلفة التي تقوم على الضغائن والأحقاد المريرة داخل الأسرة الملكية الإنجليزية، وغيرها من الأسر وبين الملك والثوار أو المعارضين والمناوئين، تمثل الحبكة التقليدية عند شكسبير التي تنتهي بالعقاب الإلهي [٢]، ذلك لأن ولاء شكسبير للملك الإنجليزي ولاء ديني نصراني والخروج على الملك خروج على الدين . ولننظر مثلاً في مسرحية (مكبث)، وعلى الأخص في الفصل الرابع والمشهد الثالث منه ، هذا الجزء من المسرحية الذي اهتم به النقاد كثيراً لإظهار صورة الغدر والخيانة التي عكستها أقوال مالكوم عندما سمع نبأ مقتل زوجة مكدف وأطفاله، فقال :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

« هيا بنا إلى الملك ، جيشنا جاهز ، ما بنا حاجة للاستئذان
مكبث حان قطافه والقوى العلوية ترتدي سلاحها »[(١)] .

هنا يتضح من عبارة (القوى العلوية) أي : قوة الله التي ستنزل العقاب على مكبث جزاء ما كسبت يداه من خيانة للملك ، وهذا دليل واضح على ارتباط السياسي بالولاء الديني ولاء الإنسان لله في السماء كما يراه شكسبير[(٢)] .

ومن السمات النصرانية في المسرحيات الشكسبيرية في الصور الاجتماعيه لأفراد المجتمع ظهور أسماء الأنبياء مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وظهور الشخصيات الدينية ، مثل البابا والقسس والرهبان والأساقفة ، وبروز مشاهد الترانيم والصلوات المسيحية في الكنائس أيام الأعياد المسيحية ، وأثناء مراسم الزواج وطقوس تشييع الجنائز والدفن . فالقارئ يجد مقطوعات مسيحية مقتبسة من بعض كتب النصارى ، ضمنها شكسبير بعض مسرحياته ؛ لأن شكسبير كان مسيحياً ذا ثقافة مسيحية ، حيث أراد أن يرقى بأدبه من خلال تلك الثقافة . وقد أوضح أحد النقاد أن النصوص الموجودة في بعض مسرحيات شكسبير عن طقوس الدفن مأخوذة من أقوال البطريق أو الكردينال الرئيس لمدينة إسكس في إنجلترا ،

---

(١) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare: the Complete Works, P.1022.

(٢) انظر : Lily B. Compbell, Political Ideas in Macbeth, Shakeapear, quarterly Vol.2, No.4,1951,P282.

وهذا يدلل على ارتباط شكسبير بالنصرانية، واهتمامه بها في كتاباته وعلى الأخص معرفته بمراسيم الدفن الكاثوليكي [١]. ومثالاً لذلك ما يجده القارئ في مسرحية (هنري الخامس) في حديث المرافقة أو الوصيفة Hostess عند دفن فلستاف إذ تقول :

« حقاً ، إنه ليس في نار جهنم ، إنه في أحضان الملك آرثر
حيث أي إنسان يذهب إلى أحضان الملك آرثر
فهو في براءته أشبه بطفل صغير طاهر »[٢] .

إن عبارة (إنه في أحضان آرثر) إشارة إنجيلية ذكرت في إنجيل لوقا ضمن ترانيم ومراسم دفن الموتى، ويجمع معظم النقاد أن العبارة المذكورة اقتباس لعبارة الإنجيل، وهي (إنه في أحضان إبراهيم)النبي عليه الصلاة والسلام ، وإنما قالت الوصيفة كلمة (آرثر) بدلاً عن (إبراهيم)، لأنها جاهلة بالحقيقة، ولم تتذكر إلا اسم الملك آرثر [٣] .

وفي دراسة لغوية لمفردات المسرحيات الشكسبيرية كتب أحد النقاد بصورة مفصلة الدلالات والمعاني التي تحملها ألفاظ المسرحيات وما تنطوي عليه من الفكر النصراني الذي أثر في شكسبير نتيجة قراءته للانجيل والكتاب

---

(١) انظر: Maurice J. Quinlan, Shakespeare and Catholic Burial Service, Shakespeare Quarterly, vol 5,No.3,198,P.303.

(٢) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare : the Complete Works, P.561 .

(٣) انظر: Maurice J. Quinlan, Shakespeare and Catholic Burial . Service,P.303.

المقدس[١]، إذ « ليس ثمة تفسير لحقيقة تلك الكلمات إلا أنها تقوم على أساس الطقوس الدينية»[٢].

وبعد عرض عدد من الأمثلة عن الإشارات الإنجيلية والمفردات النصرانية والأفكار المسيحية في مسرحيات شكسبير، ننتقل لتقديم بعض النماذج الصريحة في المسرحيات الشكسبيرية عن النصرانية.

ورد ذكر نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام بلفظ Jesus، ولفظ Jesu، ولفظ chessha، ولفظ Jeshu، ولفظ Gis فيما يزيد عن عشرين موضعاً من مسرحيات شكسبير المأساوية، والمسرحيات التاريخية، ففي مسرحية (ريتشارد الثاني) يتحدث الأسقف كارليل عن الحروب، ويشير إلي الحروب الصليبية، وبسالة أم الشمال وحروبهم وشجاعتهم، فيقسم قائلاً:

« باسم عيسى المسيح، الذي ينعم في جنة النصارى العظمى
رافعاً الصليب المسيحي رمزاً سامياً في وجه الوثنيين
السود، والأتراك والشراكسة »[٣].

---

(١) انظر: W.S. Mackie, Shakespeare's English : And How Far it can be Investigated With the help of the New English Dictionary, the Modern Longuage Review, vol. xxx,1 No.1,Jan 1936,P.P.2-6.

(٢) انظر: Maurice J. Quinlan, Shakespeare and Catholic Burial Service,P.305.

(٣) انظر: Peter Alexander, William Shakespeare: the Complete Woorks, P.470.

وفي نفس المسرحية (ريتشارد الثاني) يتحدث دوق يورك عم هنري، الملقب ببولينبروك (الذي يصبح فيما بعد الملك هنري الرابع)، ومن خلال وصف طويل من يورك، عن الملك هنري وشجاعته وفطنته ومهارته فارساً مغواراً، وهو ممتطياً صهوة جواده، وقد هتف له الجميع بالدعاء (حفظك الله وأهلاً بك) ينتهي الدعاء بعبارة : « يحفظك المسيح ويحييك يا بو لينبروك »[1].

وفي الثنائية التاريخية بعنوان (هنري الرابع) تتحدث إحدى الوصيفات في حق الأمير هنري ونبله ورفعة خلقه وكريم سجاياه ، فتبتهل داعيه باسم المسيح أن يحفظ الأمير :

« أسأل الإله أن يحفظ سموكم وأهلاً بك إلى لندن ، عسى الرب أن يحفظ هذا الوجه الوسيم : احفظه ياأيها المسيح احفظه »[2] .

وتكررت عبارات القسم والثناء باسم المسيح في مسرحية (هنري الرابع) مرات عديدة مثل :

- باسم المسيح أدعوك سيدي الأمير
- أيها المسيح هذا أمر رفيع للإيمان بك
- المسيح إلهي المسيح إلهي
- ارحمنا ياعيسى .

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢٩ .

- يحفظ عيسىٰ جلالة الملك[١] .

وبالنظر في مسرحية (هنري الخامس) نلاحظ خلال الحديث الذي جرىٰ بين الضابط كوآر والضابط فلولن يطلب الآخر من الأول أن يتحدث بصوت منخفض قائلاً له : «ياصاح ، أتوسل إليك باسم عيسىٰ المسيح أن تتكلم بصوت خافت »[٢] .

ويبدو أن هذه هي الإشارة الوحيدة في مسرحية (هنري الخامس) ، بينما تضمنت المسرحية الثلاثية (هنري الخامس) ثلاثة إشارات إلىٰ المسيح ، أولهما : ما جاء في مشهد الحديث الذي دار بين الكردينال بوفور أسقف دوق كلو سستر عم الملك . ففي نهاية حديثه يدعو الكردينال لابن أخيه الملك ، ويحذر الناس من دوق كلو سستر ، وإن هتف له الناس ، وقالوا :

«يحرسك عيسىٰ ياصاحب الجلالة

والله يرعاك أيها الدوق همفري النبيل »[٣] .

ودعاء الشعب لأمرائه وملوكه باسم عيسىٰ المسيح مظهر نصراني ديني في المجتمعات الغربية جميعها ، وهنا يصور شكسبير في مسرحية (هنري السادس) مشهداً لمجموعة من أفراد الشعب يتقدمون بطلبات إلىٰ أميرهم ، داعين له بطول البقاء ، فيقول أحدهم :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٥٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٢٥ .

« لعمري ، حرس الله مولاي ، لأنه رجل طيب صالح رحمة عيسىٰ عليه»[1]. وفي مسرحية (هنري السادس)، وفي المشهد المتعلق بمجيء دوق يورك ريتشارد بلاتنا جينيه لاسترداد الملك، وانتزاعه من الملك هنري ومعه ولداه ، حيث تحدث كليفورد الشاب أحد أنصار دوق يورك عن ضرورة محاربة الملك هنري، ورفع السلاح فوراً، وسحق المتمردين وجميع أعوانهم، وهنا يُسكت الدوق هذا الشاب قائلاً :

« تباً لك، يجب أن تكون أكثر شفقة وأوفر حباً

لا تتحدث بحقد وعنف ، وكن لطيفاً لكي

تنعم بالإطعام في كنف عيسىٰ المسيح »[2].

وأخيراً، ففي مسرحية الملك (ريتشارد الثالث) نجد إشارتين إلىٰ عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام، الأولىٰ كلمات ريتشارد دوق كلو سستر الذي أصبح الملك ريتشارد الثالث، وهو شقيق للملك، ففي حديثه الآتي يظهر الأسىٰ علىٰ موت جورج دوق كلارانس، فيقول :

« ياللمسكين كلارانس ترك والده واريك

وحنث بيمينه ، لعل عيسىٰ يعفو عنه ويصفح »[3].

عيسىٰ في مسرحية واحدة فقط هي مسرحية (روميو وجوليت)،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠٨ .

وفي ثلاثة مواطن منها والإشارة الثانية إلى المسيح في مسرحية (ريتشارد الثالث) تظهر في دعاء الملك ريتشارد طالباً رحمة عيسى :

« أعطني حصاناً آخر وضمد جراحي .
وارحمني ياعيسى »[١].

وبقراءة المسرحيات الكوميدية، وتتبع الإشارة إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، لا يجد القارئ ما يدل على ذلك ، ولكن المسرحيات المأساوية (التراجيدية)تضمنت الإشارة إلى المسيح بن مريم عليهما السلام كثيراً ففي حديث فرانسيس لورانس إلى القديس الأعظم فرانسيس حينما تركته روزالين، فيقول :

« ما هذا التغير الذي أراه هنا أيها القس الأعظم فرانسيس؟
هل ضحت روزالين بك وقد أحببتها من الأعماق؟
فلا صدق في قلبها ولافي عينيها
هذا ما يحصل ياعيسى يا ابن مريم ؟»[٢].

أما بالنسبة لذكر المسيحية أو النصرانية وجملة اشتاقاتها المختلفة بلفظ Chrissten ، ولفظ Christian ، ولفظ Christmas ، ولفظ Christ'ning ، ولفظ Christ'end وكذلك لفظ المسيح Christ و Chrish ، فقد وردت فيما يزيد عن مائة مرة في الأنواع المختلفة للمسرحيات الشكسبيرية (مأساة ،

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الخامس المشهد الثالث ، ص ٤٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩١٤ ، الفصل الثاني المشهد الثالث .

وملهـاة، و مسـرحـيـات تاريـخـيـة) ، وهـنا سنكتـفـي باعطاء بعض الأمـثله للتدليل على ما ذكر .

نجـد إيفـانز يـخـاطـب زمـيله أومـان في مسـرحـيـة (زوجـات ونـدسـر المرحات) بما ظهر له من عـدم الفهم وقلة الإدراك ، فيصفه بالمسيحي الغبي :

« إنك مجنون ياأومان ، فأنت لا تفهم

ما يدور حولك . . إنك مثل

المسيحيين الأغبياء »[1] .

وفي مسرحية (العبرة بالخواتيم) All's Well That ends Well تتحدث هيلانا وهي بصحبة ديانا وإحدى الأرامل عن الملك ، فتقول :

« إنك متأكد من أنني لم أخطئ في حقك

وإن من أعظم ما هو موجود في العالم المسيحي وهو يقيني

الجميع بحاجة إلى ملكه وحكمه » [2] .

ومن صور تفضيل النصرانية أو المسيحية وعلوها على غيرها من الأديان في الحـديث الـذي كـان يدور بين الخـادم المهـرج سـبـيـد ، وبـين لاونس في مسرحية (سيدان من فيرونا) ، إذ بيّن الأول ما وقع فيه سيده من حب وغرام ولّع به قلبه ، فيجيب سبيد عن ذلك قائلاً :

« إنني أخبرك أنه لا يهمني أنه يحرق نفسه في الحب

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٣ ، الفصل الرابع المشهد الأول .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الرابع المشهد الثالث ص ٣٤١ .

ودعنا نذهب إلىٰ الحانة وإن لم نوافق، فأنت عبراني
واليهودي لا يستحق أن يكون مسيحياً »[١].

وفي مسرحية (كما تهوىٰ أو كما تحب) تتحدث روزالند إلىٰ أحد الرعاة عن قسوة الحب وما تخللها من جفاء وعنف بين المحبين في بعض الأحيان فتصف ذلك قائلة :

« إنه أسلوب المتحديين . لقد خدعتني
كما يخدع التركي (المسلم) النصراني المسيحي»[٢].

إن هذه العبارة تعكس حقيقة التاريخ الطويل بين أوربا والمسلمين، فجميع كتاب الغرب ـ ومنهم شكسبير ـ يستفيدون من وقائع وأحداث ذلك التاريخ (وهو ما نشير إليه في بداية كل فصل من هذه الدراسة)، واستخدامها مادة أدبية لكتاباتهم وروايـاتهم ومسرحياتهم شعراً ونثراً، وتنطلق هذه الأفكار من العداوة للإسلام باعتباره ديناً، وإلىٰ أصحاب ذلك الدين، وهكذا كان مبعث الحروب الصليبية ببعديها الديني والسياسي .

ونموذج آخر لذكر المسيحية في المسرحيات الكوميدية من مسرحيات شكسبير يتضح في تقديس النصارىٰ لذكرىٰ عيد ميلاد المسيح السنوي Christmas ، والفرحة التي يحسها النصارىٰ بهطول الثلج الأبيض الناصع الذي يمثل الفأل الحسن ، ويتضح ذلك في مشاعر بروين في مسرحية (خاب

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني المشهد الخامس ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الرابع المشهد الثالث ص ٢٧٧ .

سعي العشاق) Loves Labour Lost ، حيث قال :

« قبل أن تغني الطيور . . أود أن أشعر بالحبور والسرور

لأنني بحاجه إلى ذلك . . ولست بحاجة في عيد الميلاد إلى الزهور

ولكنني بحاجة إلى الثلج الناصع البلور »[1].

فيما تقدم بعض نماذج لذكر المسيحية في مسرحيات شكسبير الكوميدية، وفيما يلي نعرض إلى ثلاثة نماذج لذلك في المسرحيات التراجيدية، ففي مسرحية (عطيل) يتحدث ياغو عن الصراع بين النصارى والوثنيين، ويرى أهمية توقف الصراع لحقن دماء المسيحيين، فيقول : «يجب أن تهدأ الأمور بين الوثنيين والمسيحيين»[45].

وعن صور الصراع على الحكم، المنافسة عليه، كما هو موضوع مسرحية (مكبث)، وما فيها من مقاومة، يتحدث مالكوم طالباً المدد من أرض الوطن إنجلترا، حيث يقول :

«طلباً للسكون والسلام فقد جئنا إلى هنا

يا إنجلترا العظيمة، أعطينا قائداً ملهماً

وعشرة آلاف رجل وجندي من

المتمرسين وأحسن ما وجد

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول المشهد الأول ص ١٦٧ .

(٤٥) المرجع السابق، الفصل الأول المشهد الأول ص ١٦٧ .

في دولة المسيحيين والعالم النصراني»[١].

وفي مسرحية (هاملت)، وفي حديث طويل لهاملت نفسه عن بعض الأمور الأخلاقية التي يجب أن يتحلىٰ بها الرجال، يرىٰ أن الأفعال أهم من الأقوال، إذ إن كثيراً من الناس يقولون مالا يفعلون، إذ لا قيمة لكلامهم الذي لا ينبع عن: «روح مسيحية، أو منهج مسيحي»[٢].

وختاماً لهذه النماذج، نذكر ماورد في بعض المسرحيات التاريخية من ذكر المسيحية، ففي مسرحية (الملك جون)، حيث يتكلم السفير الفرنسي المبعوث إلىٰ الملك جون بعد عودته إلىٰ فرنسا، مفصحاً السفير لملكها عن نتائج سفارته، وأحوال الناس في إنجلترا، وأن الملك جون لم يكترث بأي أمر، ولم يتورع عن «الإساءة إلىٰ العالم المسيحي النصراني»[٣].

أما مسرحية (الملك هنري الثامن)، فهي تتحدث عن خروج الملك هنري الثامن علىٰ المسيحية في مسألة الزواج والطلاق، إذ إنه ضرب بعرض الحائط كل تعاليم المسيحية، وأوامر البابا في روما، وفي هذا الشأن يتحدث دوق سوفولك عند عودة اسقف كنيسة كنتربري كرانمر الذي قيل عنه: إنه عاد وهو يميل إلىٰ تبني هذا الرأي، وقد حمل الملك علىٰ التشبث بطلب الطلاق، الذي يوافقه عليه معظم أولي الشأن من المسيحيين في إنجلترا»[٤].

---

(١) المرجع السابق، الفصل الرابع المشهد الثالث ص ١٠٢١.

(٢) المرجع السابق، الفصل الثالث المشهد الثاني ص ١٠٤٩.

(٣) المرجع السابق، الفصل الأول المشهد الثاني ص ٤١٨.

(٤) المرجع السابق، الفصل الثالث المشهد الثاني ص ٤٦٩.

النصرانية فوق اليهودية :

ومن الطبيعي أنه لو قال قائل بأن شكسبير كان يدين بالنصرانية، ولا غرو إذن في أنه يكتب عنها ويمجدها، فذلك معلوم، (وهكذا هو حال معظم الكتاب النصارىٰ)، ولكن إذا تعدىٰ الأمر ذلك الحد إلىٰ حد أن ينصر الناس، ليكونوا أسوياء في حياتهم العقدية والاجتماعية والسلوكية، فإن هذا مايؤخذ عليه إذ إن الذنب الأكبر عند شكسبير هو أن من لا يدين بالمسيحية، فهو ضال ملحد، وثني كافر، وهذا إكراه في الدين كما يتضح في وصفه لليهود والمسلمين في عدد من مسرحياته. والمعلوم أن المسيحية واليهودية ديانتان سماويتان نسختا بالدين الإسلامي، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴿١٩﴾﴾[1]. ويقول جل جلاله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، : « تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيئ الصلاة، فتقول: يارب أنا الصلاة، فيقول إنك علىٰ خير، وتجيء الصدقة، فتقول: يارب، أنا الصدقة، فيقول: إنك علىٰ خير ثم يجيء الصيام، فيقول: أنا الصيام، فيقول: إنك علىٰ خير ثم تجيء الأعمال، كل ذلك يقول الله: إنك علىٰ خير، ثم يجيء الإسلام، فيقول: يارب، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول: إنك علىٰ خير، بك اليوم آخذ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيه ٨٥.

وبك أعطي . قال الله في كتابه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده ، لايسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولانصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار»[٢] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، حيث أتاه عمر رضي الله عنه ، فقال : « إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترىٰ أن نكتب بعضها فقال : أفتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارىٰ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسىٰ حياً ما وسعه إلا اتباعي »[٣] .

والأصل أن دين جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الإسلام ، دين التوحيد ، وهي دعوة كل الرسل والأنبياء من لدن آدم حتىٰ محمد ﷺ ، كما يشير القرآن في مخاطبة الرسل لأقوامهم ، وكذلك قوله ﷺ : «معاشر الأنبياء» . ولا أظن أنه كان يخفىٰ أمر الإسلام علىٰ شكسبير ، ومع هذا استكبر وتعالىٰ وأكد علىٰ أن النصرانية هي دين الحياة والفوز والنجاة ، وفضلاً عما ذكرنا من أمثله في مسرحيات شكسبير ، من فكر

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٢/ ٣٦٢ والطبراني في الأوسط مجمع البحرين ج٨/ ٩٨ ، وأبويعلىٰ في مسنده ج١١/ ١٠٤ (٦٢٣١) .

(٢) رواه مسلم ج١/ ١٣٤ (١٥٣) .

(٣) رواه أحمد في مسنده ج٣/ ٣٨٧ انظر مشكاة المصابيح ج١/ ٦٣ الحديث ١٧٧/ ٣٨ ، انظر السنة لابن أبي عاصم ج١/ ٢٧ (٥٠) .

نصراني ، إلا أن هذا الفكر والدعوة إلى التنصير تتجلى صورتهما واضحة في مسرحية (تاجر البندقية)، فموضوع المسرحية ، وحبكتها ، وأبرز شخصياتها يمثل الصورة المقارنة بين المسيحيين والحياة المسيحية ، وبين اليهود وسلوكهم في حياتهم اليومية مع الآخرين، كما يظهر في شخصيتي أنطونيو المسيحي وشيلوك اليهودي المرابي، الذي لم يكن همه جمع المال فحسب، بل الانتقام من النصارى.

وكتب مسرحيته (تاجر البندقية) مدفوعاً بالشعور السياسي ، والشعور القومي والشعور الديني ، أما الشعور السياسي فينطلق من فساد اليهود في إنجلترا كما هو شأنهم وما يفعلونه في كل بلد أو قرية يدخلونها ، يقتلون الأبرياء، ويسلبون الأموال، ويستبيحون الأعراض وينشرون الفساد والرذيلة، ويوقدون نيران الحروب، ويدسون الدسائس، وغير ذلك من الأفعال المشينة المزرية، والتي عادت ما كانت تنتهي بطردهم من البلدان التي يأتون إليها، فقد طردهم الملك إدوارد ملك بريطانيا عام ١٢٩٠م ، وطردهم ملك فرنسا الملك فيليب عام ١٣٠٦م وطردوا من المجر عام ١٣٦٠م، ومن بلجيكا عام ١٣٧٠م وشرد اليهود في تشيكوسلوفاكيا عام ١٣٨٠م وطرد اليهود من النمسا عام ١٤٢٠م، ومن هولندا عام ١٤٤٤م ومن إيطاليا عام ١٥٤٠م ومن ألمانيا عام ١٥٥١م، كماكثر اضطهادهم على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية [١].

(١) ويليام غاي كار ، أحجار على رقعة الشطرنج ، ترجمة سعيد جزائري ، دار النفائس ، بيروت=

واليهود لم يكن لهم وجود في إنجلترا حتىٰ بداية العهد النورماندي عام ١٠٦٦م ، ذلك أن عدداً من التجّار والبحّارة بدأوا الدخول إلىٰ إنجلترا في عام ١٠٧٠م بعد مجيء النورمانديين، فقد استدعىٰ الملك بعض اليهود إلىٰ إنجلترا لممارسة بعض الأعمال التجارية والاقتصادية، وبعض الجوانب الاجتماعية مما كانت تمنعه الكنيسة علىٰ النصارىٰ وتبيحه تشريعات التلمود ، وقد استخدم اليهود لاستثمار الأموال، وأخذها من الناس لصالحه علىٰ النظام الربوي الظالم ، واستمر وجود اليهود في إنجلترا إلىٰ عهد الملك إدوارد، الذي طردهم عام ١٢٩٠م ، وظل الأمر كذلك إلىٰ عهد الملكة إليزابث الأولىٰ حيث قدم يهوديّان من البرتغال عام ١٥٥٩م تظاهرا باعتناق المسيحية، الأول هو جوشيم اويواقيم كونز Joachim Caunz ، وكان يعمل في مناجم الفحم ، والثاني هو ذلك الطبيب الذي يدعىٰ رودريجو لوبز Roderigo Lopez وقد تدرّج في مناصب متعددة في إنجلترا، إلىٰ أن أصبح طبيب الملكة الخاص ، وقد حاول في مؤامرة محكمة عام ١٥٩٤م القيام بتسميم الملكة وقتلها ، وقد اتّهم بهذه الخيانة، وشنق في نفس العام[١].

وكتب تاريخ الأدب الإنجليزي والنقد كانت تتحدّث بين حينٍ وآخر عن اليهود، كما يظهر في بعض كتابات تشوسر في سلسلة حكاياته ، وكما

= ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ص ٥٧-٧٣.

(١) انظر: M.J. Landa , The Shylock Myth , W.H. Allen & Co. Ltd., K. London, 1942, pp. 5-8.

يظهر في كتب بعض معاصريه ومن جاء بعده ، ونذكر على سبيل المثال قصيدة ماثيو باريس Mathew Paris ، وعنوانها « ابنة اليهودي » The Jew's Daughter وكذلك قصيدة وليم لانجلاند William Langland، وعنوانها : «بيرز الحارث » Piers the Plowman ، وقد ظهرت بعض الكتابات خلال العصر التيودوري، كما يظهر في قصيدة جون جور John Gower، وعنوانها «اعتراف العاشق» Confession Amantis ، كذلك ظهرت إشارات إلى اليهود خلال عصر النهضة في بعض أعمال السير فليب سدني Sir Philip Sidney ، وسدني لي Sidney Lee ، وكذلك جون للي John Lyly .

وتؤكد كتب الأدب الإنجليزي أن اليهود لم يكن لهم وجود في إنجلترا زمن ظهور وليم شكسبير منذ أن طردهم الملك إدوارد عام ١٢٩٠م وحتى حادثة محاولة قتل الملكة إليزابث ، وقد عرف الكثير عن اليهود في الأدب الإنجليزي -بالرغم من أنّه لم يكن لهم وجود منذ عام ١٢٩٠م- عن طريق الرحّالة والتجّار الإنجليز ، ومن خلال مترجمات العهد القديم والعهد الجديد، وبعض الصّلات الاقتصادية والسياسية والفكرية القائمة في إيطاليا وتركيا وهولندا ، كل ذلك مهّد السبيل لظهور الشخصية اليهودية في أعمال مارلو وشكسبير ، الأوّل في مسرحيته « يهودي مالطة »، والثاني في مسرحيته « تاجر البندقية » [١].

---

(١) انظر: M.F. Modder, The Jew in the Literature of England to the end of 19th
= Century The Jewish Publication Society of America, Philadephia,1939, pp.13-19.

أما البعد أو الدافع الوطني في الكتابة عن اليهود عند شكسبير ، فإنه ينطلق من ذلك الموقف الشهير في حادثة الملكة إليزابث ، ومحاولة تسميمها من قبل الطبيب اليهودي رودريجولوبز ، إذ إن حماية الملوك والحفاظ على أرواحهم يمثل الولاء السياسي الوطني للملك ، ذلك أن الولاء السياسي هو ولاء ديني ينطلق من الفكرة المسيحية « السلطان ظل الله في الأرض » .

والدافع الديني للكتابة عن اليهود في مسرحية (تاجر البندقية) تظهر الصورة الحقيقية للنصرانية عند شكسبير ، وتبرز فكره التنصيري ، وليس كما يدعي اليهود أنها إساءة للسامية فحسب ، فالمسرحية كلها تصوير لحقيقة البغض والكراهية بين اليهودية والنصرانية ، بما يمثله الحقد الدفين بين الديانتين بسبب حادثة صلب المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . فعندما أحس اليهود بالخطر المحدق بهم من الأمم الأخرى ، نتيجة لما تعرضوا له من الطرد والامتهان ، أعادوا النظر في سياستهم وسلوكهم ، فعملوا على تحسين علاقاتهم مع الأمم النصرانية ، بقصد مناوأة الإسلام من جهة ، وإثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى ، وبقصد الإندماج مع شعوب وحكومات الدول الغربية من جهة أخرى . والقصد من ذلك إعادة الثقة بين اليهودية

= ومع أن مسرحية (تاجر البندقية) من أبرز وأشهر ما تحدث عن اليهود في مسرحيات شكسبير ، إلا أن نجده تحدث عن اليهود في ثنايا ست مسرحيات أخرى له . هذه المسرحيات هي (سيدان من فيرونا) ، (خاب سعي العشاق) ، (حلم ليلة صيف) ، (هنري الرابع) ، (لجاجة في غير طائل) ، (مكبث) . ولمزيد من التفصيل انظر كتاب عدنان محمد وزان (اليهود في مسرحيات شكسبير ، وباكثير) ، الدار السعودية للنشر جده ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ص ١٥٣-١٦٨ .

والنصرانية الذي تحقق عام ١٩٦٥م عندما اعتقد الغرب المسيحي صحة «وثيقة التبرئة » التي تبرئ اليهود من دم المسيح ، والتي صدرت عن المجمع المسكوني بعد أن عرضت على مؤتمر الكنيسة الكاثوليكية ـ المعروف باسم الفاتيكان ـ الأول الذي عقد عام ١٨٦٩م [١].

لقد شحذ شكسبير جل قدراته الفنية والفكرية في تصوير اليهود بأسوأ الصور ، وأظهرهم بأقبح المظاهر ، ونعتهم بأشين الأوصاف منطلقاً من مفهوم كلمة « يهودي» Jew في الأدب الإنجليزي ، منذ أن عرفت في مطلع القرن الثاني عشر ، وهي تستخدم بصيغة تعني السب والشتيمه Abuse والإنتقاص ، والتحقير والازدراء ، وقد كانت تستخدم بصيغة اسم وفعل وصفه وكانت كلمة « يهودي » في عصر شكسبير تعنى Opprobrium ، أي : العمل المخزي ، والسلوك المنحط المشين ، وهي كلمة عار [٢] ولهذا استخدم شكسبير كلمة «يهودي» و«عبراني» ساخراً متهكماً ، مزدرياً اليهود واليهودية بأهداف سياسية وطنية دينية ، أهمها الهدف الديني الذي يقصد به علو النصرانية وسموها ، وأنها الدين الأصلح ، وهذه بعض الأمثلة لما ورد في بعض مسرحيات شكسبير :

ـ اليهودي العبراني لا يستحق أن يكون مسيحياً .

---

(١) أحمد عبد الوهاب ، إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٢١ـ٣٤.

(٢) انظر : M.J. Landa, The Shylock Myth, p.13.

- الكاذب المفتري الذي لا يصدق الناس، إنما هو يهودي عبراني .
- المجرم المخادع إنما هو اليهودي .
- القسوة في أكباد اليهود .
- اليهود هم الشياطين [١] .

هذه جملة من الأوصاف التي وصف بها شكسبير اليهود في مسرحياته الأخرىٰ غير مسرحية (تاجر البندقية)، التي صورت شايلوك علىٰ أنه النموذج والنمط الأمثل لليهود حتىٰ اليوم ، وقصة « رطل اللحم » أصبحت قانوناً يهودياً يعني القتل وسفك الدماء ، ولقد اتخذ شكسبير من فكرة تصوير اليهود واليهودية منطلقاً لتثبيت صدق النصرانية والمسيحية أمام اليهودية وفوقيتها ، حيث ورد ذكر اليهودية في مسرحية « تاجر البندقية » أكثر من مائة مرة ، وورد ذكر المسيحية ما يزيد عن خمسين مرة ، وهذه أمثلة توضح ذلك :

بسانيو : أفيسرك أن تتعشىٰ معنا

شايلوك : نعم ، لكي تشم رائحة الخنزير ، ولكي تطعم من اللحم الذي جعله نبيكم الناصري للشيطان سكناً . . . لا إنني أشتري منكم وأبيع لكم واتحدث معكم وأسير معكم ، بيد أنني لا آكل معكم أو أشرب

(١) عدنان محمد وزان ، اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير ، ص ١٥٣-١٦٢ .

أو اصلي معكم(١).

صورة من صور البغض أظهرها شايلوك نحو النصارىٰ في حديثه، وفيها إشارة إلىٰ إنجيل لوقا، الذي يروي حادثة طرد المسيح للشياطين، وحبسها في جوف الخنازير. ولقد جعل شكسبير شعور الاستنكاف عند شايلوك واستعلاءه في مؤاكلة المسيحي ومشاربته والصلاة معهم مدخلاً يحكم به انتقاص اليهود وذمهم، والقدح فيهم، خصوصاً عندما صرح شايلوك بكرهه للنصارىٰ.

بسانيو : هذا السيد أنطونيو

شايلوك : (قائلاً لنفسه) ما أشبهه بلعشار الذليل إذ يظهر علىٰ وجهه المرائي التقوىٰ. إنني أبغضه؛ لأنه مسيحي أبله أخرق(٢).

ولقد قرر شايلوك الذهاب إلىٰ العشاء مع أنطونيو وباسنيو، فخاطب ابنته قائلاً :

« إنني مدعو لتناول العشاء ياجيسكا، دونك مفاتيحي، ولكن لن أذهب؟ إنني لم أدع بدافع الحب، إنهم يتملقونني علىٰ مائدة ذلك المسيحي المبذر»(٣).

---

(١) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare : The Complete Works, p.227 .

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، الفصل الثاني، المشهد الخامس، ص ٢٣٢.

ففي الحوارين يتحدث شايلوك وأنطونيو عن إقراض المال، فترىٰ أنطونيو يخاطب باسنيو مشيراً إلىٰ شايلوك : « استمع إلىٰ هذا القول ياباسنيو إن في وسع هذا الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس تأييداً لمآربه»[١] .

فهنا سمىٰ انطونيو شايلوك اليهودي شيطاناً، وهو ما تأكد في كلام لونسلو خادم شايلوك، الذي كان يحدث نفسه بالفرار من سيده اليهودي حيث قال :

« أيها الشيطان الخير، ما تنصحني به ! فإذا أطعت
ضميري وجب عليَّ أن أبقىٰ مع سيدي اليهودي ، وهو
شيطان والعياذ بالله ، أما إذا فررت من اليهودي ،
فأكون بذلك قد أطعت الشيطان ، وما اليهودي
سوىٰ الشيطان نفسه، وأرجو أن تغفروا لي
هذا القول ما من شك في أن الشيطان
هو اليهودي مجسماً »[٢] .

ويستطرد لونسلو في حديث مع والده جوبو، الذي جاء ليتحسس أخبار ابنه مع سيده شايلوك، وقد وضح لونسلو لأبيه ما قد عزم عليه من الفرار، وأن بقاءه مع شايلوك سيجعله ملعوناً .

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول المشهد الثالث ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثاني المشهد الثاني ص ٢٢٩ .

« إن مولاي هذا يهودي صرف، أتود أن تقدم له هدية ؟

بل قدم له حبل مشنقة : إني أكاد أموت جوعاً وأنا في

خدمته . . وإذا ظللت في خدمة اليهودي بعد الآن،

فسأصبح أنا يهوديا ملعوناً »[١].

وعندما تأزمت أحداث المسرحية وضاق الوقت المحدد لسداد الدين، ضاقت نفس أنطونيو وبدا لشايلوك أن يشمت من انطونيو وسائر النصارىٰ، ففكر في الانتقام، فقال :

« لقد لطخني بالعار . . يضحك لخسائري، ويسخر من مكاسبي .

ويمتهن أمتي، ويفسد صفقاتي . . وما هي حجته في ذلك

كله ؟ هو أنني يهودي . . أفليس لليهودي حواس وعواطف

وشأنه في ذلك شأن المسيحي ؟ ولا ندمي إذا وخزتمونا ؟

ونضحك إذا دغدغتمونا ؟ وإذا دسستم لنا السم افلا نموت ؟

وإذا ظلمتمونا افلا نعمد للانتقام ؟ وإذا كنا مثلكم في

الأمور الأخرىٰ . أفلا نكون مثلكم في هذه الأمور ؟ وإذا ظلم

يهودي مسيحياً، فهل يتسامح المسيحي ؟

وإذا ظلم مسيحي يهودياً، فماذا يكون مقدار احتماله . إذا

كان عليه أن يقتدي في ذلك بالمسيحيين ؟ إنه الانتقام »[٢].

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني، المشهد الثاني ص ٢٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثالث، المشهد الأول ص ٢٣٧ .

وتظهر صورة الانتقام في مطالبة شايلوك بتطبيق شروط الصك، وهو أن يأخذ شايلوك رطلاً من اللحم من جسد أنطونيو، وقد حاول أصدقاء أنطونيو تخليص صديقهم من تلك الورطة، فوصفوا شايلوك « بالعدو اللدود» [١]، الذي قال عنه دوق البندقية : « إني آسف لما أصابك، وإنك لتواجه خصماً قُدّ قلبُه من الصخر، مجرد من الإنسانية، فاقد الإحساس بالشفقة ليست لديه ذرة من العطف والرحمة » [٢]. ويجيب أنطونيو على ذلك مؤكداً قسوة اليهود :

«أرجوك أن تتذكر أنك تناقش يهودياً : إنه لأ سهل عليك أن تتوجه إلى الشاطئ، لتأمر ماء المحيط أن يخفض من ارتفاعه ، أو في وسعك أن تسأل الذئب لم أبكى النعجة بافتراس صغيرها ؟ بل وفي مقدروك أن تمنع أشجار الصنوبر الجبلية من تحريك أغصانها العالية فلا تحدث صوتاً إذا هبت عليها عواصف السماء ، إذا كان في وسعك أن تفعل كل شيء مهما صعب ، فإنه ليس في وسعك أن تلين قلب اليهودي الذي لا نظير له في قسوته »[٣].

إن قلب اليهودي مليء بالحقد مقابل قلب المسيحي، كمايصور شكسبير أن المسيحي أطيب قلباً، واليهودي يستحق الإهانة كما كان يفعل أنطونيو ، كما يتضح في الحديث الآتي لشايلوك مع أنطونيو :

(١) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد الثاني ص٢٤٠ .

(٢) المرجع السابق ،الفصل الرابع، المشهد الأول ص٢٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، الفصل الرابع المشهد الأول ص ٢٤٤ .

« ياسيدي أنطونيو ، كم مرة قابلتني في الريالتو فسخرت مني
بسبب أموالي وكيفية استخدامي لها ؟ ، وكنت على الدوام
أقابل تلك السخرية بأن أهز كتفي في صبر وتجلد : ذلك
أن الصبر هو شعار أمتنا عن بكرة أبيها . إنك تدعوني
كافراً وكلباً مسعوراً ، وتبصق على عباءتي » [١] .

إن العبارة السابقة أظهرت كيف أن شكسبير خرج من دائرة التلميح إلى دائرة التصريح في وصف اليهودية واليهود ، وأعتبر اليهود على غير دين ، وأنهم كفار ، وأن دين اليهود دين الشيطان ، كل ذلك كان يأتي في ثنايا المسرحية ليتدرج شكسبير بالقارئ ليؤكد صدق المسيحية والدعوة إلى اعتناقها ، وهذا ما تضمنته مسرحية (تاجر البندقية) في عدد من المواطن ، خصوصاً في مشهد محاكمة شيلوك ، وفي أحد المشاهد التي كان لونسلو يودع فيها ابنة شايلوك ليترك خدمة والداها يقول :

« وداعاً ! هذه دموعي تفصح عن مشاعري التي أعجز
الحزن لساني عن تبيانها ياأجمل كافرة وياأحلى يهودية
فإذا حسن تقديري ، فإنه سيأتيك مسيحي حذق ليخطفك . وداعاً» [٢] .

ومن شعور الأسى والحزن الذي داخل قلب لونسلو دبر هو وبعض أصدقاء لورنزو أمراً بليل لاختطاف جيسكا ابنة شايلوك والهروب معها ،

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول المشهد الثالث ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثاني المشهد الثالث ص ٢٣١ .

ويتحدث لورنزو عن ذلك، شارحاً الخطة، وفيها يصف جيسكا بالكفر: «يجب أن أحيطك علماً بالأمر كله. لقد بعثت تصف الطريقة التي سآخذها بها من منزل أبيها، وتصف ما لديها من ذهب وحلي، كما تصف حلة الوصيف التي أعدتها للتخفي فيها ولو أن أباها اليهودي دخل الجنة، فلن يكون ذلك إلا من أجل ابنته الحسناء وما كان لمصيبة أن تلم بها إلا بحجة أنها ابنة ليهودي كافر»[١] وهكذا نفذت الخطة بإحكام، وهربت جيسكا مع لورنزو، ذاهبين إلىٰ منزل بورشيا يافي بلمونت وقد فرح الجميع بذلك وعند قدومهما رأهما جراتيانوا، فأخبر الجميع قائلاً: « ولكن من ذلك القادم؟ هذا لورنزو وفتاته الكافرة »[٢]، ولئن كان هذا الموقف يعكس وجهاً من وجوه الفكاهة في المسرحية، فإنه يظل الكفر ذنباً عظيماً يلزم تركه والدخول إلىٰ حظيرة الإيمان والمؤمنين، فأي إيمان ذلك الذي يدعو إليه شكسبير؟ إنه الإيمان بالمسيحية، إيمان من قال عنهم الله جل جلاله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[٣]. النصرانية التي يدعو إليها شكسبير في مسرحياته ـ وعلىٰ الأخص في مسرحية (تاجر البندقية) ـ كما سنعرض إلىٰ جوانبها من الفصول التي سنوردها فيما يأتي.

يلاحظ أن المشهد الذي ظن فيه لونسلو، وهو يودع جيسكا، أوحىٰ

(١) المرجع السابق، الفصل الثاني، المشهد الرابع ص ٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد الثاني ص ٢٤٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٦.

إليها بأن مسيحياً سيأتي ليخطفها ، ولهذه العبارة تحركت مشاعر جيسكا وأحست بثقل الذنب من يهوديتها كما يصورها شكسبير ، وما تحسه ممن حولها الذين كانوا يرون أنه ربما جاز لها أن تتمنى لو لم يكن أبوها قد جاء بها إلى هذا العالم ، وأنها لم تكن ابنة اليهودي [١] ، كما أنه كان يقال لها : لن تجد رحمة في الدار الآخرة ؛ لأنها ابنة يهودي ، ملعونة الأب والأم [٢] ، كل هذه الأقوال والأفكار جعلت جيسكا تظن أن الخلاص كله في اعتناق النصرانية كما يراها شكسبير حيث قالت في وداعها لونسلو :

« وداعاً يا لونسلو العزيز . واحسرتاه . . ما أشنع
خطيئتي ، إذ أستشعر العار بانتسابي إلى أبي ، بيد
أنني أخالفه في الطباع وإن كنت من دمه . آه يا لورنزو
لو أنك حافظت على عهدك إذن لأنهيت هذا الصراع
واعتنقت المسيحية وأصبحت زوجتك المحبة » [٣] .

وتحقق حلم جيسكا ، فبعد هروبها مع محبوبها لورنزو ، وقناعتها بالنصرانية التي حُبّبت إليها بتصوير فساد الديانة اليهودية ، وأنها ديانه الشيطان ، وأنها ديانة الملعونين المغضوب عليهم ، بهذه الصور اعتنقت جيسكا النصرانية ، وفرحت بها قائلة : « سينقذني زوجي ، فلقد صرت

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الخامس ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣)المرجع السابق .

بفضله نصرانية »[١]. وهكذا أدىٰ شكسبير هدفه بأن جعل هذه اليهودية تعتنق النصرانية. بل وفي مشهد المحاكمة في مسألة القرض، وفي بهو المحكمة عندما أدين شايلوك بجريمته نحو المسيحين حسب قوانين البندقية المسيحية، فيما إذا حاول أجنبي القضاء علىٰ حياة مواطن بطريق مباشر أو غير مباشر، فإن من حق الطرف الذي بذلت تلك المحاولة ضده أن يحصل علىٰ نصف ممتلكاته، أما النصف الأخر فيصبح حقاً خاصاً لخزانة الدولة، وعن حقه لدىٰ شايلوك وهو نصف أملاكه، اشترط أنطونيو ألا يقبل منه ذلك إلا إذا اعتنق النصرانية، فيقول :

« إذا رضي سيدي الدوق، وهيئة المحكمة أن يعفيني من
توقيع الغرامة الخاصة لنصف أملاكه، فإني أرضىٰ
بهذا وأسر له، ومن ثم سيكون لي النصف الآخر من
هذه الأملاك، لأعطيه لدىٰ وفاته إلىٰ السيد
الذي اختطف ابنته أخيراً : ولي شرطان آخران :
أن يعتنق في نظير هذا الفضل الدين المسيحي
أمام المحكمة، والثاني : أن يقدم علىٰ سبيل الهبة
كل ما يكون لديه عند وفاته إلىٰ ابنته وإلىٰ زوجها لورنزو »[٢].

ومن هذا المنطلق تنفرج عقدة القصة بالتسرية عن المسيحيين، الذين

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، الفصل الرابع المشهد الأول، ص ٢٤٨ .

يريدون أن يكثر سوادهم عن طريق المسيحية واعتناق الناس لها ، وهذا ما جاء في صورة ضاحكة وفرحة غامرة في الحديث الذي دار بين جيسكا ولونسلو :

جيسكا : سينقذني زوجي ، فلقد صرت بفضله نصرانية

لونسلو : والحق إنه لذلك أشد استحقاقاً للوم : فلقد كان عددنا نحن النصارىٰ كثيراً قبلك ، لقد بلغنا أقصىٰ عدد يستطيع العيش معه . فالإكثار في تحويل الناس إلىٰ المسيحية سيرفع أسعار الخنزير»[١] .

هكذا يبدو السرور من إدخال الناس إلىٰ النصرانية واضحاً في العبارة السابقة ، والتي هي هدف ومقصد عند شكسبير .

ولعل فيما تقدم من دراسة موضوع النصرانية في مسرحيات شكسبير في هذا الفصل ما يدل علىٰ أن شكسبير كان ذا ثقافة مسيحية ، يستخدمها في أدبه ، ليرقىٰ بهذا الأدب إلىٰ حقيقة الفكر النصراني بجذوره الراسخة ، وعمقه وثباته في نشأة شكسبير ، وفي فكره وأدبه الذي ينطلق فيه من تعاليم الكتاب المقدس ، رفيق رحلته الفكرية والأدبية منذ أن ترك مدينة ستراتفورد آون آفون ، متوجهاً إلىٰ لندن ، حيث بدأ مسيرة حياته العملية والفنية بين المسارح والأدب المسرحي ، الذي اتخذه منبراً يبث من خلاله رسالته الداعية إلىٰ التنصير ، معاداة لكل دين غير المسيحية ، كما فعل مع اليهود واليهودية

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الخامس ، ص ٢٤٣ .

فيما ذكرنا ، وكما فعل مع الإسلام والمسلمين كما سنبين ذلك في هذه الدراسة فيما سيأتي بعون الله وتوفيقه .

ولكن قبل عرض النماذج والأمثله المتعلقة بالإسلام في مسرحيات شكسبير ، رأينا من المناسب أن نقدم في عجالة سريعة جوانب من العلاقة بين النصرانية والإسلام ، لنبين من خلالها أنه إن جاز أن يكتب شكسبير عن اليهود واليهودية بالكيفية التي كتب عنها ، ويدعو أولئك القوم إلىٰ إعتناق النصرانية فإن ذلك يعود إلىٰ أن المسيحية نسخت اليهودية ، كما نسخ الإسلام اليهودية والمسيحية معاً ، كما هو جلي في بشارة عيسىٰ عليه السلام بنبوة الرسول محمد ﷺ ، قال جل وعلا : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴿٦﴾ ﴾[1] . وعنه ﷺ فيما يرويه الأمام أحمد ، قال : حدثنا لقمان بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة قال : قلت : يارسول ، ما كان بدء أمرك؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرىٰ عيسىٰ ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام »[2] .

وهو النبي الأمي الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل ، قال تعالىٰ : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ**

---

(١) سورة الصف الآيه ٦ .

(٢) رواه أحمد في مسنده .

الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[١].

وعن العرباض بن سارية، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك؛ دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات المؤمنين يرين وفي رواية وإن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت، حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام، وفي رواية: وبشارة عيسى قومه، وفي رواية الطبراني: وقال «سأحدثكم بتأويل ذلك؛ دعوة إبراهيم، دعا: وابعث فيهم رسولاً منهم، وبشارة عيسى ابن مريم، قوله: ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، ورؤيا أمي التي رأت في منامها أنها وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام [٢]. والبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته، جاءت في التوراة والإنجيل متواترة ومتكررة، كما في سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرين عدد ١٩١٧، وكذلك ما ورد في إنجيل متى، الإصحاح الحادي عشر عدد ١٤ .. إلخ [٣].

وفي كتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصَّليب) لأبي محمد عبدالله التّرجمان الميورقي المتوفي سنة ٨٣٢هـ، وكان يدعى قبل إسلامه

(١) سورة الأعراف، الآيه ١٥٧.

(٢) رواه أحمد بأسانيد، المسند ج٤/ ١٢٧ ورواه البزار في كشف الأستار في زوائد البزار ج ٣/ ١١٢(٣٦٥)، والطبراني في الكبير ج/ ١٨/ ٢٥٣ (٦٣١) والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٠.

(٣) راجع في ذلك كتاب محمد عزت إسماعيل الطهطاوي محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل.

(انسلم تورميدا) في الباب التاسع، في ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ بنص التوراة والأناجيل. .). ومن ذلك ماتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل: أن عيسىٰ عليه السلام قال للحواريين حين رفع إلىٰ السماء: إني أذهب إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه «بارقليط». وهذا الاسم هو باللسان اليوناني وتفسيره بالعربية أحمد كما قال الله تعالىٰ في كتابه العزيز: (ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد)، وهو في الأنجيل (باللطيء براكلتس)، وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي كما تقدم ذكره في أول الكتاب، ومن ذلك ما قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله: إن عيسىٰ قال «البارقليط الذي يرسله أبي في آخر الزمان هو يعلمكم كل شيء»، ومن ذلك ماقال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله: إن المسيح قال: البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي لا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكن يناجيكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب، ومن ذلك ماقال النبي ميشا في الفصل الرابع من كتابه: «في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبل المبارك ليعبدوا الله فيه، ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد، ولايشركوا به شيئاً»، وهذا الجبل هو جبل عرفات بلا شك، والأمة المرحومة هي أمة محمد ﷺ، والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجاج بعرفات وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم»، وقارن مع (هيخا ٤ : ٢١)[١].

---

(١) أبو محمد عبدالله الترجمان الميورقي، دراسة وتعليق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر=

ومع هذا أنكر اليهود والنصارىٰ صدق الإسلام وصدق نبوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا فعل شكسبير بأن أنكر الإسلام، ونال منه، وأساء إليه، وبغض وشتم وانتقص، كما سنوضح في ما سيأتي، من خلال عرض الحقائق العقدية والتاريخية والفكرية التي تبين العلاقة بين الإسلام والنصرانية.

= الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ٢٦٦-٢٧٨.



الباب الرابع

الإسلام والنصرانية

الإسلام والنصرانية

إن دراسة كالتي بين يدي القارئ يتعلق موضوعها بالنصرانية والتنصير، تستلزم أن تبحث في مقدماتها عن جملة من الحقائق والوقائع التي تساند ما ينتج عن هذه الدراسة من أقوال وبراهين توضح للقارئ الطريق الذي يسير فيه لمتابعة حيثيات الدراسة وأبعادها.

ونحن عندما نتحدث عن النصرانية، نوضح أن من أسس وأركان الإيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم بأنبياء الله ورسله جميعاً، ويؤمن بما دعوا إليه من دعوات التوحيد، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣)** ﴾[(١)]. وقال النبي محمد ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[(٢)]، أي إن دعوة الرسل جميعاً هي توحيد الله بالألوهية وإفراده بالعبادة. فنحن المسلمين نؤمن بعيسى بن مريم نبي الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. ونحن عندما نتحدث عن النصرانية أو النصارى، فإننا لا نتهجم عليهم، كيف وهي دين سماوي مقدس، نؤمن به

---

(١) سورة الشورى الآيه ١٣.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري ج٦/ ٤٧٨ (٣٤٤٣) ومسلم في صحيحه ج٤/ ١٨٣٧ (٢٣٦٥) أبو داود في سننه ج٥/ ٥٥ (٤٦٧٥) وأحمد في مسنده ج٢/ ٣١٩، ٤٣٧، ٤٦٣.

كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، لا على ما هي عليه من تحريف وتبديل ، قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) ﴾[1] .

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، حيث قال : « كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل) .

نؤمن بما أنزل على عيسىٰ ، ولا نؤمن بما حرفته أيدي الأحبار والرهبان ، وجعلت الإنجيل أربعة كتب ، وجعلت النصارىٰ الإله ثلاثة : الأب ، والابن ، والروح القدس ، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً .

وإن قيل : إن من فرق النصارىٰ غير مثلثه ، تؤمن بوحدانية الله ، قلنا : وحدانية الله حق ، ويلزمها أيضاً الإيمان بمحمد رسول الله ﷺ ، فعن عبادة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل . وفي رواية : من أي أبواب الجنة الثمانية شاء »[2] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

(٢) رواه البخاري ، فتح الباري ج٦/ ٤٧٤ (٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه ج١/ ٥٧ (٢٨) والنسائي في الكبرىٰ ج٦/ ٣٣١ (١١١٣٣) .

كما أننا نؤمن يقيناً أن الله سبحانه وتعالىٰ أمرنا بمجادلة أهل الكتاب بالحسنىٰ في أكثر من موطن من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

ويلاحظ أن الهجمات التي تُشَنَّ ضد النبي محمد ﷺ والقرآن، وضد الإسلام بصفة عامة من قبل المسيحيين المثقفين في كتاباتهم وأحاديثهم، والغارات المستمرة حتىٰ اليوم، هي مصدر إيذاء كبير للمسلمين، وهذه الهجمات تخلو من المناقشة العلمية، وتتسم بالانفعال والإساءة، بقصد النيل من الإسلام وتحقيره. وهي هجمات مليئة بالسُّباب والشتائم، تقوم علىٰ الأكاذيب والافتراءات المغلفة بدعوىٰ العلمية والموضوعية.

أما نحن المسلمين، فلا نفعل ذلك؛ لأننا نقدر مريم وعيسىٰ المسيح (عليهما جميعاً سلام الله وصلواته) تقديراً عالياً، وهذا جزء من عقيدتنا، بل إن التلفظ بأية كلمة تدل علىٰ أقل قدر من عدم الاحترام نحوهما هي كفر في ديننا، وتعرضنا للخروج من دين الإسلام، وربما لا نستطيع أن نأتي بمثال واحد يزعم فيه أن مسلماً ادعىٰ أقل قدر يمكن تخيله من عدم الاحترام للنبي عيسىٰ وأمه البتول (عليهما السلام)، إننا بالطبع لا نؤمن بألوهية المسيح عيسىٰ، ولكن إيماننا بنبوته لا يقل ثبوتاً عن إيماننا بنبوة محمد (عليهما جميعاً الصلاة والسلام)، وأن أحداً لا يمكن - بالتأكيد - أن يكون مسلماً ما لم يؤمن ويقر بنفس التصديق، والإيمان بالمسيح عيسىٰ ابن مريم مع التصديق بالنبي محمد (عليهما جميعاً الصلاة والسلام). قال سبحانه

(١) سورة العنكبوت، الآيه ٤٦.

وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [١]. وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢]. وقال النبي ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون» [٣]. وقال ﷺ : « أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ، ليس بيني وبينه نبي » [٤].

وبالمثل ، فإننا لا نعد القرآن وحده كتاب الله ، بل التوراة والإنجيل أيضاً كتب الله المنزلة على أنبيائه ، ولا يمكن لمؤمن أن يكن أي شعور يظهر فيه عدم احترامه لهذه الكتب المقدسة . وإذا كانت هناك مناقشات فيما بين المسلمين والمسيحيين حول الكتاب المقدس ، فقد كان ذلك يتصل بالنظر إلى تأكيد ما إذا كان الكتاب المقدس المتداول الآن في شكله الحالي كتاباً صحيحاً ، يعتمد عليه أم لا ؟ وما إذا كان يضم ما أوحى به الله إلى الأنبياء أم لا ؟ وهذه المشكلة نوقشت على نطاق واسع ، حتى من قبل العلماء المسيحيين أنفسهم ،

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ٤٢ ـ ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٤٥ .

(٣) رواه البخاري ، فتح الباري ج٦/ ٤٤٦ (٣٤١١) ، ومسلم في صحيحه ج٤/ ١٨٨٦ (٢٤٣١) ، والترمذي ج/ ٤/ ٢٧٥ (١٨٣٤) ، والنسائي في الكبرى ج٥/ ٩٣ (٨٣٥٦) وابن ماجه ج٢/ ١٠٩١ (٣٢٨٠) .

(٤) رواه البخاري .

ولكن لم يحدث أن مسلماً أنكر أن الله أوحىٰ إلىٰ أنبيائه موسىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام بما في التوراة والإنجيل الصحيحين، وبالرغم من أن المسلمين ينكرون أن الكتاب المقدس المتداول أمامنا اليوم هو كلام إله بغير تحريف، فإنهم يؤمنون بأن التوراة والإنجيل الصحيحين من وحي الله إلىٰ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، وأن الكتاب المقدس المتداول ربما يتضمن في بعض أجزائه نقلاً بشرياً وتاريخياً، إلىٰ جانب الوحي إلىٰ الأنبياء والرسل، والواقع فإن المسيحيين لم يشكوا مرة من أن المسلمين سبوا أنبياءهم أو أساؤوا إلىٰ كتبهم المقدسة، بالعكس من ذلك، فإن تجربة المسلمين هي أنهم كانوا دائماً يتعرضون لسباب النصارىٰ، وقد يستمر هذا الموقف المؤلم دون هوادة علىٰ امتداد قرون كثيرة منهم تجاه المسلمين. وإن المستشرقين وغيرهم من الكتاب والأدباء المسيحيين لا تكاد تفلت من أيديهم فرصة لنفث سمومهم ضد نبينا محمد ﷺ، وضد القرآن الكريم، وضد المسلمين ودينهم [(١)]، كما فعل كثير من الأدباء الإنجليز، أمثال مارلو وشكسبير عند حديثهم عن الإسلام، ونبيه ﷺ، وعن المسلمين وأحكام العقيدة والشريعة، كما سيأتي الحديث عنه في مسرحيات شكسبير.

إن هذه العوامل توضح حقيقة العلاقات بين هذين المجتمعين العالميين، المسيحي والإسلامي، كما سنعرض إلىٰ ذلك من خلال بعض أبجديات الأمور المعلومة لدىٰ كثير من الأمم المسلمة وغير المسلمة، تمهيداً لتوضيح الأسباب التي دفعت شكسبير إلىٰ الحديث عن الإسلام والمسلمين بالصورة

---

(١) علي جريشه وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، بيروت ١٩٧٧م، ص ١٨.

التي جاءت في هذه الدراسة .

فهناك أمور تتطلب انتباهاً مباشراً، يتصل بالأساليب التي تستخدمها البعثات التنصيرية المسيحية والمنصرون المسيحيون لنشر المسيحية في البلاد الإسلامية ، إن الطريقة التي يتبعها دعاة الإنجيل هؤلاء غير مقبولة إطلاقاً ، وتشكل مصدراً للنزاع والخصومة . إن النصارىٰ لا يحدون نشاطهم بالدعوة إلىٰ الدين من حيث هو ، ولكنهم بدلاً من ذلك يلجأون إلىٰ طرق ووسائل لا يمكن إلا أن تسمىٰ وسائل ضغط سياسي ، أو استغلال اقتصادي ، أو تدمير أخلاقي وديني . إن ما يراه المسلمون بأعينهم ، وما يظهر في بقية العالم الإسلامي يقدم الدليل القاطع علىٰ ذلك . إن هذه الأساليب لا يمكن - مهما أحسن المرء الظن - أن ينظر إليها أي إنسان عادي علىٰ أنها وسائل طبيعية ، أو سليمة ، أو مقبولة للدعوة إلىٰ أي دين ، وفي أجزاء كبيرة من إفريقيا وغيرها من القارات حرَمَ هؤلاء المنصرون ، (وهم مدعومون من جانب القوىٰ الاستعمارية الغربية التي سيطرت عليها) ، حرموا المسلمين من كل الحقوق التربوية ، فقد أغلقوا أبواب المعاهد التربوية في وجه أي إنسان لا يعلن اعتناقه للمسيحية ، - أو علىٰ الأقل - لم يكن مستعداً لتغيير اسمه الإسلامي إلىٰ بعض الأسماء المسيحية .

تلك كانت الطريقة التي يدعم بها المنصرون مركز الأقلية المسيحية ، التي تحولت إلىٰ مجموعة حاكمة في معظم بلدان إفريقيا . وبعد الاستقلال ، كانت هذه الأقلية المصنوعة ذات النفوذ ، هي التي استولت علىٰ مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية في كثير من الأقطار الإفريقية حيث يكوّن المسلمون أغلبية واضحة بل كاسحة . لقد كان هذا ظلماً بيناً ارتكب في حق

مناطق الأغلبيات المسلمة في إفريقيا .

وفي السودان مثلاً اتخذ المنصرون المسيحيون بجنوب السودان بمساعدة من الاستعمار البريطاني منطقة خاصة بهم ، وجعلت حقوق التعليم وتقديم التربية الحديثة مجالاً خاصاً للمسيحيين وحدهم ، ووضع الحظر على المسلمين، حتى بالنسبة لزيارة هذه المنطقة، لا لغرض الوعظ والدعوة إلى دينهم فحسب ، بل كذلك من أجل أي أغراض أخرى، إننا لا نستطيع أن نفهم كيف تكون هذه الإجراءات وسائل عادلة ومعقولة للتبشير بالدين ، وهل يجيز ذلك هذا الدين ؟ .

وفي بلدان إسلامية أخرى مثل باكستان، كان الإجراء العام في مستشفيات البعثات التنصيرية ومؤسساتها التربوية هو تقاضي مصروفات باهظة من مرضى المسلمين وتلاميذهم ، ففي المستشفيات تتم الدعوة إلى النصرانية من خلال قساوسة أطباء وممرضات راهبات، من خلال التعرف على الظروف المعيشية للأفراد، التي من خلالها يستمال الشخص إلى النصرانية[1] ، وكذلك الحال في الجامعات والمدارس، حيث ينطلق فيها التنصير من تلاوة «آيات موجودة في القرآن الكريم، وتكييف الموقف لذلك، والاستشهاد بآيات تؤكد على الوحدانية ، ولكن البسطاء من المسلمين والجهلاء منهم يجهلون ذلك عندما يتلى عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

---

(١) الناشر ، التبشير الصليبي : الوسائل والأهداف، جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي ، الإمارات العربية المتحدة ، ب ت ، ص ٤٠ .

وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[١]، ويقف إلىٰ هنا، وهيهات أن يتذكر المسلم بقية الآية التي تنتهي بقوله تعالىٰ: ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾. ثم يردد المنصرون الكثير من الآيات التي تذكر عيسىٰ في القرآن بما يتوافق مع وجوده في الإنجيل »[٢]. فإذا اعتنق بعض من ضربهم الفقر المسيحية، فإن التسهيلات الطبية والتربوية تقدم له مجاناً، أو في نظير مصروفات اسمية، إنه من الواضح أن هذه ليست دعوة دينية، إنها محاولة لشراء الضمير والعقيدة الإنسانيتين ببعض الفتات من لقم العيش.

وهناك جانب آخر من المشكلة بالغ الأهمية، ذلك أن المؤسسات التربوية للبعثات التنصيرية تخرج نمطاً جديداً من الناس من حيث المعتقد، أناس لا يشاركون في المسيحية، ولا يبقون علىٰ دين الإسلام، إنهم يمزقون أنفسهم من تراثهم، ولا يتحصنون بأي تراث أخلاقي آخر، والنتيجة أنهم أصبحوا منقطعي الصلة بتراثهم وتاريخهم، وأنماط السلوك الثقافية من الدين واللغة والعادات الاجتماعية، وكل ما يتصل بالحياة، فصاروا عينة غريبة من البشر، فمن وجهة النظر الدينية الخالصة، لا يبقون علىٰ اتصالهم بالإسلام، ولا ينجذبون إلىٰ المسيحية، وبدلاً من ذلك يدفعون إلىٰ جحر العلمانية والإلحاد والفوضىٰ الدينية والأخلاقية، وفي هذا يقول أنور الجندي: « ومن هدف هذه الإرساليات التنصيرية: تخريج أجيال من العملاء، التابعين للنفوذ الأجنبي من أولياء الثقافات الفرنسية والإنجليزية

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٢) المرجع السابق.

والماركسية والصليبية والتلمودية »[1]. وقد استخدم تلاميذ المستشرقين والمبشرين (المنصرين) عملاء الاستعمار من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم، وتشربوا بمبادئهم، وهؤلاء قد أصبحوا قادة الفكر إنما ينفذون سياسة المستعمر بقصد أو بغير قصد منهم، بإيحاء من توجيهات المستشرقين والمبشرين »[2].

هل في وسع أي شخص عاقل أن يعد ألوان النشاط هذه من جانب البعثات التنصيرية المسيحية خدمة حقيقية للدين ؟ هذه على وجه الدقة هي الأسباب التي ينظر من أجلها المسلمون عامة إلى هذه البعثات بقدر هائل من الشك، ويشعرون أنهم لا يشتغلون بالدعوة إلى الدين من حيث هو بل بالتآمر ضد الإسلام والمجتمع الإسلامي.

والشعور العام بين المسلمين نحو العالم المسيحي شعور ملؤه الاستنكار مما يدبر لهم ولدينهم من مؤامرات ومكائد ودسائس، وهذا الشعور يقويه ما نراه ونلمسه في كل مكان تقريباً، ومن ذلك ما حدث إبان الحرب بين العرب واسرائيل عام ١٩٦٧م، فالطريقة التي أظهر بها الناس في أكثر البلاد المسيحية في أوروبا وأمريكا فرحهم واحتفالهم بانتصار إسرائيل، تركت جرحاً عميقاً في قلوب المسلمين في كل أنحاء العالم. ربما لا تجد مسلماً واحداً لم ينظر إلى موجة فرحهم وسرورهم الكاسحة بهزيمة العرب المسلمين على أنها مظهر للغل والحقد الدفينين في العالم المسيحي ضد المسلمين. أما كيف جاءت إسرائيل إلى الوجود؟ بالأحرى كيف انقطعت وألقيت على

---

(١) أنور الجندي، التبشير الغربي، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٨٢، ص ٩.

(٢) المرجع السابق.

العالم الإسلامي فإن ذلك ليس سراً، إنه من آثار الحركة الصليبية [1]. لقد كانت فلسطين على امتداد الألفي، عام الماضية وطناً للعرب. وفي السنوات الأولى من هذا القرن حتى عام ١٩٠٨م لم يكن السكان اليهود فيها أكثر من ثمانية في المائة أو ٨٪ إلى ١١٪، ونسبة العرب ٨٩٪ حسب التعداد الذي قام به الإنجليز في ٣١/ ١٢/ ١٩٢٢م [2] من مجموع السكان. وبالرغم من ذلك قررت الحكومة البريطانية أن تحولها إلى وطن قومي لليهود.

وفي الوقت الذي أعطت فيه عصبة الأمم حق الوصاية على فلسطين للحكومة البريطانية المسيحية، لم تؤكد هذه السياسة فحسب، بل أوصتها - بالإضافة إلى ذلك - بأن تجعل الوكالة اليهودية شريكاً في الحكومة، لكي تترجم هذا الغرض إلى واقع ملموس. ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى بدأت حملة لجمع اليهود من كل أصقاع العالم، وأسكن هؤلاء المهاجرون في فلسطين بكل الوسائل الممكنة وكانت النتيجة أنه في خلال ثلاثين عاماً ارتفع عددهم إلى ثلاثة وثلاثين في المائة. كان هذا عملاً ظالماً صارخاً، اقتلع به السكان الحقيقيون للمنطقة من وطنهم، وفرض بالقوة شعب غريب على الأرض التي جعلت له وطناً مزعوما.

ولم تقف الجريمة البشعة عند هذا الحد، بل ارتكبت جريمة أخرى أكثر تحكماً وظلماً، فقد ضغطت كثير من الدول المسيحية ضغطاً مكشوفاً على

---

(١) أحمد شلبي، الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضه المصريه، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥٤-٧٢.

(٢) بسام محمد العبادي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ١٨٨٠ - ١٩٩٠م: جذورها، ودوافعها، مراحلها، انعكاساتها، دار البشير، عمان ١٤١١هـ ١٩٩٠م ص ٢٠، ١٣٢.

الأمم المتحدة، فتقرر أن يتحول هذا الوطن المصطنع لليهود إلىٰ دولة يهودية. وفي سبيل تنفيذ هذا القرار أعطي ثلاثة وثلاثون في المائة من السكان اليهود خمسة وخمسين في المائة من مساحة فلسطين، في حين أجبر سبعة وستون في المائة من السكان العرب أن ينحشروا في خمسة وأربعين في المائة من مساحة وطنهم. ولكن اليهود وقد سلحوا وأيدوا من قبل نفس القوىٰ التي ألقت بهم علىٰ العرب، لم يقتنعوا بما منح لهم، فقد اقتطعوا بالقوة والإرهاب سبعة وسبعين في المائة من مساحة الأرض، ثم جعلوا الحياة غير ممكنة بالنسبة للعرب عن طريق النهب والحرق والقتل والإرهاب، فاقتلعوا كل السكان، وفرضوا علىٰ مليون من العرب أن يغادروا مولدهم ووطنهم.

هذه في الواقع هي إسرائيل علىٰ حقيقتها، فهل يستطيع شخص عادل شريف في ضوء هذه الوقائع التي لا جدال فيها أن يقول: إن إسرائيل دولة شرعية برزت إلىٰ الوجود بطرق عادلة طبيعية؟ إن وجودها في الحقيقة عمل من أعمال العدوان النصراني المسيحي البشع، الذي تعاون مع اليهود برغم العداوة الكبيرة بين أصحاب الديانتين، ولكن التقاء المصالح علىٰ حرب الإسلام ينسي الصراع المرير والشقاق المستطير بين أصحاب الشر[١].

وبالرغم من ذلك فإن اليهود لا يقنعون بالبقاء في حدود البقعة التي اقتطعت لهم بالقوة بالأمس، فإنهم يعلنون في كل حين بأعلىٰ أصواتهم بأن كل المنطقة الواقعة بين النيل والفرات هي ما يسمىٰ بوطنهم القومي، بعبارة أخرىٰ إنه إعلان دائم عن خططهم العدوانية باحتلال المنطقة بأسرها عن

---

(١) نذير حمدان، في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات، مكتبة الصديق، الطائف، ب ت، ص ٨٤-٨٩.

طريق القوة وبطرد سكانها الحقيقيين من بيوتهم واستجلاب اليهود من كل أنحاء العالم وتوطينهم في أماكنهم ، لقد كان الهجوم المفاجئ في يونيو ١٩٦٧م على المسلمين والعرب في الواقع جزءاً من هذا المشروع بالذات القائم على العدوان المتعمد، اقتطعت إسرائيل بواسطته منطقة مساحتها ستة وعشرون ألف ميل مربع .

وليكن معلوماً بوضوح أن العالم المسيحي في نظر المسلمين هو المسؤول عن دوام هذا الظلم ، إنه الباعث الحقيقي للطغيان . لقد كانت هذه هي الأمم المسيحية التي خلقت بالقوة في أحضان أمة أخرى وطناً قومياً مصطنعاً لشعب آخر، ثم حولت هذا الوطن القومي المصطنع إلى دولة. ولم تقنع بذلك، بل أمدت المعتدي بالقوة والمال والسلاح، حتى يمضي في مخططاته التوسعية، لا يعوقه شيء بواسطة القوة دون غيرها . والآن يحس هذا العالم المسيحي بالسعادة والفرح لانتصار اليهود على المسلمين .

أتظن أن أي مسلم في أي مكان من العالم يمكن بعد هذه التجربة المريرة أن يكون لديه أية ثقة في براءة التصريحات اللفظية للعالم المسيحي ؟ بل هل يمكن له أن يفكر في أن ينظر إلى أبناء هذا العالم على أنهم مقيموا العدل والمقسطون فيه ، وأنهم تجسيد للحب والإخلاص ؟ من ذا الذي يستطيع أن ينظر إليهم على أنهم أمم متحررة من مشاعر الكراهية والتحامل الدينيين ؟ كيف يمكن للمسلمين وضع أية ثقة فيهم ؟ .

العلاقه بين الإسلام والنصرانية :

العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي لا يمكن أن تُفهم فهماً صحيحاً متوازناً، إلا إذا نظرنا إليها ضمن إطارها التاريخي وإطارها الديني ،

فحينما ظهر الإسلام، لم ير المسيحيون فيه آنذاك إلا مذهباً جديداً من المذاهب المسيحية كسائر المذاهب التي سبقته، والتي اختلفت بشأنها بينهم، ولا يستثنىٰ من ذلك إلا قلة من المسيحيين، هم رجال الدين من الأحبار والرهبان، الذين يدركون حقيقة الإسلام بما تضمنته المسيحية نفسها من التبشير بالإسلام ونبيه محمد ﷺ. وكان من نتائج هذا الوضع أن ظلت جماهير النصارىٰ تعتمد في تكوين أفكارها عن الإسلام من خلال ما يلقيه عليهم رجال الدين ، ولم تتح لهم الفرصة لتكوين آراء حرة سليمة وصحيحة عن الإسلام ، ويعد نفوذ رجال الدين في المسيحية علىٰ الدهماء من المسيحيين عاملاً بالغ التأثير في هذا الصدد.

من خلال هذا المنظور الخاطىء إلىٰ الإسلام، ومن خلال التفكير المقيد غير الواعي بحقيقة الإسلام من قبل النصارىٰ، قامت الحروب الصليبية بكل ما انطوت عليه من عدوان وتعصب وجهل. وقد ترتب علىٰ هذا كله أن انقلب سوء الفهم للإسلام لدىٰ المسيحيين إلىٰ عداء دموي، بعد أن كان قبل ذلك لا يتعدىٰ الإطار الفكري، حتىٰ إن كلمة (جهاد) قادرة علىٰ أن تثير في نفوس النصارىٰ من الرعب أضعاف ما تثيره عبارة (الحروب الصليبية) في نفوس المسلمين من إحساس بالعداوة والتربص. لذلك فإن الحروب الصليبية ، والفكر الاستشراقي يحددان نوع العلاقة بين الإسلام والنصرانية كما سنعرض إلىٰ ذلك.

إن آثار الاحتكار اليهودي للتجارة والذهب في أوروبا في القرون الوسطىٰ خنق الأمراء الألمان سادة الأرض والحرب، الذين استولوا علىٰ أراضي المقاطعات الأوربية ، وقسموها بينهم بعد انهيار الإمبراطورية

الرومانية ، ونهبوا خيراتها بالتعسف والقوة ، وكانت مزاحمة الاحتكاريين اليهود لهم على انتهاب الخيرات بواسطة الربا أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتهم إلى التطلع نحو الشرق الإسلامي المزدهر ، وكان ذلك أحد أسباب الحروب الصليبية، لاسيما وأن هذا التزاحم على سلب الشعوب الأوربية البائسة عن طريق الربا تسبب في فقر مدقع في أنحاء أوربا مع التأخر والتخلف .

كانت هذه أوضاع أوروبا التي مهدت لاتفاق بعض ملوك وأمراء المسيحية مع الأثرياء الإقطاعيين الباحثين عن المغنم، والطامحين إلى الاستيلاء على العالم عنوة، وذلك بشن حملة صليبية كبرى على الأرض المقدسة . وقد التقت مصالحهم جميعاً مع مصالح المرابين والاحتكاريين اليهود، الذين دعوا إلى فكرة هذه الحملة بكل قواهم وإمكانياتهم المالية، وانتشروا في أوروبا كلها لتحريض حكام المقاطعات وسادة الحرب المسيطرين عليها، وإقناعهم - عن طريق - فتح خزائنهم على مصراعيها لهم لتجنيد المحاربين ورشوة المتخاذلين .

وكانوا بذلك القوة الخفية التي عملت من وراء الستار على قيام الحروب الصليبية . ذلك أنهم وجدوا في هذه الحروب الفرصة الذهبية التي تتيح لهم تقديم القروض إلى زعماء الحملات وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطات الكنيسة ذاتها بالربا الفاحش، والمتاجرة بالعتاد والأسلاب ، إلى جانب الأهداف السياسية، وهي إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معاً [(١)].

---

(١) عبد الفتاح أحمد أبو زايدة ، التبشير الصليبي والغزو الاستعماري ، رسالة الجهاد ، مالطه ، ١٩٨٨، ص ٥١ ـ ٥٦ .

وكانت الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥ م مطلعاً للحروب الصليبية الثمانية التي استمرت قرابة قرنين كاملين (١٠٩٥ ـ ١٢٧١) ميلادية . وقد اتخذت هذه الحروب طابعاً دينياً مسيحياً ، وأظهرت للشعوب الأوربية أنها حملات تهدف إلى حماية الحجاج المسيحيين إلى مهد المسيح ، وإعادة الأراضي المقدسة (فلسطين) إلى أحضان أهلها المسيحيين ، ولكن ذلك كان تمهيداً لأن تكون فلسطين في أيدي اليهود ، وهذا مايشهد به التاريخ في الوقت الحاضر . والحقيقة أن العوامل التي تدفع قوى الشر في العادة إلى هذا العمل ، والتكالب على المغنم والجشع في امتلاك حقوق الغير والحقد المتأصل في الصدور ؛ هي التي حفزت المدبرين الحقيقيين لهذه الحروب ، ألا وهم اليهود .

وقد انتهت بعض تلك الحملات بالنجاح ، وتحطم بعضها الآخر على صخرة الإسلام الصلبة ، أما النتيجة النهائية فهي بقاء فلسطين بيد أهلها العرب ، وفشل هذه الحروب التي كبدت الإنسانية أرواحاً وأموالاً لاتقع تحت حصر ، ملأت خزائن الربا والاحتكار بفوائد الأموال المقترضة لتلك الحروب ، كما تمخضت الحروب الصليبية بعد ذلك عن النتيجة الأخرى ، التي ماكانت في الحسبان ، وهي أن حصل المرابون اليهود على مغانم هائلة من تلك الحروب ، وخرجوا بعدها أشد قوة وأكثر خبرة . وكان لهذه النتيجة أثرها العميق في تطور الأحداث خلال الحقب التالية لهذه الأحداث ، والتي لا يمكن إدراكها بدون العودة إلى أسبابها الأصلية البعيدة ، وقد اعتادت كتب التاريخ إغفال هذه النتائج ، فبقيت ردود الفعل الأوربية التي تولدت عن هذه النتائج غامضة في أذهان غير المخلصين ، الذين قد يتساءلون عن

سبب ضغينة الشعوب الأوربية آنذاك على اليهود[1].

ويميل المؤرخون إلى اعتبار الحملات الصليبية التي شنها النصارى على المسلمين ثماني حملات، قد يكون هذا الرقم صحيحاً فيما يخص الحملات التي توجهت إلى بلاد الشام، لكن الحملات الصليبية التي شنت لمحاربة الإسلام هي أكثر من ذلك، فمنها الحروب التي دارت بين النصارى والمسلمين بالأندلس، والحروب المستمرة بين الدولة العثمانية والنصارى، وكل هذه يمكن وصفها بأنها حروب صليبية، حاول العداء الصليبي بقوته، التي يمده بها الفكر اليهودي، أن يحارب الإسلام وأهله، تلك الصليبية التي بدأ الصراع معها بعد موقعة (أجنادين) وموقعة (اليرموك)، التي أنهت السيطرة البيزنطية على بلاد الشام، ومن ثم دخول بيت المقدس تحت راية الإسلام والحكم الإسلامي، ثم تتابعت الفتوحات الإسلامية، فشملت مصر وبرقة وإفريقيا والمغرب، وكانت كلها تحت الحكم البيزنطي، وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس ووصلت إلى فرنسا ممثلاً في معركة عظيمة من معارك المسلمين مع النصارى، وهي معركة بلاط الشهداء، ونرى أن الصليبية الحاقدة بعد أن رأت امتداد جحافل المسلمين، وامتداد رقعة الإسلام، ولاسيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح، وزحف الإسلام حتى أبواب فينَّا، وضعت نفسها في خدمة اليهودية العالمية، ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خطط الهدم والتخريب.

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوربية في دول عديدة، هي

---

(١) وليم كار، اليهود وراء كل جريمة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص ٦٠-٦٢.

بلغاريا ورومانيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا وروسيا واليونان وإيطاليا لمحاربة الدولة العثمانية، وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ للبناء ، كما أدىٰ إلىٰ تقطيع أوصال السلطنة التي كانت تمتد من تركيا شمالاً إلىٰ حضرموت جنوباً ، ومن إيران شرقاً إلىٰ طنجة غرباً · فضاعت الجزائر سنة ١٨٣٠م، ثم احتلت مصر درة تاج السلطنة ١٨٨٢ م، ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب. لقد كانت هذه الأحداث والمقاومة لفتوحات المسلمين علىٰ أشدها مما يمكن لكاتب أو أديب ما أن يعتبر أثر هذا الصراع مادة غزيرة لكتاباته المسرحية أو الروائية أو غير ذلك قبل شكسبير وبعده؛ لأن الأدب وعاء يحمل صورة من تراث الأمم وتواريخها .

هذه هي الحروب الصليبية التي بدأت منذ عام ١٠٩٥م، ولازالت، وإن انتهت الصورة العسكرية لها، ولكن الحرب لا زالت مستمرة فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعقدياً ، لأن العلي القدير سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** ﴾[1].

ولعل من تمام الفائدة أن ننقل هنا وصفاً للحروب الصليبية مما قاله أحد المؤرخين عنها : «لم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع إلا فترة زمنية، ولوناً خاصاً من ذلك الصراع الدائم مابين الشرق والغرب ، ذلك الصراع الذي اختلفت تسميتُه باختلاف الأزمان والمقاصد؛ فإذا كان هذا الصراع يتمثل في العصور القديمة مابين الفرس من جهة ، واليونان

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

والرومان من جهة أخرى، متخذاً صبغة الغزو والاكتساح في سبيل تكوين السلطنات العظمى، والإمبراطوريات العالمية، فإنه في العصور الوسطى اتخذ الصبغة الدينية من الجهاد الإسلامي والحروب الصليبية الأوروبية. أما في العصور الحديثة، فإن صبغة هذا النزاع كانت هذا الاستعمار الذي ران على الشرق عموماً، والإسلام خصوصاً، في أشكال متباينة، وأوضاع مختلفة اعتمد فيها الغرب أكثر ما اعتمد على الحيل والدسائس. ويبتدئ دور الإسلام في هذا الصراع بين الشرق والغرب منذ أن بدأ الإسلام يتجاوز حدود الجزيرة العربية، فواقعة القادسية سنة ١٦هـ كانت معركة حاسمة لإخضاع البلاد الفارسية التي كانت تتزعم الشرق في مصارعة الغرب. وبذلك تقلد العرب المسلمون هذه الزعامة في الصراع العالمي. وأصبح النزاع ماثلاً مابين الإسلام في الشرق، والأمم النصرانية في الغرب»[١] وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

والخلاصة، فإن معظم الباحثين متفقون على تعريف الحروب الصليبية، بأنها حركة نبعت من الغرب الأوربي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين في الأندلس وأقطار المغرب العربي، وفي الشرق الأدنى بقصد امتلاكها، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية

---

(١) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبيه في المشرق والمغرب، دار الغرب، بيروت ١٩٨٢م، ص ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٢.

التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر، التي سيطر عليها الفكر اليهودي، واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين شعاراً دينياً، للتعبير عن نفسها تعبيراً عملياً واسع النطاق. فلقد كان النظام الإقطاعي سائداً في أوروبا آنذاك، وقد نتج عن هذا النظام وجود طبقة من الفرسان المحترفين، الذين رغبوا في إظهار بطولتهم على أرض جديدة لكسب المال والشهرة. كما أن النزاع المتواصل على الأراضي الزراعية تسبب في تعطيل الزراعة، فزاد الغلاء، وحدثت المجاعات، وقد دفعت هذه الأحوال المتردية الكثيرين إلى الهجرة إلى بلاد الشرق الغنية والمستقرة. فشكل هؤلاء المهاجرون جزءاً لايستهان به من الجيش الصليبي المحتل، ولاسيما في بداية الحروب الصليبية.

انطلقت الدعوة إلى الحروب الصليبية من فرنسا، «فكان أول من دعا إلى هذه الحروب البابا أربان الثاني في خطاب ألقاه في مجمع كلارمون، عاصمة إقليم فران في فرنسا في شوال سنة ٤٨٨هـ-١٠٩٥م، وكان أكثر المشتركين في هذه الحرب، ولاسيما في بدايتها - فرنسيين. وكان مما قاله البابا محرضاً جمهور السامعين على قتال المسلمين: أنتم هنا فقراء تعساء، وهناك ستكونون سعداء، يهبط عليكم الرخاء، وأصحاباً مخلصين لله، لا تأخير بعد اليوم، لتكونوا على الأهبة للخروج للقتال عندما يبلغكم النداء، وسيكون الله مرشدكم»[١]. ويقول البابا: «ليست هذه الحرب لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها

---

(١) محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩، ص ٣٨.

التي لاتحصىٰ، فاتخذوا حجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة: تفيض لبناً وعسلاً»[١].

بل إن البابا أربان وعد المحاربين بالغفران التام، وأنه سيضمن لهم حفظ أموالهم وأهليهم في غيابهم. ويلاحظ أنه في الوقت الذي بدأ فيه التحرك الصليبي نحو الشرق الإسلامي، كان المسلمون في ضعف وخلاف وتفرق كلمة، وكانت بلاد المسلمين منقسمة علىٰ نفسها، وهذا أحد الأسباب التي جعلت الصليبيين ينتصرون في حملاتهم الأولىٰ علىٰ المسلمين، ويحتلون المسجد الأقصىٰ دون مقاومة تذكر، فقد كانت عوامل الضعف والانحلال تنخر في جسم الأمة الإسلامية، كما أن عوامل تفرق السلطة واختلافها كان من أقوىٰ الأسباب التي أدت إلىٰ هزيمة المسلمين[٢].

والأسباب التي من أجلها قامت الحروب الصليبية بعضها ظاهر، وبعضها خفي، أما الأسباب الخفية فهي تحركات اليهود النوارنيين للوقيعة بين الإسلام والمسيحية بقصد الوصول إلىٰ غرضهم الأول، وهو القضاء علىٰ أصحاب هذين الدينين، ومن ثم القضاء علىٰ شعوبهما، والتحكم في العالم بإقامة دولة بني إسرائيل الكبرىٰ، بمنطق: ليس علينا في الأميين سبيل.

ولما منيت أوربا المسيحية بالخسارة والهزيمة في معظم حملاتها الصليبية

---

(١) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص ٣٤.

(٢) سمير رزق الله، الدعوة للحروب الصليبية، الاجتهاد، العدد ٢٩، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م ص ٢٠٩-٢١٢.

على البلاد المقدسة، امتلأت نفوس اليهود والنصارى حقداً على الإسلام والمسلمين؛ فكانت هناك دعوة الكنيسة التي نادت بضرورة الأخذ بالثأر، والتنكيل بالإسلام والمسلمين بشتى الوسائل وبمختلف الطرق والعمل الدؤوب للتصدي لحركة الدعوة الإسلامية، وانتشار حضارة الإسلام، فكرست الجهود لدفع حركة الاستشراق، وتم تشجيع رجال الفكر والمبشرين بتكثيف العمل، والعكوف على دراسة الإسلام والمسلمين، وبالتالي العمل على رسم الخطط المناسبة للهجوم على الإسلام والقضاء عليه، وما الدراسات الاستشراقية إلا لون آخر من ألوان الحروب الصليبية المتصلة بالناحية الفكرية والثقافية، ذلك أن اليهود وجدوا أن المستقبل في الشرق كما يشير إلى ذلك أحد أحفادهم بنيامين دزرائيلي حيث قال: «الشرق مستقبل»[1].

والاستشراق - أو الدراسات الاستشراقية - مصطلح أو مفهوم عام، يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة؛ ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، ولقد كان الاستشراق في بداية ظهوره مقتصراً على دراسة الإسلام وحضارته، واللغة العربية وآدابها، ثم بعد ذلك اتسعت مجالات الاستشراق، وأصبحت تشمل دراسة الشرق كله: لغاته، وأديانه وتقاليده وآدابه، ولكن أهم ما اعتنى به المستشرقون في دراستهم هو الدين الإسلامي واللغة العربية، لأن ذلك مثار اهتمام المستشرقين الأول والكبير الذي يمثل النزاع الفكري والسياسي والعقائدي الذي يسود عصرنا الحالي.

---

(١) انظر: The Oxford Dictionary of Quotations, 3rd Edition, Oxford,1979,p.186.

والدراسات الاستشراقية التي تعنىٰ بدراسة الحضارة الاسلامية واللغة العربية قامت علىٰ تقاليد موروثة لدىٰ الفرنجة والغربيين ، وهي امتداد للحروب الصليبية ، كما سنعرض إلىٰ ذلك في حديثنا عن تاريخ ظهور الاستشراق . والاستشراق كما يراه أصحابه من المستشرقين في الغرب مادة علمية معترف بها عالمياً ، وأكاديمياً ، ويوشك أن يكون موضوعها ممثلاً في كل جامعة من الجامعات الغربية ، مع وجود أعداد كبيرة من وظائف المحاضرين والمعيدين والباحثين في مجالات التخصص الاستشراقية ، تدفع لهم الأموال بقصد تأمين مستقبلهم والمساهمة في استمرارية هذا المجال الأكاديمي وجميع العاملين في هذا الحقل يشعرون بكامل الولاء والتقدير للحكومات ، والمجالس النيابية ، والأوساط الكنسية التي تضع تحت تصرفهم الإمكانيات اللازمة لإجراء البحوث والاطلاع والدرس ، وللحفاظ علىٰ حيوية هذا العلم ونشاط العاملين به ، لما لهذا الفن من فوائد عظيمة سياسياً وفكرياً تعود علىٰ الدول الغربية المسيحية ، كما أن الحكومات الغربية ـ ممثلة في وزارات التربية والتعليم ـ لا تدخر وسعاً في توجيه أعداد لا بأس بها من الحاصلين علىٰ شهادة إتمام الدراسة الثانوية للالتحاق بأقسام الدراسات الاستشراقية بالجامعات[١] .

إن مثل هذا الاهتمام البالغ بالدراسات الاستشراقية من قبل الحكومات ، والمجالس النيابية ، والأوساط الكنسية يعد مؤشراً هاماً لما يهدف اليه الاستشراق ، وما يمثله من خطورة . وهذه الخطورة تتمثل في

---

(١) رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٢ ـ ١٣ .

كتابات المستشرقين، التي تهدف إلىٰ تشويه حقيقة الإسلام وحضارته، كما نرىٰ ذلك - علىٰ سبيل المثال - في الموسوعة المشهورة بعنوان «تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي»، History of Mankind Cultural and Scientific Development والتي تصدرها منظمة اليونسكو بعدة لغات، وتقرأ في جميع أنحاء العالم[1]. وهذه الموسوعة تحمل في طياتها صورة سيئة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين والعرب في مسائل العقيدة والشريعة والحياة الاجتماعية والاقتصادية.

إن مثل هذا الإنتاج يشكل عائقاً كبيراً في سبيل الدعوة إلىٰ الله وإلىٰ دين الإسلام، مما تجعل مهمة الداعية أمراً ليس بالسهل في تغيير تلك الصورة المزيفة بالباطل، التي رسمها المستشرقون عن الإسلام بقصد الحيلولة دون قبول الإسلام واعتناقه من قبل غير المسلمين، ناهيك عما تقوم به الحملات التنصيرية ذات الصلة القوية بالاستعمار والاستشراق في تنصير المسلمين، كماهو حاصل في إفريقيا وشرق آسيا. والمستشرق هو في العموم من أبناء اليهود أو النصارىٰ، ومن سار علىٰ نهجهم، واقتدىٰ بضلالهم من غير اليهود والنصارىٰ من أبناء المسلمين المستغربين، الذين خرجوا علىٰ دين الإسلام، لأنهم يتفقون مع الاستشراق في آرائه وأفكاره المارقة.

ولقد كانت غالبية المستشرقين في بداية ظهور الدراسات الاستشراقية من الرهبان، والقسيسين والمبشرين، وكان بعضهم من الذين اهتموا بدراسة اللاهوت، وأمثال هؤلاء كان يهمهم إرساء نهضة الكنيسة وتعاليمها، خصوصا في العصور الوسطي، وهذا مهد السبيل للرهبان في

---

(١) عبدالجليل شلبي، الإسلام والمستشرقون، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣.

العصور اللاحقة الذين اهتموا بالتنصير أن يسهموا في تذليل الصعاب أمام الاستعمار، وتسهيل مهمته في القضاء على الإسلام بطرقه التجسسية ومؤمراته التخريبية، التي تلبس مسوح الرهبنة باسم الدين وباسم البحث العلمي. ومهما اختلفت نحل المستشرقين واتجاهاتهم، فهم يهدفون جميعاً إلى هدف واحد، وهو القضاء على الإسلام. والمستشرقون برغم جهلهم بحقيقة الإسلام، و عدم إتقانهم اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن، فهم مجتمعون على عدائهم للإسلام، وخصومته بغير حق، والمستشرق يعمد إلى الطعن في الإسلام بحسب تفكيره العدائي الموروث منذ عصر الحروب الصليبية.

والمعروف أن الحضارة الغربية إنما قامت على أنقاض الحضارة الرومانية الوثنية العقيدة، المادية الاعتقاد، وإنما جعلت المسيحية ثوبا للتستر على الحقيقة[١]. لهذا، فإن المستشرق إنما هو بمثابة جزء مكمل للحضارة المادية في أوربا، التي تقوم على البيرقراطية الاستعمارية[٢]. والاستشراق قد يبدو لمعظم الناس وكأنه اتجاه أكاديمي علمي، يعمد إلى دراسة الشرق وحضارته عموماً؛ وإلى دراسة الحضارة الإسلامية والإسلام خصوصاً كما تقدم، ولكن ليس الأمر كذلك فحسب، بل إنه أكثر من ذلك كما يراه بعض النقاد المطلعين على حقيقة الاستشراق، فهو جزء من التنصير وحركته، والاستعمار وسطوته، إنه جزء من الحروب الصليبية الحديثة التي أخذت صبغة جديدة بأن صارت حرباً فكرية بعد أن كانت عسكرية.

---

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤١.

(٢) انظر: Edward Said, Orientalism, Kegan Paul,London , 1980, P. 2.

إن المستشرقين نصبوا أنفسهم ولاةً مسؤولين عن الإسلام والبحث في حقيقته ، وفي الحديث عن الشرق وحضارته ، بما يمليه عليهم فكرهم ، وبما توحي إليه مشاعرهم صدقاً أو كذبا ، وهذا ما يقرره نظام الوصايا أو الانتداب ، المستمد من النظم العسكرية والاستعمارية المعتمدة على اغتصاب الحق وإنكاره [١] . من هذا يمكننا القول بأن الاستشراق يقدم يداً كبرى مساعدة للاستعمار ، والعمل على مبدأ البقاء للأقوى ، حقاً أو باطلاً . وهذا من أهم استراتيجيات الاستشراق الذي يرتبط بمصالح جغرافية ، واقتصادية ، وحضارية ، وسياسية ، تهدف في المقام الأول إلى القضاء على الإسلام والمسلمين ، والإبقاء على الحياة المادية المجردة من الروح ، كما تمثلها حضارة الغرب ، وماهو ملحوظ في تلك الحضارة التي اعتمدت في قيامها على النظريات المادية والإلحادية عند دارون ، وفرويد ، . . . إلخ .

إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه ، « لا ريب إذن أن أصدق مفهوم للاستشراق هو أنه العلم في خدمة السياسة والاستعمار ، وهدفه القضاء على الإسلام والمسلمين ، وإذابة الشخصية الإسلامية وتغييرها[٢] .

لقد عجز اليهود والنصارى ومن شايعهم ، متفرقين ومجتمعين ، في محاربة دين الله ، دين الإسلام ، لقد عجزوا عن قهر المسلمين بواسطة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٨ .

الحـروب، وهذا معروف في كتب التاريـخ ،وخصوصاً تاريخ الحروب الصليبيـة السبع التي تلت الحملة الأولىٰ، والتي باءت بالفشل والخسران المبين . إن اليهود والنصارىٰ وأتباعهم بعد أن طحنتهم الحروب، وجعلت مجتمعاتهم ممزقة تعيش في ظلمة حالكة، لا روح دينية ولا مظاهر حضارية، دعت إلىٰ الإصلاح، وتطوير بلادهم والنهوض بها علمياً واقتصادياً ، وبذلك انتهىٰ الأمر بعدم التفكير فىٰ الحروب والغزو، ومحاربة المسلمين فترة من الزمن ، ولكن قلوب الأعداء، رغم كفهم عن الحروب، ظلت مليئة بالحقد والثأر والحسد وغير ذلك، مما ظهر دفعة واحدة في الحروب الاستعمارية التي بدأت فىٰ أواخر القرن الثامن عشر، وخلال التاسع عشر ، إذ إن هؤلاء الصليبيين عندما صلحت بلادهم، وقويت شوكتهم، عاودوا الكرة لما علموا من حال المسلمين ، إذ عرفوا أن عزم الدولة العثمانية قد خار وانهار، فجاءوا بالقوة، وقسموا بلاد المسلمين إلىٰ أجزاء واستعمروا الأرض، وسلبوا المسلمين وشردوهم ؛ وعملوا علىٰ إثارة الفتن وإشعال نارها بما نشروه من دسائس ووشايات بين المسلمين .

إن الغرب عندما لجأ إلىٰ الاستعمار وقهر الشعوب الإسلامية أخذاً بالثأر وما لحق به أيام الحروب الصليبية، لم يتم له ذلك بالقوة وكثرة السلاح فحسب، ولكن كذلك بالفكر والاكتشافات المتوالية، والدراسات المكثفة التي عكف المستشرقون عليها منذ أن وجهت الكنيسة نداءها لدراسة الشرق الإسلامي، وأحوال المسلمين ولغة القرآن الكريم ، إن الخطط الاستعمارية التي أدت إلىٰ نجاح الاستعمار كانت محل دراسة وعناية الاستشراق لتسهيل المهمة العسكرية في إصابة الأهداف، وهو تحقيق ما يسميه المستشرقون

بالتعديل الثقافي والديني والحضاري لأمم وشعوب البلدان الإسلامية[١].

ومن الملاحظ أن الدول الغربية لما قويت في العصور الحديثة، وبدأت تتطلع إلىٰ استعمار الشرق، لعب الاستشراق دوراً هاماً في هذا الانفتاح الغربي علىٰ الشرق ، فلما أرادت هذه الدول عقد الصلات السياسية بدول الشرق، والاغتراف من تراثه، والانتفاع بثرواته، والتزاحم علىٰ استعماره، أحسنت كل دولة استعمارية إلىٰ المستشرقين فيها ، فضمهم الملوك إلىٰ حاشيتهم ، كأمناء أسرار وترجمة ؛ وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلىٰ بلدان الشرق ، وولوهم كراسي اللغات الشرقية فى كبرىٰ الجامعات، والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية ، وأجزلوا لهم عطاءهم في الحل والترحال ، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية[٢].

هكذا ظهرت قوة الاستعمار علىٰ البلاد الإسلامية التي توزعها المستعمرون فيما بينهم، وفرقوها أجزاءً وأشتاتاً ليسودوا في الأرض ، ولكن الله لم يمكن لهم، إذ قاوم أهل البلاد من المسلمين ، وثارت ثورتهم، وبدأت أوربا تحس المناهضة الكبيرة من أبناء المسلمين المجاهدين لما عانوه من وحشية الاستعمار وظلم المستعمر ، فرد الله كيد المستعمرين ودحروا، ونالت الشعوب الإسلامية الاستقلال بعد أن ضمن المستعمرون النجاح في

---

(١) محمد محمد حسين ، الإسلام والحضارة الغربية ، المكتب الإسلامي بيروت ـ دمشق ، ١٩٧٩م، ص ١١٦ ـ ١٢٦ .

(٢) نجيب العقيقي ، المستشرقون ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ج ١ ، ص ١١٤٩ .

حرب أخرىٰ، هي حرب الغزو الفكري، الذي ترك في بلاد المسلمين قبل الخروج منها أتباعا له فيها، يساعدون في تذليل الصعاب لتحقيق أهدافه، والقضاء علىٰ الإسلام والمسلمين وعقيدتهم، وطمس هويتهم الثقافية والحضارية والتاريخية.

لقد لجأ الغرب إلىٰ حرب المسلمين بوسيلة هي أشد فتكاً، وأكثر صلابة من حرب السلاح، لجأوا إلىٰ الحرب الفكرية التي تعمد إلىٰ هز النفوس وقهرها، وزعزعة الشخصية الإسلامية بقصد إحداث التخلخل في عرىٰ الارتباط بالعقيدة والتراث، وبهذا قويت حركة الاستشراق، واشتد عودها بعد أن نجحت الخطط الاستعمارية الأولىٰ في تحقيق الوسائل التي لجأت إليها أوربا فى الاستيلاء علىٰ البلاد الإسلامية، وتقسيمها إلىٰ شعوب قومية لا رابطة بينها. وهكذا أصبحت حملات الاستشراق الفكرية أقوىٰ من الحملات الصليبية الحربية، وأقوىٰ من الأسلحة المقاتلة، هذه حرب الغزو الفكري الذي يشبه التنصير، والذي قام علىٰ دعائمه الاستشراق، فكان من أهداف الاستشراق الأولىٰ أن يحاولوا إطفاء نور الله سبحانه وتعالىٰ في الأرض، ولن يفلحوا أبداً، ولو كرهوا ذلك؛ لأن العليم القدير يقول: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

إن من أهداف المستشرقين الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين

---

(١) سورة الصف، الآيات ٧-٩.

بالإسلام، ليمنعوهم من الدخول فى دين الله الحق، الدين الإسلامي، بما يعملون جاهدين في تشويه الإسلام وتغيير الصورة الحقيقية لهذا الدين الحنيف، وإظهار الإسلام بصورة محرفة ومستكرهة أمام الشعوب غير المسلمة، بقصد صدهم عن سبيل الله، وما نزل من الحق، وردهم عن الدخول إلى دين الإسلام. واعتمد المستشرقون في ذلك على استغلال الكراهية والتعصب الموجود لدى المسيحيين وأتباعهم منذ الحروب الصليبية، ومن ذلك العمل على رد المسلمين عن الإسلام، وإجبارهم على الكفر، وقبول النصرانية أو اليهودية كدين أمثل وأفضل من دين الإسلام، وهذا ما يشير إليه معظم المستشرقين أنفسهم [١]، وهذا لون آخر من ألوان التنصير. ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يتأتى لهم، فقد تكفل الله بإتمام نوره، وتركهم يموتون غيظاً وحسداً من عند أنفسهم، كما يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [٢].

إن للمستشرقين ـ كما أسلفنا ـ من أبناء اليهود والنصارى، أو ممن

---

(١) رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١١٨ ـ ١٢٠.

يحقدون على الإسلام آمالاً وأماني يرجون تحقيقها، لهذا، فهم يعملون على تشويه حقيقة الإسلام، وإظهاره بغير مظهره الحقيقي ؛ بمظهر غير لائق في مقابل اليهودية والنصرانية ، ويقولون، وكأنهم ملكوا مفاتيح الجنة : إنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى، كما يذهبون إلى إثبات تفوق الحضارة الغربية المادية، وأن مرد ذلك هو التمسك بالعقائد اليهودية والنصرانية ؛ ولقد قالوا أكثر من ذلك، ونورد هنا مقولة الرئيس الأمريكي نيكسون التي نشرتها مجلة الشؤون الخارجية في عددها الصادر عام ١٩٨٥م، حيث قال : « على روسيا وأمريكا أن تشدا من أزرهما لمحاربة الأصولية الإسلامية »، والقصد من هذا كله هو خلق روح التخاذل، والشعور بالنقص في نفوس أبناء الأمة الإسلامية ، وهذا الهدف من الأهداف التي يسعى إليها المستشرقون، وهو أنهم يجعلون الناس يكفرون بالحق ليشرحوا صدورهم للباطل والكفر، وهذا قوله عز وجل: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾[1] .

هذا هو شأن المستشرقين، يريدون بالإسلام السوء بما يبذلون من جهد كله كذب وافتراء، فمن تبعهم فهو منهم ، فلا غرابة إذاً أن يكون من أهداف الاستشراق التشكيك وإثارة الشبهات حول الإسلام ورسوله ﷺ، بقصد إثارة الفتن بين المسلمين ؛ لأن الاستشراق منذ ظهوره حتى العصر الحالي كان وثيق الصلة بالمؤسسات التنصيرية والأوساط السياسية ذات الأغراض الاستعمارية، التي تعتمد على إثارة الفتن من مبدأ (فرق تسد) . فكيف

---

(١) النساء ، الآية ٨٩.

يتحقق هدف المنصرين إذا لم يشكك المستشرقون أبناء المسلمين وغيرهم في الإسلام ومبادئه ؟ وكيف يتحقق هدف الاستعمار والمستعمرين إذا لم تثر الشبهات حول الإسلام لإظهار الفتن بين المسلمين ؟ وكيف يصل الجميع من أعداء الإسلام إلىٰ تحقيق أهدافهم وأغراضهم بدون هذا كله ؟ .

وإذا كان قصد المستشرقين هو التشكيك وإثارة الشبهات حول دين الإسلام وحول دعوة الرسول ﷺ، فإن هذا القصد ليس بجديد علىٰ الدعوة الإسلامية ؛ فقد عرفت مثلها في مسألة التشكيك والقدح فى الإسلام ورسوله ﷺ، من قبل المشركين والكفار، منذ أن صدع عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام برسالته، التي قال المشركون عنها : أنها إفك مفترىٰ، وإلىٰ هذا يشير سبحانه وتعالىٰ بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وما قاله المشركون والكفار في العصور الغابرة مجملاً ومختصراً جاء المستشرقون ليفصلوا ما أُجملَ فيه، فلم يأتوا بجديد ، إذ إن من طمس الله علىٰ قلبه في أي زمن من الأزمنة لا يقول إلا مثل ما قال الأولون. نعم لقد زعم المستشرقون الكثير من المزاعم التي أشارت إليها الآية؛ فقالوا : إن الإسلام في تشريعه أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء وتطييب البيت الحرام ، ونظام الأشهر الحرم ، والحج والعمرة ، وأخذ من الصابئة الصلوات الخمس ، والصلاة علىٰ الميت ، وتحريم الميتة، ولحم

---

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٤ ـ ٦ .

الخنزير ، وتحريم الزواج من القريبات ، وأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج ، والجنة والحور العين ، وأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل ، وقصة إبراهيم ، وأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء .

لقد جعل المستشرقون من الإسلام خليطاً مركبا من عدد من الديانات الوثنية والسماوية ، وكأنه جملة أساطير اكتتبها الرسول ﷺ ، وهم مرة يقولون : إن النبي ﷺ ليس بأمي ، فهو سيعرف القراءة والكتابة ، ومرة ينكرون ذلك ، هكذا قالوا ولقد قالوا ، كلمة الكفر والبهتان والافتراء عليه ﷺ .

وحتى يكون الغزو الفكري الذي لجأ إليه الغرب من خلال جهود المستشرقين قائماً على قدم وساق ، ويتقدم وفق خطة محكمة في تحقيق الأهداف ، فقد تم تنظيم الدراسات الاستشراقية بتوزيع التخصصات الدراسية والعلمية ، التي تتصل بدراسة الإسلام وحضارته ولغته ، فنجد من المستشرقين من ذهب إلى دراسة التاريخ الإسلامي ، ومنهم من عكف على دراسة الفرق والمذاهب ، ومنهم من درس الحديث ومصطلحاته ؛ وبعضهم ركز على دراسة المظاهر الحضارية والعلمية الأخرى ؛ كالطب والهندسة والفلك ، وبعض المستشرقين اهتم بدراسة اللغة العربية وآدابها ؛ والقصد من هذا التنظيم الأكاديمي والتخصص العلمي هو أن يكون عمل كل مستشرق في مجال فنه مكملاً لأعمال الآخرين ، لتكون لدى الهيئات التنصيرية والمنظمات السياسية ـ ممثلاً في وزارات الدفاع ووزارات الخارجية ـ معلومات متكاملة عن الإسلام والمسلمين والشرق ، تساعد على التخطيط السليم بما يؤدي إلى تدمير المسلمين والدين الإسلامي .

ونضرب على ذلك مثالا بما يقوم به قسم الدراسات الاستشراقية في جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية Indiana University Bloomington (مثله الأقسام المشابهة في جامعات بريطانية وألمانية وروسية). فهذا القسم تخصص في دراسة اللهجات العربية للأغراض الحربية ، ويوجد به الكثير من الذين يوجهون للعمل في المجالات العسكرية والأعمال الدبلوماسية . إن هذا التخصص وأمثاله من التخصصات الدقيقة يعكس لنا النيات السيئة للغرب في القضاء على الإسلام والمسلمين ، فهم لا يزالون يقاتلوننا حتى نوليهم الأدبار، ونرتد عن ديننا، كما يظنون. لماذا لا تهتم الدراسات الاستشراقية بدراسة النظام الأسري في الإسلام ؟ وكذلك دراسة الزكاة ونظام التكافل الاجتماعي، ليعملوا على إسعاد شعوبهم التي تفرقت أُسُرها،ا وأسَرهَا الربا والمعاملات البنكية الربوية، و إذا كان زعم الاستشراق هو البحث العلمي والتمحيص الأكاديمي، فهذا غير صحيح، إذ إن القصد ليس البحث العلمي، ولكنه الحرب الفكرية والهدم العقائدي للإسلام والمسلمين .

ومن الملاحظ أن للدراسات الاستشراقية أهدافاً ظاهرة وأخرى غير ظاهرة؛ فالأهداف الظاهرة تبدو للإنسان وكأنها الحق والصواب لما فيها من النزاهة وحسن النية في خدمة الإسلام وتراثه، بما يقوم به المستشرقون من أعمال الترجمة، والفهرسة ، والكشف ، والجمع، والنشر والتحقيق ، والتأليف والتصنيف ، وتخصيص بعض المجلات الدورية بإسم الإسلام والشرق، وعقد المؤتمرات والندوات ، كل هذه الأمور تعكس مدى الاهتمام بالإسلام وخدمته، مما لا نظير له لدى المسلمين ، فكيف يشك

الإنسان في مثل هذه الأعمال الطيبة ؟ ولكن تحت هذه الأهداف الظاهرة أهداف غير ظاهرة، يتسلل المستشرقون تحت ستارها إلى تحقيق أغراضهم السيئة ، وهي الأهداف الحقيقية للاستشراق ، تلك التي تقصد بالإساءة إلى الإسلام، والقدح في الشريعة الإسلامية وتعاليمها، والتشكيك في نبوة الرسول ﷺ ودعوته ، وإثارة الشبهات حول كتاب الله العزيز .

ويمكن للدارس المتتبع لمناهج المستشرقين، وطرقهم في البحث والتأليف أن يتقصى أهداف الاستشراق بما تعود أن يفعله المستشرقون في كتاباتهم ، ويمكننا الإشارة إلى أن الخطة العامة والطريقة الرئيسة المتبعة عند معظم المستشرقين في التأليف والكتابة عن الإسلام تعتمد على معالجة موضوعات محددة لذاتها، تشمل ما يلي :-

١ - حياة الرسول ﷺ سيرته ودعوته ونبوته .

٢ - العقيدة الإسلامية، وموضوعات التوحيد والشرك .

٣ - الشريعة الإسلامية ، وتتناول دراسة القرآن ومسألة الوحي، وهل كتبه الرسول ﷺ أم كتب له . والحديث وهل ذلك أقوال الرسول أم أقوال الصحابة .

٤ - الخلافة ونظام الحكم .

٥ - الفرق المتعددة التي ظهرت بين المسلمين عبر التاريخ مع التركيز على فرق الشيعة والاهتمام بها .

٦ - الحياة العقلية، والحديث عن الفلسفه والمنطق والجدل، وما يتصل بالعقائد.

٧ - اللغة العربية وتراثها وآدابها .

٨ـ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .

وهذا المنهج لا يكاد يخلو منه الاتجاه العام لكتابات المستشرقين، وهو موجود في غالبية كتب الاستشراق، كماهو ملحوظ في كتاب جولد تسهير، المعروف باسم «في الدراسات الإسلامية» الذي كان اسمه الأول «في العقيدة والشريعة» ، وإذا ما تمكنا من فحص هذا المنهج في كتابات المستشرقين، ولو بدراسة بعض أجزاء منه، أمكننا تفنيد أهداف الاستشراق، ومعرفة ما يهدفون إليه ، وأن الستار الحاجب للأغراض الحقيقية للاستشراق يمكن كشفه، وإثبات بطلان الزعم القائل بأن الاستشراق اتجاه أكاديمي يُعْنىٰ بالبحث العلمي وخدمة الإسلام وتراثه[1] .

ويرىٰ المستشرقون أن الإسلام جزء من مجموعة الأديان الوثنية التي وجدت في بلاد الشرق والجزيرة العربية وبلاد الهند وفارس[2]، وهذا مثال للمستشرق البريطاني واط Watt فىٰ حديثه عن الرسول ﷺ؛ إذ إنه يرىٰ أن محمداً ﷺ كان شديد الثقة بنفسه ؛ وكان إذا حدثت حادثة في حياته ﷺ، واعتقد أنها صالحة لقومه، فإنه يصوغ ذلك الأمر في كلام قرآني، ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحي إليه به فيقدمه للناس علىٰ أنه كلام

(١) لقد تناول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالىٰ في كتابه «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» آراء المستشرق جولد تسهير، ورد عليها، وأثبت بطلانها في مجالات كثيرة. انظر كذلك تعقيب الأستاذ أحمد محمد جمال علىٰ أقوال جولد تسهير في كتابه «علىٰ مائدة القرآن مع الكتاب والمفسرين» الطبعة الثانية ٩٤هـ١هـ ـ ١٩٧٤م ص ١١٠ـ١٢٩ » . كذلك يمكن مراجعة كتاب الدكتور مصطفىٰ السباعي يرحمه الله تعالىٰ «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي».

(٢) سفر الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ص ٢٤٤ .

الرب والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ[١]. بل ذهب بعض المستشرقين إلىٰ القول بأن القرآن الكريم من وضع النبي محمد النبي محمدﷺ ، وقد أملىٰ معظمه عليه راهبٌ نسطوري، الذي تعلم علىٰ يديه الرسولُ ﷺ مدة طويلة بالشام[٢]. «وإن لقاءه ببحيرا ـ لو ثبت ـ لا يعدو الساعة أو الساعتين وهو غلام في الثانية عشرة من عمره !! وأن التوراة والإنجيل لم يترجما إلىٰ العربية إلا بعد قرون من عمر الرسالة ، ولو كان قد ترجما ، فإن أُمِّيَّته تحول دون إفادته منهما »[٣].

ثم كيف يمكن للرسول ﷺ أن يكون قد وضع القرآن بنفسه ، وكتبه في دفتي المصحف ، وكيف له أن يعرف القراءة والكتابة ؟ وحقائق التاريخ وكتب السير تنطق بأن الرسول ﷺ كان أمياً؟ ، ولكن تجاهل المستشرقين ورغبتهم في اتباع الظن والهوىٰ ، يجعل الرسول ﷺ تارة أمياً وتارة خلاف ذلك ، حسب ما يتفق مع آرائهم . والمولىٰ سبحانه وتعالىٰ يقول في محكم التنزيل : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ**

---

(١) عبد الجليل شلبي ، الإسلام والمستشرقون ، ص ٣٤ .

(٢) سفر الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ص ٥٤٤ .

(٣) محمد عبدالله دراز ، مدخل إلىٰ القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ، ص ١٤١ .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

إن افتراء المستشرقين على رسول الله ﷺ بوضع القرآن من عند نفسه، وإيهام الناس بأنه كلام الله، ليس إلا فرية قديمة قال بها مشركو مكة وكفارها، حيث زعموا أن القرآن قول شاعر، وقول مجنون، وقول رجل به جِنَّة، وقول ساحر. وقالوا: إنه من أساطير الأولين. فمنطق القدماء هو منطق المحدثين، والكفر ملة واحدة؛ إذ إن الجميع من أعداء دين الحق يهدفون إلى قطع الصلة بين المسلمين والقرآن الكريم، وبالتالي التشكيك في نبوته ﷺ.

هذه الأمور والأخطاء التي يقع فيها المستشرقون يمكن أن نجمل القول عنها بأنهم يجدون في البحث والاستقصاء عن شخصية الرسول ﷺ؛ بقصد انتحال الأدلة والبراهين لتعليل آرائهم، وكل ذلك مبني على تجاهلهم لحقائق التاريخ، وجهلهم باللغة العربية ونحوها، وكتابات المستشرقين عن حياة النبي محمد ﷺ ودعوته تشمل الحديث عن العقيدة الإسلامية، تبدأ بالتشكيك في حقيقة القرآن الكريم، وأنه من وضعه ﷺ، وأن ما فعله الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في نقلهم للقرآن الكريم على أنه كلام المولى سبحانه وتعالى، إنما جاء نتيجة سذاجتهم، وإيمانهم الأعمى بمحمد ﷺ، الذي سحر قلوبهم، واستحوذ على عقولهم(٢).

ويذهب المستشرقون إلى أن السُّنَّة المطهرة وأحاديث رسول الله ﷺ إنما هي من تأليف الناس، وهي مجرد أكاذيب وأقوال ملفقة نسبت إليه ﷺ،

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٥٧-١٥٨.

(٢) علي جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ١٥-٢٠.

وهذا التشكيك في السُّنة المطهرة وأحاديث المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام، إنما هو قائم علىٰ معرفة المستشرقين لأهمية السنة ومكانتها عند المسلمين، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، وإحداث الشك في معتقدات المسلمين في السنة، والقدح في أقوال النبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه يعني زعزعة عقيدة الناس وإيمانهم بدين الله سبحانه وتعالىٰ.

ويعتمد أسلوب المستشرقين علىٰ سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده، وإخضاع النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة للفكرة التي يفرضونها حسب أهدافهم، والتحكم فيما يفرضونه من نصوص وتفسيرات مادية بالإضافة إلىٰ تحريف بعض النصوص عن مقاصدها؛ لإثارة الشك في النفوس، والبلبلة في العقول، كما أن المستشرقين يعتمدون علىٰ المصادر التي تروق لهم وتروج لفكرهم ، فهم ينقلون ـ مثلاً ـ من كتب الأدب ما يحكمون به علىٰ تاريخ الحديث النبوي الشريف وعلىٰ سنته ﷺ ، ويأخذون من كتب التاريخ ما يحكمون به علىٰ التشريع الإسلامي والفقه.

وهكذا يمكن أن نلخص للقارئ الفكر الاستشراقي، وما ينحصر فيه من أهداف في القول الآتي لإدوارد سعيد : « أصبح الاستشراق مسألة متفقاً عليها بالإجماع، (أي بين جميع طبقات المفكرين والكتاب والأدباء)، أموراً محددة ، وأفكاراً معينة وأحكاماً ثابتة هي في نظر كل مستشرق الصواب كل الصواب »[1]. ومن هذا المبدأ، وبناءً علىٰ هذا الإجماع المتفق عليه سلفاً بين جميع المفكرين من أدباء ونقاد ومؤرخين ومختصين في

(١) انظر : Edward Said, Orientalism, P. 202 .

السياسة والاقتصاد وغيرهم، ينطلق الفكر الاستشراقي في عمله .

وهذه النظرة التي أكدها إدوارد سعيد بقوله : (إن معظم كتاب الخيال في عصرٍ ما، أمثال فلوبير ونيرفال وسكوت، كانوا محدودين بما خبروه، وما قالوه عن الشرق، ذلك أن الاستشراق في حد ذاته يقوم على نظرة سياسية، يقوم أساسها على التفريق بين المألوف، « أوربا والغرب أي نحن»، وبين غير المألوف « الشرق هم »)[1] .

ويمضي إدوارد سعيد في تحليله عن الاستشراق، ليؤكد قائلاً عن الأدب الإنجليزي بأن: « كتاب الأدب الإنجليزي بالجملة كانوا أكثر جرأة وجسارة من كتاب الأدب الفرنسي في الحديث عما يستحقه الحجاج الشرقيون وأهل الشرق . . . لذا، فإن كتاباً رومانسيين أمثال بيرون وسكوت كانت النتيجة بالنسبة لهم أن ينظروا إلى الشرق الأدنى نظرة سياسية ونظرة إجبار وإخضاع وقهر، لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الشرق والغرب. عليه فقد كان المفهوم التاريخي في روايتي سكوت التاريخية (الطلسم The Talisman) وروايته (روبرت كونت مدينة باريس Count Robert of Paris) مفهوماً مبنياً على رسم أحداث هاتين الروايتين في فلسطين زمن الحروب الصليبية وخلال القرن الحادي عشر في الزمن البيزنطي، دون أن يبالي سكوت بماهي عليه القوة السياسية في الخارج» [2] .

أما التنصير، فهو الحرب الدينية التي يشنها أعداء الإسلام، بقصد صد

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

الناس عن الإسلام ، وهذا متأكد في كتاب الله العزيز ، وفي محكم التنزيل ، يقول سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[1] . وجاء التنصير كحركة فكرية لمحاربة المسلمين بعد أن فشل النصارىٰ في الحروب الصليبية . والهدف الرئيس للتنصير يتركز في الدراسة المستمرة بأحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين ، وإثبات صحة الديانة المسيحية ، وأنها أفضل الأديان ، وبذلك فإن التنصير هو الدعوة إلىٰ النصرانية لإدخال الناس في المسيحية ، واعتناقهم لها ، وترك أي دين سواها .

وما نشر من أباطيل وشبهٍ ومفتريات عن الإسلام مما لا يمكن حصره ، ويقوم علىٰ قلب الحقائق عكساً تاماً ، فالدين الإسلامي دين التوحيد الخالص ، لكن المنصرين يقولون بأنه دين عبادة الأوثان ، وهذا ما دأب عليه كُتَّاب الأدب الإنجليزي ؛ حيث نلاحظ أن صموئيل كوليردج الشاعر الرومانسي المشهور كتب قصيدة بعنوان «محمد» ، قال فيها : إن الإسلام عقوبة من الرب للنصارىٰ ، الذين تقاعسوا عن التنصير بدينهم في الشرق الذي ظهر منه الإسلام ، وأتاحوا الفرصة ليقوم دين الإسلام ونبيه محمد (عليه الصلاة والسلام) . فالدعوة إلىٰ التنصير واضحة في هذه القصيدة .

والشاعر الرومانسي اللورد بايرون في المنظومة المسرحية بعنوان «دون جوان» Don Jaun يتحدث عن حروب دون جوان مع المسلمين ، وكيف أنه أسر فتاةً مسلمة بقصد إنقاذها من أضاليل الشريعة الإسلامية وسيئات

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

الإسلام ودعوتها للمسيحية دين النصارىٰ، ويبين لها صدق هذا الدين، فأكرمها وأحسن إليها، وأخذها إلىٰ كنيسة كانتربري في بريطانيا، حيث ظنت تلك الفتاة أنها في أحد المساجد، مما جعلها ترفع يديها بالدعاء بكل حزن وأسف، وتقول: «إن محمداً يجب أن يخذل»، والشاعر أراد بهذا أن يثبت بطلان الإسلام، وسرعة ترك المسلمين له؛ لأنه ليس دين حق.

كما أن قصيدة «ثورة الإسلام» للشاعر الرومانسي شيلي يدعو فيها إلىٰ تحرير القسطنطينية من أيدي الأتراك المسلمين، وبالرغم من أن شبلي كان علمانياً ملحداً، فإنه هاجم الإسلام، وعبَّر عن بغضه له، حيث كان يعتقد. ثم يعبر الشاعر عن أن هزيمة تركيا والمسلمين تعني سقوط الإسلام، ونهوض النصرانية، نظراً لضعف الإسلام أمام قوة النصرانية، التي لو قويت شوكة التنصير بها، لانتشرت في جميع أصقاع الأرض. ثم دل علىٰ ضعف الإسلام في إحدىٰ الصور التي قدم فيها حواراً بين عيسىٰ عليه السلام، وبين الرسول محمد ﷺ، وبين الشيطان، وفيها يظهر النبي محمد عليه الصلاة والسلام في موقف الضعف والهوان، وهو يدعو ربه أن يظهر دين الإسلام ونور الإسلام. ويستطرد الشاعر منوهاً بضرورة إثارة نصارىٰ لبنان لإجهاض الخلافة الإسلامية في تركيا ودمشق وحمص وحلب حتىٰ المدينة المنورة، وإثارة نصارىٰ مصر، وإحراق القرآن، ونشر المسيحية في تلك الأصقاع.

والشاعر الرومانسي ريتشارد بارهام في كتاب له بعنوان «من القصص الخرافية» كتب قصيدة بعنوان «أسطورة فلسطين»، يتحدث مشيداً بالملك ريتشارد قلب الأسد، الذي ألهب ـ بمساعدة البابا ـ الحس المسيحي، الذي

يجب ألا يُطفأ، ويجب أن يظل متأججاً في نفوس المسيحين للقضاء على الإسلام والمسلمين، والأمثلة للدعوة إلى التبشير بالمسيحية، وفكرة التنصير في الأدب الإنجليزي بقصد محاربة المسلمين والإسلام كثيرة، وهذا ما سنوضحه من خلال بعض الأمثلة في مسرحيات شكسبير، لإظهار الفكر التنصيري عنده والذي كان من بين روافده الأغلوطات التاريخية في الحروب الصليبية، والانطباعات الفردية الذاتية المجردة عن الموضوعية في أقوال الرحالة والمستشرقين وأمثالهم، للكتابة عن فوقية النصرانية، وبذلك فقد عمد إلى غمز الإسلام، والنيل منه، كما فعل فيما سبق عندما تحدث عن اليهود واليهودية، وشتان ما بين دين محرف مزيف عبثت به الأيدي والأقلام، وبين دين أكمله الله وأتمه وحفظ كتابه وما حواه من عقيدة وشريعة، إنه دين الإسلام الذي نال منه شكسبير بقلمه محارباً له، داعياً إلى المسيحية، وعاملاً على تنصير الناس، وإخراجهم من النور إلى الظلمات من خلال محاربته للإسلام وهجومه عليه، وما ذلك إلا امتداد لفكره التنصيري الذي ألقينا عليه الضوء في فصل سابق من هذه الدراسة، لنؤكد على ما ذكرناه آنفاً، وهذا ما سنفصله في حديث شكسبير عن الإسلام في الفصل التالي بعون الله وتوفيقه.

الباب الخامس

الإسلام في مسرحيات شكسبير

الإِسلام في مسرحيات شكسبير

إن الحديث عن الإسلام والمسلمين عند كثير من أدباء الغرب ومفكريهم ينطلق من الحديث عن الشرق وصورته عندهم ، وهذا الاتجاه هو المنحىٰ الذي سار فيه شكسبير ، كما سار فيه السلف ممن سبق ، والخلف ممن لحق ، فالشرق من حيث خصائصه الروحية والفكرية والعقدية (وفيه الشرق الإسلامي بدين الإسلام وعقيدته وحضارته وتراثه) يمثل عند الغربيين السر المكنون والسحر الطلسم الغامض ، عالم الأسرار والخفايا ، والشعوذة والقسوة، والجبروت ، عالم الأشباح والجِنَّة والأرواح التي تعبث لتلهو في مفازة الغرب، فتظهر العجائب والغرائب[١] .

الشرق، من حيث الحضارة والمدنية يمثل الحضارة الرفيعة الراقية في المآكل والملابس والطيب والعطور والمباني والقصور، حيث الخدم والحشم والسراري والوصيفات. هذا الجزء من العالم لطالما عجز الغرب عن مجاراته، وترسم خطاه، ولم يفهم حقيقته إلا بعد ردهة طويلة من الزمن ، بعد أن تعاقب الغربيون علىٰ نقل مظاهر الحضارة الشرقية رويداً رويداً إلىٰ

---

(١) هكذا تحدث شكسبير في مسرحية تاجر البندقية (الفصل الثاني المشهد السابع) عن الجزيرة العربية حال قدوم الخطاب لبورشيا الحسناء لطلب الزواج منها فيقول: «لقد أصبحت صحاري هركانيا ومجاهل بلاد العرب الفقراء سبلاً يسلكها الأمراء لطلب يدها والزواج بها».

عالمهم ، وكثرت الرحلات إلىٰ بلدان الشرق ، فبدأت طلاسم ذلك اللغز ورموزه تحل ، فعرف الغرب حقيقة الشرق ، ذلك الجزء الكبير من العالم ، الغني بثرواته الطبيعية ، وبجوه المعتدل ، فقال قائلهم ، وهو بنجامين دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا اليهودي : « المستقبل في الشرق The East is a Career »[١] ، هذه المقولة التي حركت الغرب ، لينقض بشراسة علىٰ دول الشرق يحتل أراضيه ، وينهب الثروات والخيرات ، ويدحر الشعوب ، ويدمر الحضارات والأديان والعقائد الشرقية ، وعلىٰ الأخص الإسلام ، في حرب صليبية شعواء ، والتي تعد نقطة ارتكاز أساسية في حياة الغرب ، وتطور حضارته وثقافته وتراثه المادي وثرائه المالي ، ذلك أن الحضارة الغربية قامت علىٰ أنقاض الحضارتين الإغريقية اليونانية والهيلينية الرومانية ، فجاءت وثنية الدين ، مادية المعتقد والشريعة ، وإنما جعلت المسيحية ثوباً لتغطية الحقيقة والواقع ، لتنطلق في غاراتها الصليبية التي شنتها علىٰ الشرق الإسلامي[٢] .

ونحن في هذه العجالة نورد بعض الحقائق عن أوربا عامة وبريطانيا خاصة ، وشعورهانحو الإسلام وأمة المسلمين ، ذلك أن لكل أمة من الأمم ولمفكريها وأدبائها وعلمائها ، بوجه خاص ، رأيهم في الأمم والشعوب الأخرىٰ ، من حيث حضارتها وما تنطوي عليه من ثقافة ولغة ودين ، بل

---

(١) انظر : The Oxford Dictionary of Quotations, p.186.

(٢) محمد أسد ، الإسلام علىٰ مفترق الطرق ، ص ١٤ .

وكل تراث تلك الأمة. وهذا الرأي يعد السجل التاريخي للأدب الذي يعكس شعور تلك الأمة نحو شعب أو أمة ما، وهو صورة صادقة لما عليه علاقه تلك الأمة بذلك الشعب في عصر من العصور، أو في زمن من الأزمان. ولكي نوضح صورة الإسلام في مسرحيات شكسبير، نلقي الضوء علىٰ بعض الحقائق المتعلقة بالحروب الصليبية، وتأثيرات الفكر الاستشراقي والفكر اليهودي، والكتب المقدسة المحرفة علىٰ حياة وفكر وأدب الكتاب الإنجليز وفيهم ومنهم، ومعهم وليم شكسبير، فنبدأ الحديث عن الحروب الصليبية وأسبابها.

إن النظام المالي اليهودي الذي كان سائداً في أوربا خلال القرون الوسطىٰ، ومزاحمة الاحتكاريين اليهود للناس في أموالهم دفع الأوربين إلىٰ التطلع نحو الشرق الإسلامي، والسطو عليه من خلال الحروب الصليبية، خصوصاً وأن التزاحم علىٰ سلب الشعوب الأوربية البائسة عن طريق الربا أدىٰ إلىٰ سقوط أوربا في هوة من الفقر والتأخر، وانهيار كل أثر للحضارة عندها بعد قرون قليلة من سقوط روما بيد البربر الجرمانيين.

إن حالة التخلف والفقر في أوروبا والرغبة في جمع الأموال والاستيلاء علىٰ تراث الشعوب من قبل ملوك وأمراء النصرانية، توافقت مع مصالح أرباب الأموال من اليهود، الذين دعوا إلىٰ شن حملة صليبية كبرىٰ ضد المسلمين(١).

---

(١)نذير حمدان، الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات، ص ٨٣.

وبهذا، فقد نجح اليهود بصورة مباشرة وغير مباشرة في تحريك النصارىٰ علىٰ إشعال نار الحروب الصليبية. وهذه الحروب كانت الفرصة الذهبية لتقديم القروض إلىٰ زعماء الحملات وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطان الكنيسة ذاتها، بالربا والمتاجرة بالعتاد والأسلاب، فضلاً عن المكاسب السياسية والدينية وهي إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معاً.

لقد امتلأ تاريخ الحروب الصليبية بالكثير من الكذب والإفك والزور والبهتان، مما ضلل الأدباء في أوربا عن حقيقة تلك الحروب فجاءت كتاباتهم مختلطة بالكذب والخيال؛ فمن «المعلوم أن بعض الرحالة وكتاب تاريخ الحروب الصليبية، ومنهم بعض الصليبيين الذين عادوا إلىٰ إنجلترا من الأرض المقدسة، جلبوا بعض القصص والأساطير التي كان معظمها محرفاً، إذ كان القصد منها إلباس الحروب الصليبية لباس الحرب المقدسة»[١].

وعندما لحقت الصليبيين الخسارة والهزيمة في معظم حملاتها الوحشية علىٰ البلاد المقدسة، ازداد اليهود والنصارىٰ حقداً علىٰ الإسلام والمسلمين، فنادت الكنيسة بضرورة الأخذ بالثأر، والتنكيل بالإسلام والمسلمين بشتىٰ الوسائل، وبمختلف الطرق، والعمل الدؤوب للتصدي لحركة الدعوة الإسلامية، وإعاقة حضارة الإسلام، فشجعت الدراسات الاستشراقية،

---

(١) انظر: Byron Porter Smith, Islam English Literature, Carvan Books, New york, 1966, p.V111.

وكرست الجهود، وأوعزت إلى رجال الفكر والمنصّرين بتكثيف العمل، والعكوف على دراسة الإسلام والمسلمين، والعمل على رسم الخطط المناسبة للهجوم على الإسلام والقضاء عليه، وما الدراسات الإستشراقية إلا لون آخر من ألوان الحروب الصليبية المتصلة بالناحية الفكرية والعقدية[١]. هدفها الأول القضاء على الإسلام والمسلمين، والإبقاء على النظريات المادية والإلحادية التي دعا إليها دارون وفرويد وغيرهما.

والاستشراق بهذا إنما هو كهانة جديدة، تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث والدراسات الأكاديمية، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد[٢]، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه « لا ريب أن أصدق مفهوم للاستشراق هو أنه العلم في خدمة السياسة والاستعمار وهدفه، إذابة الشخصية الإسلامية، وتغيير ما بنفس المسلمين من إيمان بالإسلام ومُثُله والتمسك بعقيدة الإسلام وشريعته ولغته وحضارته، والتنكر لهذا كله، وقطع الصلة بين المسلم وبين دينه وبين ربه[٣].

والمستشرق هو في الأصل من أبناء اليهود أو النصارى ويعد من سار

---

(١) عبد الجليل شلبي، الإسلام والمستشرقون، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٧هـ، ص ٣.

(٢) عبد القادر محمود، الإسلام في مواجهة الحركة التنصيرية والاستشراقية، الفيصل العدد ١٢٦، ذو الحجه ١٤٠٧هـ، اغسطس ١٩٨٧ م، ص ٢٨-٣٠.

(٣) أنور الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٨م، ص ٩٥.

على نهجهم، وخدع بضلالهم من غير اليهود والنصارى من أبناء المسلمين المستغربين مثلهم؛ لأنهم يتفقون مع الاستشراق في آرائه وأفكاره محادة لله ولرسوله ﷺ.

ومعظم المستشرقين الأوائل كانوا من الرهبان، والقسس والمنصرين، المهتمين بدراسة اللاهوت، لإرساء الفكر والتعاليم الكنسية توصلاً إلى التنصير والدعوة إلى النصرانية، وتسهيل مهمة الاستعمار، ومحاربة الشعوب ـ وعلى الأخص الشعوب الإسلامية ـ للقضاء على الإسلام عن طريق تجسسه، والمؤامرات التخريبية الحربية والعسكرية، ومهما اختلفت أهداف المستشرقين وأغراضهم، فهم جميعاً يرمون إلى قصد واحد، وهو ضرب الإسلام والإجهاز عليه، والمستشرقون جميعاً متفقون في عدائهم للإسلام، مع تجاهلهم لحقيقته، وجهلهم بلغته العربية، ومن يعرف اللغة العربية منهم قلة.

والمستشرق جُبل على الطعن في الإسلام بحسب تفكيره العدائي الموروث منذ عصر الحروب الصليبية، والساكت منهم على المفتريات الموجهة إلى الإسلام والطعن فيه أشد سوءاً من غيره؛ لأن في سكوته إقراراً لصحة ما يزعمه الآخرون؛ إذ الساكت على الحق شيطان أخرس[1]، والملاحظ أن اصطلاح الاستشراق أخذ يدخل كثيراً من كتب العلم وفنونه في الغرب؛ فنجده في كتب الرحلات، وكتب التجارة، وكتب الصناعة،

---

(١) المرجع السابق .

وكتب الأدب، وكتب الدواوين الرسمية والحكومية، وكتب التاريخ الطبيعي ، والسبب في هذا أن الاستشراق أصبح فناً له أصوله وأهدافه بين الغربيين؛ وبذلك أصبح مصطلحاً لا يمكن الاستغناء عنه في محاربة الإسلام والمسلمين ، فهذا هو الاستشراق في أبسط صورة ممكنة .

ويعتمد أسلوب المستشرقين على سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده ، وإخضاع النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة للفكرة التي يفرضونها حسب أهدافهم، والتحكم فيما يفرضونه من نصوص وتفسيرات مادية ، بالإضافة إلى تحريف بعض النصوص عن مقاصدها لخلق الشك والبلبلة ؛ كما أن المستشرقين يعتمدون على المصادر التي تروق لهم وتروج لفكرهم، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به على تاريخ الحديث النبوي الشريف وعلى سنته ﷺ، ويأخذون من كتب التاريخ ما يحكمون به على التشريع الإسلامي والفقه ، وهكذا يمكن أن نلخص للقارئ الفكر الاستشراقي وما ينحصر فيه من أهداف في القول الآتي لإدوارد سعيد، إذ يقول : « أصبح الاستشراق مسألة متفقاً عليها بالإجماع (أي بين جميع طبقات المفكرين والكتاب والأدباء) أموراً محددة ؛ وأفكاراً معينة، وأحكاماً ثابتة، هي في نظر كل مستشرق الصواب كل الصواب »[١].

ومن هذا المنطلق وبناءً على هذا الإجماع المتفق عليه بين جميع المفكرين

---

(١) المرجع السابق .

من أدباء ونقاد ومورخين ومختصين في السياسة والاقتصاد، فإن كتاب الأدب الإنجليزي، ومنهم وليم شكسبير، لا يخرجون عن هذا الفكر، وعن هذا الإجماع في حديثهم عن الإسلام. ومرة أخرىٰ نستشهد هنا بقول إدوارد سعيد الذي سبق وأن أوردناه عن الأدباء الإنجليز وموقفهم من الإسلام والشرق، لنجعل القارئ علىٰ صلة بذلك الموقف: (إن معظم كتاب الخيال في عصرٍ ما، أمثال فلوبير ونيرفال وسكوت، كانوا محدودين بما خبروه وما قالوه عن الشرق، ذلك أن الاستشراق في حد ذاته يقوم علىٰ نظرة سياسية أساسها التفريق بين المألوف «أوربا والغرب، أي نحن» وبين غير المألوف «أي الشرق هم»)[١]. ويستمر إدوارد سعيد ليؤكد قائلاً عن الأدب الإنجليزي والاستشراق علىٰ وجه الخصوص، فيقرر بأن: «كُتَّاب الأدب الإنجليزي بالجملة كانوا أكثر جرأة وجسارة من كتاب الأدب الفرنسي في الحديث عما يستحقه الحجاج الشرقيون وأهل الشرق.. لذا فإن كُتَّاباً رومانسيين أمثال بيرون وسكوت كانت النتيجة بالنسبة لهم أن ينظروا إلىٰ الشرق الأدنىٰ نظرةً سياسيةً ونظرة إجبارٍ وإخضاع وقهر لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الشرق والغرب. وعليه، فقد كان المفهوم التاريخي في روايتي سكوت التاريخية (الطلسم) وروايته (روبرت كونت (أمير) مدينة باريس) مبنياً علىٰ رسم أحداث هاتين الروايتين في فلسطين زمن الحروب الصليبية، وخلال القرن الحادي عشر في الزمن البيزنطي دون أن يبالي

(١) انظر: Edward Said, Orientalism, P.192.

سكوت بما هي عليه القوة السياسية في الخارج [١].

وامتداداً للفكر الاستشراقي الذي اعتمده الغرب للحديث عن الإسلام، فإنهم كذلك اتخذوا من اليهود سواعد وأنصاراً لمحاربة الإسلام والمسلمين، وما من شك، فإن اليهود قوم بهت يحرفون الكلم عن مواضعه، ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، ويقتلون أنبياء الله ويكذبونهم ويفترون على الله الكذب، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وينكرونه، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويحبون أن تشيع الفاحشه بين الناس ولا ينكرونها، ويشعلون نيران الفتن والحروب، وهكذا فعلوا بمعاداة الإسلام ونبيه محمد ﷺ، فلم يعترفوا بنبوته، وحاولوا قتله ﷺ، وحاولوا إثارة الفتن والحروب حوله.. إلخ، وما هدأت أنفسهم، ولن تهدأ، فقد زعموا المزاعم على الإسلام، وكتبوا عنه كل سوء، فأنكروا نبوة هذا النبي الأمي العربي، وما جاء به من التوحيد الحق والشريعة السمحاء، فضلوا وأضلوا، فسار على نهجهم كل من تبعهم من منكري التوحيد، الداعين إلى الشرك وإلى قوانين الباطل، فأوجدوا البنوك الربوية، وأنكروا القرض والتكافل المالي والاجتماعي، وسخروا من الزكاة في الإسلام، واستحلوا أموال الناس وأعراضهم، واستباحوا أرواحهم، فأوقدوا نيران الحروب، ومنها الحروب الصليبية، وعمدوا إلى إشاعة الفواحش من اللواط والزنا، واستهزؤوا بتعدد الزوجات الذي نظمه الإسلام، ونادوا بتعدد العشيقات

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣.

وأموراً أخرىٰ كانت مجال موضوعات الأدباء وكتاباتهم عن الإسلام في الأدب الإنجليزي، الذين جعلوا اليهود والفكر اليهودي مصدراً من مصادر الكتابة عن الإسلام والمسلمين.

ولا يخفىٰ أن من عناصر مكونات التراث البريطاني هو الدين المسيحي، والتراث ـ كما يقول ت. س إليوت T.S.Eliot ـ له قيمة خاصة ومؤثرة فيما يتصل بالتكوين الأدبي للكتاب والأدباء والنقاد والمفكرين فيما يتوارثه الخلف عن السلف[1].

والتراث ليس مجرد وعاء يحتوي الأدب والأعمال الأدبية، بل إن الأدب يعتبر جزءاً منه، وعنصراً من عناصر مكوناته ومفهومه. والأديب يستفيد من التراث باعتباره جزءاً منه، ولكنه ينفرد عنه بما يضيف إليه من عوامل الجدَّة والتجديد والأصالة.

وإذا كان الدين المسيحي هو أحد مكونات التراث للأدب الإنجليزي، وإن الدين المسيحي يقوم في أساسه علىٰ أن عيسىٰ ابن مريم صلىٰ الله عليه وسلم هو نبي النصارىٰ، وأن كتابه المقدس هو الإنجيل، فإن اليهود قد عبثوا بهذا التراث أيما عبث، فالعهد القديم ـ الذي هو كتاب الموسوية، أي التوراة ـ قد عبثت به اليهود وحرفوه، فاعتوره الخلل والحذف والتبديل، واستعاضت اليهود عن ذلك بالتلمود، والإنجيل قد تخلله التزوير والتحريف، ويكفي في ذلك أن الإنجيل ليس هو بكتاب واحد، بل هناك أربعة أناجيل افتعلها

---

(١) انظر: T.S.Elliot, Selected Essays, PP 12- 13.

اليهود، ليلبسوا على أهل النصرانية الحق، ولا يدرون إلى أي كتاب يستندون ، فهناك إنجيل متى ، وإنجيل لوقا ، وانجيل مرقس ، وإنجيل يوحنا، وفيها كثير من التناقض والتباين. يقول أحمد عبد الوهاب في كتابه (إسرائيل حرفت الأناجيل) : « تشمل الترجمة المحرفة لإنجيل متى على ٩١ تحريفاً موزعة على إصحاحاته الثماني والعشرين ، لكن أكثر هذه التحريفات وأخطرها ـ ولا شك ـ هو ما حدث للإصحاحات الأخيرة، وخاصة الإصحاح السادس والعشرين والإصحاح السابع والعشرين ، وبلغت تحريفات إنجيل مرقس ٥٢ تحريفاً، وقد تركزت هذه التحريفات في كل ما يتعلق بأحداث صلب عيسى « عليه السلام» . ويستطيع القارئ أن يحصي في إنجيل لوقا ٧٣ تحريفاً . ويعد إنجيل يوحنا أكثر الأناجيل تحريفاً فقد بلغت جملة تحريفاته ١٣٥ ، وتركز التحريف على محو كلمة اليهود من أسفار العهد الجديد أكثر الأناجيل ذكراً لها »[(١)].

والمطلع على هذه الأناجيل يجد فيها كثيراً من العبارات التي تثبت بنفسها تناقضات جلية ؛ إذ لا يعتقد أمران متناقضان في كتاب مقدس، ويكون من عند الله العليم الخبير البصير، ولا يمكن قبول بعض الأمور غير

---

(١) أحمد عبد الوهاب ، إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ، مكتبة وهبه القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٤٨ـ٥٩ . يلاحظ أن هناك بعض الدول الإسلامية تشعر بالخجل من ورود كلمة يهود في بعض المناهج الدراسية وغيرها، وقد عملت على طمسها إرضاءً لليهود . فكيف هم بكتاب الله، هل يمكنهم فعل ذلك، ولله المثل الأعلى ؟ .

المعقولة أو دعاوي تتعارض على الأقل مع المعطيات التي أثبتتها المعارف الحديثة ، وكثير من المسيحيين يجهلون هذه المتناقضات، والأمور غير المعقولة، أو التي لا تتفق مع العلم الحديث ، وهم يصابون بالذهول عندما يكتشفون كل هذا، ولقد ظل النصارى دائماً متأثرين بقراءة الشروحات والتعليقات والتفسيرات التي كتبها الرهبان لتطمئنهم ، ويساعدهم على ذلك الترانيم الغنائية المديحية، مع أن المعارف الحديثة ألقت الضوء على تاريخ العلاقة اليهودية النصرانية، والتنافس بين طوائفها المتعددة ، ولقد أوضحت هذه المعارف وجود أمور تحير القراء في التصديق بما في الأناجيل من علوم في العصر الحديث ، وهنا نجد موريس بوكاي يعلق على ذلك بقوله الصريح عن الأناجيل : هذا يؤدي بنا إلى مقارنة الإنجيل بالشعر الملحمي في أدب القرون الوسطى ، وإنها لموحية حقاً تلك المقارنة مع ملحمة رولان Chanson de Roland، وهي أكثر الملاحم شهرة ، تلك التي تقص في شكل روائي حدثاً وقع بالفعل. هل يعرف القارئ أن هذه الملحمة تقص حدثاً حقيقياً ؟ كمينٌ وقع فيه ظهر جيش شارلمان، الذي كان يقوده رولان بممر رنسفاو Roncevalaux ، إن هذا الحدث ذو أهمية ثانوية قد وقع في قول الحولية التاريخية إيجنهارد، Eginhard في ١٥ من أغسطس عام ٧٧٨م ، ولقد ضُخم هذا الحدث حتى وصل إلى أبعاد أمر حربي لمعركة في حرب مقدسة ، إن الرواية خيالية، لكن هذا الخيال لا يحجب حقيقة إحدى معارك شارلمان التي قام بها ليؤمن حدوده ضد تسلل الشعوب المجاورة،

ذلك هو والشكل الملحمي للرواية لا يمحوها. ونفس الأمر بالنسبة للأناجيل: فخيالات متى، والتناقضات الصارخة بين الأناجيل الأخرى، والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده. لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك بوجود رسالة المسيح، فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها »[1].

وإذا كانت هذه هي حقيقة الأناجيل، والإنجيل هو أحد عناصر التراث الإنجليزي ومكوناته، فكيف يكون تصور كتاب وأدباء الأدب الإنجليزي عن الإسلام؟ لا بد أن يكون هذا التصور وبالضرورة يقوم على الباطل والزيف والتحريف الذي تضمنته الأناجيل، التي حرفها اليهود، لقد حرف اليهود الأناجيل ودسوا فيها الأقوال بأن الإسلام دين باطل، وأن الرسول محمد ﷺ ليس هو خاتم الأنبياء، بل هو دجال أفَّاك جاء بتشريع تعدد الزوجات، ومحاربة الناس فيما يسمى جهاداً لقتل الأبرياء. وإنه يدعي أنه يوحي إليه، ولم يوح إليه شيء، وما يدعيه وحياً إنما هو من نفثات الشياطين وصرعات الجن، وما إلى ذلك مما افتراه اليهود على الإسلام، تبعهم في ذلك النصارى.

---

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، ١٩٨٢م، ١٣١.

لقد اهتم المؤرخون والكتاب في الغرب بأحداث الحروب الصليبية ، وكانت نقطة ارتكاز أساسية في التراث الأوربي الأدبي عموماً، وفي تراث الأدب الإنجليزي خصوصاً ، لأن الحملة الصليبية التي قادها الملك الإنجليزي ريتشارد الأول، المعروف بقلب الأسد، تعد حملة عالمية كبرىٰ حيث جُمعت لها الأموال الطائلة، وحشدت لها الحشود الكبرىٰ .

وتعد الحملة الصليبية الثالثة، وهي حملة عالمية (٥٨٣-٥٨٩هـ) (١١٨٧-١١٩٢م) (علىٰ وجه الخصوص المجال الكبير لكتابات الأدباء في إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وأيطاليا، وغيرها من الدول الأوربية) جمعت لها الأموال الطائلة، وحشدت لها الجيوش الكبيرة من كل أنحاء أوربا بعد نداء البابا من روما ، وشملت الجيوش أعداداً كبيرة من النمسا، وألمانيا، وإيطاليا، وانجلترا، وفرنسا ، فأعمل الأدباء خيالهم في تصوير المنازلات البطولية، ومواقف الفروسية في هذه الجيوش النصرانية، وما يقابلها من جيوش إسلامية ، فكتبت الكثير من القصص والقصائد الشعرية، خصوصاً فيما يتعلق بشخصية الملك ريتشارد قلب الأسد، وشخصية الإمام المسلم صلاح الدين الأيوبي بطل حطين. فكان المسلمون يُصَوَّرُون علىٰ أنهم جبناء أذلاء، والمسيحيون يرمزون إلىٰ الشجاعة والبسالة والإقدام[١] .

هكذا بدأت الكتابات الأدبية من شعر وقصة ومسرحية في الآداب الأوربية ، وكان الحديث عن الإسلام بصورة مشوهة هو شغل أوربا

---

(١) انظر :- Edward Said, Orientalism, P.30.

الشاغل، فالحديث عن الشرق عموماً، وعن الإسلام خصوصاً، في أي فن من الفنون، وفي أي علم من العلوم، في نظر الغربيين إنما هو مسألة تتعلق بمصلحة الكنيسة وبالاستراتيجية، الإستعمارية والقوانين التي تخضع لها، والحديث عن الإسلام وحضارته وتراثه لا ينبغي أن يظهر بحقيقته السليمة ، بل لا بد على كل كاتب اديباً كان أو مؤرخاً . . أن يعالج الإسلام في كتاباته باعتباره كياناً منحطاً ليس له من الرقي الحضاري ومظاهر التقدم حظ ونصيب ، وأنه دين وثني زائف باطل .

هذا هو المنهج الذي اتبعه الأدباء في كتابتهم عن الإسلام، كما نجد في الأعمال الأدبية التي تتصل بالشرق والإسلام في مؤلفات تشوسر Geoffery Chaucer (١٣٤٠-١٤٠٠م)، ووليم شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤-١٦١٦م)، وكذلك في أعمال جون دريدان John Dryden (١٦٣١-١٧٠٠م)، والإسكندر بوب Alexander Pope (١٦٨٨-١٧٤٤م)، وماندفيل Bernard Mandeville (١٦٧٠-١٧٣٣م)، واللورد بايرون G. Byron (١٧٨٨-١٨٢٤م) وغيرهم كثير، فهم جميعاً يصفون الشرق بأنه بلاد التخلف والانحطاط ، وإذا تحدثوا عن حضارته قالوا: إنها حضارة اندثرت وأفل نجمها ؛ ولم يذكروا من الشرق إلا أنواع الملابس والمآكل والمشارب، وأنواع الطيوب والعطور، وأصناف الحيوانات والطيور. وإن تحدثوا عن الدين الإسلامي في الشرق كالوا له الشتائم والسُّباب، والصقوا به التهم والسيئات - هكذا زعموا - وإن الدين الإسلامي

الذي ظهر في الشرق دين متخلف يغرر بالإنسانية ، ويدفعها إلى الشقاء وأن رسول هذا الدين شاعر كذاب[١].

هكذا إذن اعتمد كثير من كتاب وأدباء الأدب الإنجليزي في كتاباتهم عن الشرق عموماً، وعن الإسلام خصوصاً على مصادر خاطئة، ومعلومات زائفة، لا تقوم على بينه أو برهان، فكانت هذه الروافد التي زودت كتاب الأدب الإنجليزي بالمعلومات تتجسد في الفكر اليهودي ، والكتاب المقدس وما فيه من أناجيل محرفة ، والحروب الصليبية وتاريخها الذي كتب بأيدي الغربيين أنفسهم من رهبان ورحَّالة ومنصرين ومؤرخين مستعمرين وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين المتحيزين ، إضافة إلى مكونات التراث الاستشراقي وأغراض المستشرقين المشبوهة المدسوسة، وآرائهم، الذين ألبسوا فيها الحق بالباطل ، كما أشرنا في مقدمة هذا الباب، لنثبت فيما بعد بطلان ما كتبه شكسبير عن الإسلام جملة وتفصيلاً(في الفصل الآتي)؛ لأن معلوماته عن الإسلام مستقاة من مصادر زائفة. لذلك، فإن « طلاب الأدب الإنجليزي (من غير المسلمين) لن يدركوا المعاني والمقاصد المتصلة بالحديث عن الإسلام والنبي محمد (ﷺ) للأسف الشديد لأن معظم الأقوال المتصلة بالحديث عن الإسلام تدل على الجهل أو التحامل أو كليهما معاً ، فمثلاً تشوسر والسيرجون ماندفيل (وما حوته

---

(١)انظر : S. Lane- Pool, Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, Khayats, Beirut, 1964,p.p. 397-398

مسرحيات العصور الوسطىٰ) ولايدجيت وشكسبير والكتاب المتأخرون كتبوا عنالإسلام، فظهرت الهُوَّة الكبيرة التي وقعوا فيها بسبب سوء الفهم والإدراك لحقيقة الدين الإسلامي .

إن معظم هؤلاء الكتاب استقوا معلوماتهم من مصادر ثانوية ، فبدا الإسلام ونبيه ﷺ لهم وثنية خطرة، يجب مهما كلف الأمر أن يحارب، إن لم يدمر كليا(١). وهنا يصدق قول الرسول ﷺ إذ يقول : « إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفه طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة أخرىٰ منها، إنما هي قيعان لا تمسك ماء أولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به »(٢).

قلنا فيما سبق : إن كتاب الأدب الإنجليزي عندما يتحدثون عن الشرق وتراثه الديني والحضاري يصفونه بأنه مكان التخلف والانحطاط، ولذلك فالغربيون هم أولىٰ به وبخيراته، فاستعمروه وعمدوا إلىٰ تنصير شعوبه، وإذا تحدث أدباء الغرب عن الشرق، فهم لا يذكرون من الشرق إلا بعض

---

(١) انظر : Byron Porter Smith , Islam in English Literature,P.xv.

(٢) رواه البخاري ، فتح الباري ج ١/ ١٧٥(٧٩) ومسلم في صحيحه ج٤/ ١٧٨٧ (٢٢٨٢) والنسائي في الكبرىٰ ج٣/ ٤٢٧ (٥٨٤٣) .

الجوانب المادية من مآكل ومشارب وملابس وطيب وعطر وطير وحيوان،
لقد تناولت أقلام الكتاب الغربيين الحديث عن الشرق the Orient or the East من منظـــور فكـــري استعماري، يهدف إلى إظهار سمو الإنسان الأبيض، وعلو الفكر النصراني. الشرق ليس إلا مكاناً للماديات، بالرغم أن قراءة واعية لبعض النصوص الأدبية، مثل قصيدة روديارد كبلنج (١٨٦٥-١٩٣٦م) Rudyard Kipling بعنوان «أغنية الشرق والغرب» توضح الإدراك الواعي لدى هذا الشاعر وفهمه لحقيقة الشرق حيث يقول :

Oh,East is East, and West is West and never the twain shall meet,

Till Earth and Sky stand presently at God's great
judgment Seat;
But there is neither East nor West, Border, Nor
Bread, nor Birth,

When two strong men stand face fo face, though

ومع أن كبلنج من الشعراء المتأخرين عن زمن شكسبير، وكان يكتب في الوقت الذي انتشر فيه الاستعمار، وقويت شوكة التنصير مع ظهور سوء أحوال الشعوب الشرقية وضعفها، إلا أنه أدرك حقيقة الشرق بغير ما أدركه شكسبير، فالشرق عند شكسبير هو المكان الذي تطلع منه الشمس لتعم الدنيا بالضياء والنور، مرسلة عليها أشعتها الذهبية، فهو بذلك شرق يضيء الدنيا بالجمال والبهاء والروعة، كما يذكر في مسرحية (خاب سعي العشاق)، وفي بعض قصائده الشعرية[١].

---

(١) انظر : = Peter Alexander , William Shakespeare,the

إن الشـــرق هو جـزء من مملكة الغــرب وامــتــداد عــرش الملكيــه، إنه مستعمرة الإنجليز، كذلك قال قائلهم: «إن الهند درة التاج البريطاني»، وهكذا قال شكسبير، الذي سبق من جاء بعده، كما نجد ذلك في مسرحية الملك ريتشارد الثاني[١]. الشرق ومستعمراته وخيراته وما فيه من كنوز المعادن والجواهر حق للمسيحيين المستعمرين، هو خزانة الغرب، إنه اللؤلؤ والمرجــان والذهب والنفــائس والحــرير والصــوف والعطور والأطبــاق والملاعق، وقد أكد شكسبير ذلك كله في أكثر من مكان في مسرحياته (الملك ريتشارد الثالث)[٢]، (أنطونيو وكيلوباترا)[٣]، و(حلم ليلة صيف)[٤]. وإذا كان الشرق بهذه الخيرات هو خزانة الغرب، وهو محط أنظار الغربيين، وما فيه من ثروات حق لهم. والشرق ليس فيه سوىٰ ملوك من الصعاليك والأقـزام، كمـا جـاء في «قـصيـدة القـريبان النبيـلان» the Two noble kinsman لشكسبير، والتي جاء فيها أن الشرق مكان ملك الأقزام east to the king of pigmies (رمزاً لكل الملوك هناك) وبدون عون الغرب لأمراء وملوك الشرق، فإنهم يظلون صعاليك أقزاماً، ولا أدل علىٰ ذلك ما ذكره اليكساس Alexas خادم كيلوباترا عندما رجع من عند أنطونيو يحمل إليها

=Complete Works, p.183,.

(١) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد الثاني، ص ٤١٦.

(٢) المرجع السابق، الفصل الرابع، المشهد الرابع، ص ٧٣٤ - ٧٣٥.

(٣) المرجع السابق، الفصل الأول، المشهد الخامس، ص ١١٦٠ - ١١٦١.

(٤) المرجع السابق، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص ٢١٦ - ٢١٧.

هديته ، وقال لها : إن أنطونيو سيرصع بالممالك عرشها الفخم ، وسيجعلها ملكة الشرق كله[١]. إنها الملكة الشرقية في مصر التي هي بحاجة إلىٰ ملك الروم أنطونيو ، مصر البلد الشرقي الذىٰ اهتم بذكره شكسبير مراراً وتكراراً في مسرحية أنطونيو وكيلوباترا ، بسبب الشخصية الرئيسة في المسرحية ، شخصية كيلوباترا ، الملكة المصرية الجميلة ، لقد ذُكِرت مصر أكثر من ثلاثين مرة في هذه المسرحية بأنها بلادالسحر والجمال ، بلاد النيــل ، بـلاد الخيرات والثمار والمزروعات ، بلاد اللهو والملذات ، بلاد الغناء والطرب . ولم يرد ذكر لأهل مصر المسلمين وحضارة الإسلام ، بل علىٰ العكس ذكر المصريون بأنهم أغبياء [٢] ، وأرواحهم مزيفه[٣] ، والحياة في مصر غير آمنة . . إلخ[٤] .

وبنفس هذه الروح يذكر شكسبير في مسرحية حلم منتصف ليل بلاد الهند واصفاً إياها بأنها بلاد المغامرات ، بلاد الأرواح والأشباح والجن والأطياف[٥] . وأنها مصدر للقوىٰ البشرية من الخدم والحشم [٦] ، كما قال في مسرحية هنري الثامن [٧] . هذا هو مفهوم الشرق عند شكسبير .

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول ، المشهد الخامس ، ص ١١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الثالث ، ص ١١٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، الفصل الرابع ، المشهد الثاني عشر ، ص ١١٧٩ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ص ٢٠٣ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، الفصل الثاني ، المشهد السادس ، ص ٦٧٩ .

(٧) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الثالث ، ص ١٧ .

وهكذا فعل شكسبير عندما تحدث عن العرب والجزيرة العربية في ثمانية مواطن في مسرحياته : العاصفة ، وتاجر البندقية ، وكرولانيوس ، ومكبث ، وأنطونيو وكيلوباترا ، وعطيل ؛ ففي مسرحية العاصفة يتحدث شكسبير عن الشجرة الوحيدة المشهورة في بلاد العرب ، ولعله يقصد بذلك النخلة ، كما يذكر شكسبير أشهر الطيور وهو طائر الفينق أو طائر العنقاء المنقرض ، وكرر هذا الذكر في مسرحيات عطيل ، وأنطونيو ، وكيلوباترا ، وسمبلين . كما تحدث شكسبير عن القبائل العربية وضراوتها في القتال والحرب في صورة مجازية في مسرحية كرولاينوس . وأشار إلى العطور والطيب في بلاد العرب في مسرحية كرولاينوس . وأشار إلى العطور والطيب في بلاد العرب في مسرحية مكبث . وإننا نورد بعض الأمثلة لذلك . فيقول شكسبير في مسرحية العاصفة :

يوجد وحيد القرن، وفي بلاد العرب
توجد شجرة واحدة ، ومملكة الفينق (العنقاء)
فينق واحد[1] .

هكذا تذكر طيور وأشجار بلاد العرب ، ويضرب بها المثل لندرة الشيء وتفرده ، كما تحدث أغريبا Agrippa عن أنطونيو في مسرحية أنطونيو وكيلوباترا ، واصفاً إياه بقوله : أنطونيو ، آه إنه طائر فينق بلاد العرب[2] ،

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الثاني ، ص ١١٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الثاني ص ١١٧٢ .

ومرة أخرىٰ تذكر أشجار بلاد العرب وبالأخص شجر الصمغ والعلك (اللبان) التي أوردها شكسبير في مسرحية عطيل :

عليكم عندها أن تتحدثوا
عن رجل لم يعقل في حبه، ولكنه أسرف فيه
رجل ليس حاضر الريبة ، ولكن إذا أثير
وقع في أشد التخبط ، رجل رمىٰ عنه بيده
(كهندي غبي جاهل) لؤلؤة
أثمن وأنفس من عشيرته كلها . رجل إذا انفعل
ذرفت عيناه الدموع سراعاً كما تذرف أشجار العرب
صمغها الشافي(١) .

ولئن ذكر الصمغ، ومنه أنواع الطيب الذي يبعث روائح زكية عندما يوضع علىٰ الجمر، فإن شكسبير يمضي ليتحدث عن العطور في الجزيرة العربية في مسرحية مكبث، عندما أدركت زوجة مكبث عظم الذنب وجلل الخطب، بعد أن قتلت الملك دنكن. فقالت في ألم شديد :

لازالت هنا رائحه الدم : التي لا تطيبها
(ولا تغسلها) كل عطور بلاد العرب
وتزيلها من هذه اليد الصغرىٰ(٢) .

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الخامس المشهد الأول ، ص ١٠٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد السادس ، ص ١١٧٥ .

وفي حديث طويل بين قيصر وأخته أوكتافيس أو أوكتافيا Octavius في مسرحية أنطونيو وكيلوباترا، يشرح قيصر لها كيف أن مارك أنطونيوس حرض عليه كثيراً من ملوك الأرض، مثل باخوس ملك ليبيا، وهيرو دوس ملك اليهودية، وذكر من ضمنهم ملخوس ملك الجزيرة العربية [١].

هذه نماذج لذكر مظاهر الجوانب المادية في حضارة العرب وتراثهم عند شكسبير، قد صاحبها إغفال تام لذكر الجوانب الروحية عنها، ومع أن جزيرة العرب ظهرت فيها بعض الرسالات السماوية التي سبقت ظهور اليهودية والمسيحية، فإن شكسبير بنظرته الفوقية واستعلائه، أغفل كذلك هذه الرسالات، ولم يشر إليها، مع أنها لم تكن تناهض المسيحية. وعندما يذكر شكسبير الإسلام، ويتحدث عنه، فإنه يصوره بكثير من السخرية والازدراء والتهكم، خصوصاً عندما يتحدث عن حضارة الإسلام رسالةً ونبوة، عقيدةً وشريعة، أمةً وحكاماً، مقارناً إياه بالحديث عن المسيحية والمسيحيين، وعن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وعن ملوك النصارىٰ. ومن أمثلة ذلك: مدينة بيت المقدس، تلك المدينة الشرقية التي تقع في قلب الشرق، ذكرها شكسبير عشر مرات في بعض مسرحياته، مثل مسرحية الملك جون، ومسرحيتي هنري الرابع وهنري السادس، مرتبطة بأحداث تاريخية.

وما من شك أن بيت المقدس هو القبلة الأولىٰ للمسلمين ومسرىٰ

---

(١) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد السادس، ص ١١٧٥.

الرسول الكريم سيدنا وإمامنا محمد ﷺ ، والآيات والأحاديث الكريمة في هذا الشأن كثيرة جداً من ذلك قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ۝١ ﴾[1] .

والمسجد الأقصىٰ وأرض فلسطين أرض نور ، وأرض النبوات والأنبياء ، وأرض الخيرات والبركات . وأهمية بيت المقدس ترجع - كما هو معلوم - إلىٰ أسباب دينية ؛ فهناك صدع كثير من أنبياء الله ورسله بالدعوة إلىٰ دين الله ، ومنهم عيسىٰ بن مريم عليه السلام ، الذي بعث فيها بالنصرانية رسولاً ونبياً . وترتبط أهمية بيت المقدس بالدين الإسلامي من حيث إنها كانت قبلة المسلمين الأولىٰ في صلواتهم الخمس ، فلقد أمر الرسول ﷺ عندما هاجر إلىٰ المدينة المنورة أن يستقبل بيت المقدس ، واستمر الحال كذلك مدة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً[2] ، بعدها نزل قوله سبحانه وتعالىٰ علىٰ رسوله الكريم في تحويل القبلة : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ**

---

(١) سورة الإسراء ، الآيه ١ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ٧ ١٩٧١م ، ج ١ ، ج١ ، ص ١٧٣ .

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ [١].

وأكبر دليل على الأهمية الدينية لبيت المقدس خصوصاً، وفلسطين عموماً، ما كان من أمر الحروب الصليبية وبواعثها، التي دفعت أوربا إلى مقاتلة المسلمين في العصور الوسطى، والتي انتهت إلى حروب عسكرية، ومن ثم إلى حروب فكرية انتهت آخر الأمر بإنشاء دولة إسرائيل بعرض مشروع تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتم إقراره، وقامت الدولة اليهودية في عام ١٩٤٨م بناء على وعد بلفور لليهود في عام ١٩١٧م. وبسبب هذه الأهمية الدينية نشأت اهتمامات أخرى بفلسطين وبيت المقدس، فكانت مثار اهتمام الاقتصاديين، والسياسيين، والعلماء، والجغرافيين، بل ورجال الأدب، ففي الأدب العالمي نكاد لا نجد أدباً من الآداب إلا وبه قصيدة منظومة، أو قصة منثورة تتحدث عن فلسطين وبيت المقدس [٢].

وكما بينا آنفاً بأن شكسبير ذكر بيت المقدس عشر مرات في مسرحياته، فهي بالنسبة له، كما هي بالنسبة لجميع النصارى، ملتقى القلوب ومهوى

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) راجع في هذا موضوع مقال «القدس في الشعر الإنجليزي والعربي» كتاب مطالعات في الأدب المقارن لعدنان محمد وزان، جامعة أم القرى، مكه المكرمة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الأفئدة، هكذا تقول الملكة مارجريت في مسرحية هنري السادس :

« هكذا نفترق بحزن في هذا العالم المضطرب .

لنلتقي بفرح وسرور في القدس الجميلة [١]

وحديث الملكة ماجريت ساقه شكسبير بعد أن أشار في أكثر من مكان من المسرحية نفسها إلىٰ أن هذه الملكة هي ابنة رينيه ملك نابولي وصقليه والقدس[٢]، وبيّن شكسبير حقها في الملك ويجب أن تتوج ملكةً علىٰ هذه الأماكن بما فيها إنجلترا؛ حيث يقرأ كلوستر ما يلي : « هذا نص المعاهدة : لقد تم الاتفاق بين ملك فرنسا شارل، وبين وليم بول مركيز سوفولك ، سفير هنري ملك إنجلترا ، علىٰ اقتران هذا الملك بالسيدة مارجريت ابنة رينيه ملك نابولي وصقلية والقدس ، وأن يتوجها ملكة علىٰ إنجلترا قبل الثلاثين من الشهر القادم ، وأن يتم الجلاء عن دوقية أنجو وكونتيه ماين وأن يسلمها إليها »[٣] .

وفي صورة أخرىٰ تعكس أهمية القدس عند النصارىٰ، ما ذكره الملك هنري الرابع لوزرائه وقواده وأعوانه من أهمية الحد من مشاريعه المقدسة إلىٰ بيت المقدس، حتىٰ يفرغ من قتال أعدائه من حوله ، وبهذا يسمي الملك

---

(١) انظر : Peter Alexander, William Shakespeare, The Complete Works. P697 .

(٢) المرجع السابق ، ج١ ، الفصل الخامس، المشهد الرابع ، ص ٦٢١ .

(٣) المرجع السابق، ج٢ ، الفصل الأول، المشهد الأول ص ٦٢٤ .

هنري أعماله نحو بيت المقدس أعمالاً مقدسة[١]، بل ويتمنىٰ أن يموت فيها حيث قال : «أشكر الله فلا بد لأقضىٰ نحبي هناك ، إذ إنه قبل سنوات تنبأ لي أنه يجب أن أموت في بيت المقدس»[٢]. وترتبط أهمية بيت المقدس الروحية عند شكسبير بالحروب الصليبية والفكر النصراني، حيث تحدث عن الملك ريتشارد قلب الأسد بكل فخر واعتزاز وتعظيم وتمجيد، (ولاغرابة في ذلك، فهو إنجليزي مسيحي)، فيما يزيد عن مائة موضع في بعض مسرحياته التاريخية، مثل : الملك جون ، وريتشارد الثاني ، وهنري الرابع، وهنري الخامس ، وهنري السادس ، وريتشارد الثالث ، وهنري الثامن ، وكذلك في مسرحية كوميدية واحدة هي ترويض الشرسة، والتي فيها يصف شكسبير الملك ريتشارد بالفاتح في حديث بين سلاي والنادلة :

سلاي : (بصوت مخمور) قسماً بشرفي سأقتص منك

النادلة : إذهب إلىٰ الجحيم ، أيها المتشرد

سلاي : يالك من سافلة إن اسرة سلاي

ليست من المتشردين ، اطلعي علىٰ الأخبار ،

تجدي أننا جئنا بمعية ريتشارد الفاتح[٣].

إن شجاعة الملك ريتشارد لا تكاد تضارع، فهو قوي صلد، قد وصف

---

(١) المرجع السابق ج١ ، الفصل الأول ، المشهد الأول ، ص ٤٨١ .

(٢) المرجع السابق ج٢ ، الفصل الخامس . المشهد الأول ، ص ٥٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، الفصل الأول ، المشهد الأول ص ٢٨٤ .

بقلب الأسد؛ لأنه انتزع من الأسد قلبه، رغم وحشية هذا الحيوان المفترس، هكذا صوّره شكسبير وهذا ما يقوله لويس في حديث له مع آرثر دوق مقاطعة بريتوني :

لويس : أنا سعيد بمقابلتلك أمام أسوار أنجيه أيُّها
النمساوي الشجاع ، وأنت ياآرثر يا من تشبه سلفك الكبير .
ريتشارد، الذي انتزع قلب الأسد ، وخاض غمار الحروب
المقدسة في الشرق »[1].

وعن الحروب المقدسة يتحدث شكسبير من خلال شخصية من شخصيات مسرحية ريتشارد الثاني ، منددا بالإسلام والمسلمين، متهكما ساخرا بصورة غير مباشرة بالنبي محمد ﷺ وبدين الإسلام، فيقول جون غان حاكم مقاطعة لانكستر :

غان : يخيل إلى أن نبياً نزل عليه الوحي بغتة وها أنا ذا على وشك
بلوغ أجلي . . هكذا أباطيل الدنيا التافهة ولكن ما أغرب
عرش هذا الملك العظيم الشأن، وما أروع صولجانه الفريد ،
فهو كالحصن المنيع الذي شيدته الطبيعة نحتمي فيه من غدر
الزمان ، ومن ويلات الحروب التي يشنها البشر المتوسعون
في هذا الكون غير المحدود، وفي هذا المكان المقدس القائم
على أرض مباركة هذه الدولة الكبيرة المسماة إنجلترا، هذه

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ص ٤١٧ .

المرضع الحنون والأم الرؤوم ، التي أنجبت ملوكاً امتازوا بالعظمة والمقدرة على مر العصور ، وفاخروا بعراقة نسبهم في الدفاع عن الحق بشهامة وفروسية حين وصلت منجزاتهم الشهيرة إلى أرض الشرق والقبر المقدس الذي شاءت أن تحميه من عوادي الزمان »[١].

ومن الحديث غير المباشر عن الرسول ﷺ وعن الإسلام والمسلمين ، ينتقل شكسبير لازدراء النبي عليه الصلاة والسلام مباشرة في ثلاثة مواطن من مسرحياته : الأول حين ورد اسم النبي ﷺ هكذا MAHOMET في مسرحية هنري السادس ، والثاني : حين ورد اسمه ﷺ هكذا MOMMET في مسرحية روميو وجوليت ، وأخيراً : حين كتب اسم الرسول عليه الصلاة والسلام هكذا MAMMETS في مسرحية هنري الرابع ، والمطلع على معجم أكسفورد الطبعة المكثفة الجزء الأول منه ، وتحت كلمة محمد يجد ما يزيد عن ثلاثين اشتقاقاً لهذه الكلمة منها : ,MAKAMEDE MAKOMEDE, MAMMAD, MAHOMED, MAMKOMEDE, MAHOUN .. إلخ ، وكلها تشير إلى اسم الرسول ﷺ ، ولكنها تحمل معاني سلبية ، بمعنى الشيطان ، والصنم ، والدمية ، والفاسق ، نبي الوثنية ، نبي الأصنام ، الساحر ، الكاهن ، وما إلى ذلك من المعاني الفاسدة[٢] ، وتعدد الألفاظ

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ص ٤٥٤ .

(٢) انظر : The Compact Edition of the Oxford English Dictionary , Vol1,p.1747.

لاسم النبي يبين جهل النصارى بالنطق الصحيح، فضلاً عن المعرفة الصحيحة الحقيقية لهذا النبي ولدين الإسلام، وهذا دليل جهل أعداء الإسلام بشكله ومضمونه.

وفي حديث الزواج بين كابوليت والد جوليت وبحضور أمها، يتحدث عن ابنته التي ترفض كل رجل مناسب، فيبدي كابوليت غضبه من ابنته، وأنها إن لم تقبل الزواج بأحد من تقدم لها من الشبان، سيحرمها من البقاء معه في البيت، وأنها يجب أن تذهب إلى محمد الشيطان.

كابوليت: «سأصبح يوماً ما مجنوناً ليلاً ونهاراً؛ لأن همي الوحيد هو أن أزوجها، وبعد أن وجدت الرجل المناسب ومن سلالة شريفة، له أملاك كثيرة، وأموال كبيرة كله حسنات، لا سيئات فيه، تتمناه كل بنت، فنراها عندما يتقدم أحد لخطبتها ترفض وتقول: «لا أريد الزواج، ولا أعرف الحب وما زلت صغيرة، أرجو مسامحتي». سترين كيف أسامحك اذهبي حيثما شئت، فلن تسكني معي. إن كنت بنتي فسأعطيك لصديقي، وإلا فمع الشيطان محمد، فلا أعرفك»[1].

وهكذا فعل شكسبير في مسرحية هنري الرابع، تلك المسرحية التي يتحدث فيها (هو تسبر) أحد مناوئي الملك في خضم المعركة الحربية ضد الملك، معبراً عن حبه لوطنه، وأنه لا مجال للعبث واللهو واللعب، كما

---

(١) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد الخامس، ص ٩٢٨.

يعبث المسلم بإلهه محمد، فيقول :

« كفى يامحتالة، أنت تريدين أن أبقى على حبك ،
وأنا لم أعد أحبك؛ لأنني لم أعد أهتم بك
ياكايْت ، لقد مضى الوقت الذي كنت فيه تتلهين
بي ، كالدمية كما يتلهى المسلم بإلهه محمد »[1].

إن شكسبير يظن أن النبي محمداً ﷺ هو إله المسلمين، وهو إله للهو والتهريج، وأن المسلم يحب أن يلهو بذلك المعبود ، وفي صورة مناقضة لما سبق، نجد شكسبير يتحدث عن النبي محمد ﷺ على أنه نبي يدعي النبوة ، ولكن لا صدق لنبوته وأنه يتلقى الوحي من لدن حمامة درّبها محمد ﷺ لتأكل الحب من فوق أذنيه، أو من فوق رأسه ، ثم بعد ذلك يعرض على الناس تلك الحمامة، ويخبرهم بأنها هي روح القدس الذي يتلقى منه الوحي، الذي يأتيه من السماء ، وأثناء حصار الملك هنري، ينادي الأمير تشارلز القوم وما يأتيه من أوامر من الملك المحاصر فيقول متهكماً وساخراً بالرسول ﷺ :

« لئن كانت الحمامة توحي إلى محمد
فليوحي إليكم النسّر أيها القوم »[2].

(١) المرجع السابق ، ج١ الفصل الثاني ، المشهد الثالث ص ٤٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج١ ، الفصل الأول ، المشهد الثاني ، ص ٥٩٣ .

وكما تعرض شكسبير إلىٰ النبي ﷺ، وتهجم عليه وسخر منه، وتهكم به، فقد كان ذلك فعله في الإساءة إلىٰ المسلمين، الذي استخدم لهم لفظ Moor, ولفظ Turks، يعني: المسلمين. وكلمة إسلام أو لفظ مسلمين لم يستخدمها شكسبير في أية مسرحية من مسرحياته علىٰ الإطلاق، لأن الإسلام والمسلمين عند اليهود والنصارىٰ كانوا يوصفون بادئ ذي بدء بالوثنيين، فكان يطلق عليهم لفظ Pagans أو لفظ Heathens، لأنهم ليسوا علىٰ دين النصارىٰ ثم تطور الأمر، فأصبح يطلق عليهم الشركسيين Circassian، أو الشرقيين Sarrasyns, Sarazin, Saracens، وبعد ذلك تدوول مصطلح المغاربة The Moors، ثم استخدم لفظ الأتراك أو العثمانيين The Turks, The Ottomans، وكذلك استخدم لفظ العرب The Arabs ويقصد بها المسلمين، إلىٰ أن شاع في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين استخدام كلمة إسلام Islam ومسلم Moslem أو Muslim، وهذا الخلط في اختيار لفظ واحد يعني الإسلام، يدل علىٰ جهل الغربيين بحقيقة الإسلام الذي ينسبونه أحياناً إلىٰ قومية من القوميات الإسلامية، فيعبر عنهم بلفظ الأتراك أو العرب أو التتار.. إلخ، أو ينسبونه في أحيان أخرىٰ إلىٰ جهة جغرافية أو بلد ما، كقولهم: جزيرة العرب، أو بلاد العثمانيين، وهكذا يتضح لنا كيف أن شكسبير مثله مثل غيره من قومه النصارىٰ، استخدم ألفاظ الأتراك والمغاربة والعثمانيين ليعنىٰ بها الإسلام، اتباعاً لما أملته عليهم تعاليم الكنيسة حينذاك لمحو مسمىٰ الإسلام ربما.

إن أصل كلمة Moor موجود في الحكايه الإيطالية بعنوان (مئة حكاية) للكاتب الإيطالي جيرالدي تشينتو، المنشورة عام ١٥٦٥م ، وفيها يرد ذكر عطيل المغربي بلفظ Moro الذي استقى شكسبير منه موضوع مسرحيته عطيل المغربي The Moor ، ولا يخفى أن إنجلترا حاولت منذ زمن بعيد قبل شكسبير تأسيس علاقات تجارية ودبلوماسية مع المغرب بواسطة التجار والرحالة الإنجليز، الذين استهواهم المغرب بجوه وخيراته وشجاعة أهله ، ذلك أن الملكة إليزابيث الأولى أقامت منذ عام ١٥٧٧م علاقات دبلوماسية مع المغرب، فعينت Edmond Hogan سفيراً لدى السلطان عبد الملك السعدي، وقد سبق ذلك أول بعثة دبلوماسية عام ١٢١١م وفدت باسم الملك جون تلتمس عون الملك المغربي محمد الناصر ، لهذا كله لا يستغرب أن يهتم شكسبير ببلاد المغرب ، خصوصاً أنه كانت تتردد في كثير من الأوساط الاجتماعية كلمة بربري Barbar ، وكلمة مغربي Maure أو Moor لتعني المسلمين. ولقد استلهم شكسبير ثلاث شخصيات في مسرحياته من المغرب : عطيل في مسرحية (عطيل) ، ومغربي البندقية أمير مراكش في مسرحية (تاجر البندقية)، وهارون في مسرحية (تيتوس اندرونيكوس)[1]، لقد ورد ذكر كلمة مغربي أكثر من سبعين مرة في جملة من مسرحياته.

---

(١) محمد عزيز الحبابي ، شمولية وليام شكسبير ، الأكاديمية ، مجلة أكاديميه المملكة المغربية ، العدد ٨ ، ديسمبر ١٩٩١م ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

إن شكسبير يصف المغربي بأنه ملحد لا ديني وبربري، ففي حديث لوسيوس إلى عمه عن هارون المغربي السجين في مسرحية تيتوس اندرونيكوس يقول : « عماه ، ضع هذا المغربي البربري، هذا النمر المفترس بل هذا الشيطان الرجيم في مكان آمن »[١].

وكذلك نلاحظ في حديث طويل لمرقس في نفس المسرحية وصف المغربي بأنه لا ديني، حيث قال :

« انظروا إلى هذا الطفل ، لقد ولدته تامورا
من صلب المغربي الملحد البربري الخسيس
الذي سبب كل هذه الشرور، إنه لئيم وقح[٢] » .

ويستطرد مرقس في كيل أسوأ الأوصاف لذلك المغربي، ومنها وصفه بالكفر، فيقول :

« أحييك يا لوسيوس يا إمبراطورنا الودود
اذهبوا إلى منزل تيتوس الحزين، وأجلبوا البربري المغربي
الكافر الحقير إلى هنا ليحكم عليه بأشنع
ميتة عقاباً له »[٣] .

---

(١) انظر : Peter Alexander , William Shakespeare : The Complete Works P.898.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠٠ .

(٣) المرجع السابق.

وفي مسرحية تاجر البندقية، يصف شكسبير المغربي وكأنه طفل إلى جانب أترابه من النصارى، الذين يفوقونه ويتميزون عنه في الدين والفكر والشجاعة والنضج. إن صورة المغربي تتجلى واضحة في مسرحية عطيل، تلك المسرحية التي تحمل في عنوانها اسم عطيل المغربي الشخصية الرئيسة التي يعتز بها الغربيون؛ لما فيها من شجاعة وقوة ورباطة جأش، هذه السجايا والمزايا التي أغرت الإنجليز في إقامة صلات مع المغرب كما أسلفنا واستفاد من ذلك شكسبير ليصور المغربي في ثنايا مسرحياته. إن مسرحية عطيل حفلت بما يزيد عن خمسين إشارة إلى المغربي، ومعظم تلك الإشارات تنطلق من مشاعر البغض والكراهية في نفس ياغو النصراني نحو ذلك المغربي، وبها افتتح شكسبير أحداث المسرحية في الحديث الذي كان يدور بين رودريغو وياغو وفيها يعبر ياغو، عن مشاعره قائلاً :

« احتقرني وأنا أكرهه . . وأنا وحق الإيمان
أعرف قدر نفسي، ولا أستحق منزلة أقل، غير أنه
كمن يعشق خيلاءه ومراميه يرواغهم بطَنَّان الألفاظ،
وقد حشاها بمصطلحات الحرب حشواً ولم يجعلني
من ضباطه . . وأنا الذي رأى امتحاني بأم عينيه
في رودس وفي قبرص وفي مضامير أخرى
مسيحية ووثنية (الوثنية إشارة إلى الإسلام) يجب أن
أحجب ويصبح كاسيو هو ملازمه وأصبح

أنا حامل علم سيادته المغربية
والله كنت أفضل أن أكون جلادة »[١].

بهذه الأحاسيس وبهذه المشاعر تبدأ قصة مسرحية عطيل وأحداثها تعكس تلك الصورة المقارنة في كره الغربي للشرقي أو النصراني للمسلم، تتمثل في عداوة ياغو البالغه لعطيل (بالرغم من أن شكسبير صور عطيل علىٰ أنه مسلم اعتنق المسيحية، وتمسك بها كثيراً، ودافع عنها وحارب الإسلام، وما كره ياغو لعطيل ـ بالرغم من أنه اعتنق المسيحية ـ إلا بما هو عليه شعور النصارىٰ في الغرب، ونظرتهم إلىٰ النصارىٰ في الشرق من حيث اللون والجنس، فهم أقل درجة فهم)، وهي صورة واضحة، تعكس ما تُكِنُّه صدور المسيحيين للمسلمين (وإن تنصروا)، متجسدة في أفعال ياغو وأقواله، وهو ما تكشفه لنا هذه المقاطع من الحوار في مسرحية عطيل :

ياغو : « رغم أني أكرهه كما أكره آلام الجحيم، لا بد لي
لضرورة عيشي الراهن أن ارفع
علم الحب وإشارة له »[٢].

لقد تكررت مشاعر الكره والبغض مرات عديدة من قبل ياغو وهاهو ذا يؤكد ذلك حيث يقول لرود ريغو :

« لقد قلتها لك مراراً، وأعيد قولها مرة بعد أخرىٰ

(١) المرجع السابق، الفصل الأول المشهد الأول، ص ١١١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١١٦ .

إنني أكره المغربي ، قضيتي عميقه في
قلبي وقضيتك لها أسباب ، فلنتآزر في
انتقامنا منه » [١] .

ويستطرد ياغو ليتحدث عن عطيل وفكرة الانتقام منه واسباب ذلك ، وقد وصف المغربي بأنه حمار رقيع ، وذلك عندما كان يتحدث عن حبه لدزديمونه التي أحبها عطيل :

« والآن فأنا أيضاً أحبها ، لا لشهوة مني مطلقة ، ولكن
لبعض من سبب يحدوني إلىٰ تغذية انتقامي ، لأنني أشتبه
في المغربي الفحل الذي قفز إلىٰ مكاني ، وهذه الفكرة تقرض
أحشائي كمعدن سام ، ولن يريح نفسي شيء حتىٰ أنتقم
منه وإنني سأدفع المغربي إلىٰ غيرة عاتية لا يشفيه منها
حكم أو عقل ، وسأجعل المغربي يشكرني ويحبني ويكافئني
علىٰ جعلي منه (المغربي) حماراً رقيعاً » [٢] .

ياغو بشره وبغضه ودناءته ووشايته ، استحمر المغربي ، ووصفه بأنه نذل وغدٌ لئيم قاسٍ ، وأنه عبد لعين بليد[٣] ، أوقع دزديمونه في حبه كما يقول ياغو :

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول المشهد الثالث ، ص ١١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، الفصل الخامس ، المشهد الثاني ، ص ١١٥٢ .

« لاحظ العنف الذي عشقت به المغربي
لا لشيء الا لتبجحه وروايته لها غرائب الأكاذيب
وهل ستعشقه عند الفراق إلىٰ الأبد ؟ من قلبك
الفطين عن ظن كهذا . لا بُدَّ لعينها من أن تطعم المتعة وأي متعة ؟
ألها رغبة في النظر إلىٰ شيطان ؟ عندما يبلد الدم بفعل المجون ، لا
بد له من معرفة عدم التجانس من الجمال والتقاليد والعادات
والمفاتن . وهذه كلها تعوز المغربي ، وحين تفتقد هذه
الانسجامات ، فإنها ستجد برهافتها ورقتها أنها خدعت ، فتصاب
بالغثيان ، وتمج المغربي وتمتعه »[(١)].

وبهذا الأسلوب الشرير كان ياغو يدبر المكائد والدسائس ضد عطيل ، ليظهر أنه من جنس بشري مختلف ، بل ومن دين مختلف ؛ لأنه يرىٰ أن المغاربه متقلبون في أهوائهم[(٢)] ، وأنهم يتركون دينهم بسبب متاع الدنيا ، فيقول :

« إن دزديمونه العطوف خلقت سخية
وإذا أرادت أن تكسب المغربي حتىٰ
لو أرادت أن يكفر بمعبوده وبكل أختام
ورموز الخطيئة المفتداه ، فإنه سيفعل

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الأول ، ص ١٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، الفصل الأول ، المشهد الثالث ، ١١٢١ .

إذ يلعب مشتهاها دور الإله[١].

ولإظهار سوء خلق المغربي وسوء سلوكه ودينه، فإن عطيل يصور على أنه لا يحسن إكرام المرأة والإحسان إليها، وهي التهمة التي طالما أُلصقت بالإسلام والمسلمين زوراً وبهتاناً.

لودوفيكو : أهذا هو المغربي النبيل الذي يصفه شيوخنا جميعاً بالقدرة في كل شيء؟ أهذه هي الطبيعة التي لا تزعزها عاطفة؟ والتي في قوة رسوخها مالا يخرقه سهم الصدفة، ولا تخدشه رصاصة الحدث؟

ياغــــو : لقد تغير كثيراً.

لودوفيكو : هل قواه سليمة؟ أليس في عقله خفة؟

ياغــــو : هو ما هو، ولا يجوز لي أن أتنفس برأيي أما يمكن أن يكون إذا لم يكن ما يمكن أن يكون فليته يكونه؟

لودوفيكو : ماذا، أيضرب زوجته؟

ياغــــو : حقاً لقا أساء فعلاً بذلك، ولكن ليتني أوقن أن تلك الضربة هي أسوأ ما سيفعل!»[٢].

وهكذا يتضح كيف أن المغربي في نظر الغربي هو كما وصف من البلادة والقسوة والجبروت والإلحاد، كل ذلك يكفي لمحاربته وقتله

---

(١) المرجع السابق، الفصل الثالث، المشهد الأول، ص ١١٢٩ - ١١٣٠.

(٢) المرجع السابق، الفصل الرابع، المشهد الأول، ص ١١٤٢.

وحبسه، وهذا ما انتهت إليه مسرحية عطيل من طرد عطيل والحجز على أمواله [١].

ولعل قائلاً يقول: إن شكسبير كان متعاطفاً مع عطيل كما يظهر في أحداث المسرحية، هذا صحيح ولكن التعاطف نظنه ينطلق من بعد فني في رسم شكسبير لشخصية عطيل بأنه بطل شجاع وفارس مغوار، ومخلص أمين، وهذا يلزم التعاطف معه، ولكن العقدة تظل في لون عطيل وأصله وجنسه. وهكذا فعلت قريش مع النبي محمد ﷺ الذي عرفت صدقه وأمانته، ولكنها كذبت رسالته ونبوته، والقياس مع الفارق.

هذه النماذج من الإشارات التي وردت عن المغاربة في ثنايا بعض مسرحيات شكسبير، وفيها أحياناً أنَّ المغربي مسلم، وأحياناً أنَّ المغربي بربري، وأحياناً أنَّ المغربي إنسان عربي. ومهما يكن من أمر، فإن صورة استعلاء الإنسان الأبيض والنصراني على غيره تنعكس واضحة في مسرحيات شكسبير، والتي تظهر جلية فيما سيأتي من أمثله تشير إلى المسلمين بلفظ الأتراك أو العثمانيين. وهذا حديث الدوق إلى عطيل، في مسرحية عطيل حيث يخاطبه قائلاً:

«عطيل الباسل! علينا في الحال أن نستخدمك ضد العدو العثماني، عدو الجميع» [٢].

---

(١) المرجع السابق، الفصل الخامس، المشهد الثاني، ص ١١٥٤.

(٢) المرجع السابق، الفصل الأول، المشهد الثالث، ص ١١١٨.

هنا عبارة صريحة من الدوق المسيحي الذي يظهر العداوة للمسلمين ، وكذلك استعمال لفظ (نستخدمك)، تدل على أن عطيل ليس بمسيحي، وإنما يُراد استخدامه لمقاتلة المسلمين لشجاعته وبسالته فحسب ، ومن مفهوم العداوة للمسلمين وللإسلام، ومن هذا المنطلق، نجد شكسبير حشد في شتى مسرحياته التاريخية والمأساوية والهزلية كثيراً من عبارات السخرية والتهكم والإساءة والانتقاص من الاسلام والمسلمين، فيما يزيد عن أربعين مرة تحت لفظ تركي وأتراك . . إلخ . وقد جاء ذلك في عدد من المسرحيات، ومنها : زوجات وندزر المرحات ، وكما تحب ، والعبرة بالخواتيم ، وجعجعة بدون طحن ، وتاجر البندقية ، وكوميديا الأخطاء ، وهنري الرابع ، وهنري الخامس ، وهنري السادس ، وريتشارد الثاني ، وريتشارد الثالث ، ومكبث ، والملك لير ، وعطيل ، وهاملت . وكما أشرنا سابقاً، فإن شكسبير قرر سلفاً أن العثمانيين أعداء النصارى جميعاً ، فهم في نظره كذلك عندما يتحدث عن شخصية المسلم، الذي يعبر عنه بالتركي، فهو يصفه بأسوء النعوت، ويلقبه بأشنع الألقاب ، فالذي يتغير في سلوكه وأسلوب معاملته هو صاحب المزاج المتقلب، مثل التركي المسلم ، وقد خاطبت مارغريت بياتريس في مسرحية جعجعة بدون طحن، حيث قالت :

« أرجو ألا تكون تحولت إلى تركي

فليس ثمه مجال للإبحار في غياب النجوم »[1] .

---

(١)المرجع السابق ، الفصل الثالث ، المشهد الرابع ، ص ١٥٣ .

ولا يكفي أن يكون التركي متقلب المزاج ، بل إنه عنيد يتحدىٰ الناس ، وعلىٰ الأخص النصارىٰ ، ويتضح ذلك في مسرحية (كما تحب)، حينما كانت روزالند تتحدث إلىٰ سيلفياس :

روزالند : إنها كانت تلبس قفازها العتيق

ومهما يكن من شيء ، فقد كانت يدها مثل يد ربة منزل ،

بيد أن هذا لا يهم ، والذي أقوله : هو أنها لم تنشىء هذه

الرسالة أصلاً ، وإنما أنشأها رجل وخطَّها بيده

سيلفياس : بل هي علىٰ التحقيق من صنعها

روزالند : أسلوب من يرمي القفاز ويتحدىٰ . . عجباً !

إنها تتحداني كما يتحدىٰ التركي المسيحي »[1] .

وينبعث تحدي المسلم التركي من جبروته وتسلطه واستبداده وقسوته ، وأسلوبه العنيف في معاملة الناس ، كما صوره شكسبير في مسرحية (العبرة بالخواتيم)، وفي المشهد الذي كان يتحدث فيه ملك فرنسا إلىٰ هيلانة مرافقة الكونيس ، وطلب منها أن تختار من الشبان النبلاء في بلاطه ليتزوجها ، وأنه لا أحد منهم يرفضها ، لما له من فضل أبوي عليهم ، ولكن الجميع رفضوا ذلك ، فصاح لافو الرجل العجوز قائلاً باستنكار :

« هل رفضها الجميع ؟ لو كانوا أبنائي لأمرت بجلدهم

بالسياط ، ولأرسلتهم إلىٰ التركي المستبد

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الرابع المشهد الثالث ، ص ٢٧٧ .

ليجعل منهم خصيانا »[١].

وفي صورة مقارنة عن قسوة قلوب اليهود والمسلمين، وأنها أشبه ما تكون بقلوب قُدَّتْ من الصخر أو النحاس، نجد الدوق في المشهد الخاص بالمحاكمة في مسرحية تاجر البندقية يصف شايلوك وقسوته، وأنها أشد قسوة من الترك والتتار، فيقول :

« إن الناس كلهم يظنون ياشيلوك ـ وأنا معهم ـ في
ذلك أيضاً، إن كل ما تريده هو أن تمضي في هذا الضرب
من الحقد البغيض حتى آخر الشوط . . .
ولكن لعله ستأخذك الرحمة الإنسانية والعطف
وتلقي عليه نظرة لما أصابه من الخسائر الأخيرة الفادحة
التي أثقلت كاهله، فتعفيه من بعض المال، وهو
دين لو أصيب به أعظم التجار لأفلس واستدر من العطف
ما تلين له القلوب الصلبة كالنحاس والقلوب المتحجرة
كالصخر، إنه لخطب يؤثر حتى في نفوس التتار
والأتراك الأجلاف الجفاة القساة »[٢].

وبشيء من الاستعلاء والفوقية، يتحدث الملك هنري الرابع عن سمو البلاط الملكي المسيحي في إنجلترا، وما يتسم به من عدل وعطف، مقارنة

---

(١) المرجع السابق، الفصل الثاني، المشهد الثالث، ص ٣٢٦.

(٢) المرجع السابق، الفصل الرابع، المشسهد الأول، ص ٢٤٤.

بالبلاط العثماني الإسلامي، وذلك في حديثه مع القضاه والأعوان والحاشية.

كبير القضاة : عم صباحاً، حفظك الله ياصاحب الجلالة .

الملك : هذه الحلة الجديدة الرائعة لا تناسبني كثيراً

كما تظنون ياإخوتي أنتم تمزجون حزنكم ببعض المخاوف

هنا بلاط إنجلترا وليس بلاط بني عثمان

وأنا لا أشبه ذاك السلطان الذي حين تسنم

العرش قتل جميع إخوته ليتخلص من مزاحمتهم »[1].

وفي مسرحية هنري الخامس يتحدث الملك بكثير من الازدراء والانتقاص لبعض الشعائر الدينية والنظم الإدارية في بلاد المسلمين العثمانين، وذلك في حديث طويل أمام بعض الرسل الذين جاؤوا من قبل ولي العهد، فيقول:

« أدخلوا المرسلين القادمين من قبل ولي العهد ،

الآن أصبح لدي اطلاعٌ واسع على حقيقة الأمور، وبعون الله

وبمساندتكم أيها الرجال الأشداء تمسي فرنسا من

أرضي مملكتي، وتخضع لسلطتي وإلا قطعناها

إرباً إرباً . وسأتبوأ عرشها وأحكم اوسع امبراطورية

تتألف من فرنسا والمناطق التابعة لملكها . وإذا لم نفعل

(١) المرجع السابق ، ح٢ الفصل الخامس المشهد الثالث ، ص ٥٤٦ .

ذلك، اضطررنا إلىٰ التقهقر والتفتت علىٰ غير ما نرغب ونروم .

سيذكر التاريخ ما نشيده من صروح العز والفخامة، أو ما ندفن

فيه أشلاء قتلانا في قبور مهملة تضم عظامنا كحفرة

كبيرة صامته تشبه السلطنة العثمانية التي لا توثق

رسائلها بختم الشمع الأحمر، ولا تدفن موتاها في قبور مزهرة »[١].

وإمعاناً في السخرية والتهكم والتندر، نجد الملك هنري الخامس في المسرحية التي يحمل عنوانها اسمه، يتحدث مع كاترين أوكاتْيت معبراً لها عن حبه لها ورغبته في الزواج منها، وأمله أن يثمر هذا الزواج بإنجاب صبي نصفه فرنسي ونصفه إنجليزي، ليشبَّ في الفروسية ويغزو السلطان العثماني، وليسترد القسطنطينية :

« أنا واثق ياكاتْيت من حبك، لأني واثق بأني

غزوت فؤادك بشجاعتي العسكرية، ولا بد لك من أن تصبحي

في يوم قريب أمّ جنود مرموقين. أولا نستطيع أنا وأنت

بين القديسين دانيس وجاور جيوس أن ننجب صبياً

نصفه فرنسي ونصفه إنجليزي ، يمكنه أن يذهب بعيداً حتىٰ

القسطنطينية ليجر السلطان العثماني الكبير من لحيته

أوليس هذا ممكناً؟ ما قولك يازنبقتي الجميلة العطرة »[٢].

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الأول ، المشهد الثاني ، ص ٥٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الخامس ، المشهد الثاني ، ص ٥٨٦ .

ومن وصف الأتراك بالقسوة والجبروت والفوضىٰ والإهمال والعناد ، ينتقل شكسبير في مسرحية (ريتشارد الثالث) يصفهم بالخيانة؛ لأنهم وثنيون ملاحدة • فبعد أن اتهم الدوق بوكفكهام الدوق كلوستر بالخيانة أمام محافظ مدينة لندن ، نجد كلوستر يدافع عن نفسه وأمانته ونزاهته بأنه ليس خائناً مثل الأتراك الملاحدة، فيقول :

« هل تظن بأننا أتراك ملاحدة ؟

هل تعتبرنا خونة ؟ هل تعتقد بأن تصرفاتنا تخالف

القانون ، وأننا تسرعنا في إعدام هذا الشقي » [1].

ويؤكد شكسبير رأيه القاصر في مسرحية (ريتشارد الثاني) في وصف الأتراك بالكفر والإلحاد مظهراً علو النصرانية علىٰ لسان أسقف كارليل قائلاً : « كم مرة قاتل هذا المبعد نور فولك في سبيل عيسىٰ المسيح في ساحات معارك المسيحية الغراء، رافعاً الصليب المسيحي عالياً علىٰ رؤوس الأشهاد، مقاتلاً أولئك الوثنيين والأتراك والشراكسة والشرقيين المنبوذين»[2].

ليس الأتراك المسلمين كفرة وملاحدة، بل إنهم سفاكون للدماء، يهوون الحروب، ويكرهون السلام ، هذا ما يؤكده ـ بقول باطل ـ أسقف كارليل في البلاط الملكي أمام الملك ووزرائه وأعوانه، مؤكداً فوقية النصرانية

(١) المرجع السابق الفصل الثالث ، المشهد الخامس ، ص ٧٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الرابع ، المشهد الأول ، ص ٤٧٠ .

حيث قال:

« لقد قدر الله أن يوجد في هذا الجمع النبيل

رجل شجاع شهم أبي يسعه أن يحكم بالعدل

. . . التمس منك اللهم ان لا تسمح في منطقه

متمدنة متدينة تؤمن باسمك القدوس

بأن يسود روح الظلم البغيض والباطل الطاغي

. . . ذلك سيجعل الأجيال القادمة تئن في ضياع شاذ، وسيضيع السلام عن أجواء

هذه البلاد كما يضيع بين الأتراك والوثنيين »[1].

ولو نظرنا إلى المشهد الذي يجمع الساحرات الثلاث، وما احتواه القدر الكبير من مواد، لرأينا شكسبير يضيف إلى مكونات هذا القدر أنف تركي مسلم وشفتي تتري مع حراشف التنين . . إلخ، حيث تقول الساحرة:

« حراشف تنين وأنياب ذئب ومومميا ساحرة

كالقرنبيط ومن كرشه ضاربة بأجاجها جارية، وحوصلة

من المعدة وجذور شوكران اجتثت في الظلام

ومرارة معزى، وعساليج طقوس، انتزعناها معاً عند الخسوف.

---

(١) المرجع السابق.

وكبد كافر يهودي، وأنف تركي، وشفتا تتري »[١] .

وحفلت مسرحية عطيل بذكر التركي المسلم والإشارة، إليه أكثر من أي مسرحية أخرىٰ، كما حفلت المسرحية ذاتها بذكر المغربي كما أشرنا سابقاً، فلقد ذُكر التركي في مسرحية عطيل حوالي عشر مرات ، منها ما يتعلق بالأساطيل الحربية التركية وجحافل الجيوش العثمانية ، ومنها ما يتعلق بسلطان الحكومة في بعض الدول الأوربية، وهكذا[٢]. وفي خضم خيال مفتعل يتحدث المنادي في بيان يتلوه علىٰ الناس عن انتصار المسيحيين علىٰ المسلمين، والذي انتهىٰ بدحر الأتراك، فيقول :

« الآن وقد بلغتنا أنباء تتحدث عن هلاك الأسطول
التركي بكامله ، فإنها مشيئة عطيل قائدنا الباسل
النبيل، لابد أن يحتفل الجميع بالنصر؛ البعض بالرقص،
والبعض بالألعاب النارية، والآخرون بما يحلو لهم »[٣] .

وفي خضم الفرحة التي عمت الناس، ثارت المنازعات والشجار بين البعض، فتحدث عُطيل زاجراً لهؤلاء الناس، مذكراً إياهم بوجوب التمسك بالمسيحية، والترفع عن الترهات وسفاسف الأمور، التي هي ديدن المسلمين الأتراك، فيقول :

(١) المرجع السابق ، الفصل الرابع ، المشهد الأول ، ص ١٠١٦ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الأول ، المشهد الثاني ، ص ١١١٨ ، ١١٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الثاني ، ص ١١٢٦ .

« ما هذا ؟ ما منشأ هذا؟

هل انقلبنا أتراكاً ، فرُحنا نفعل بأنفسنا

ما منعت السماء العثمانيين عن فعله ؟

ترفعوا كالمسيحيين، وتخلُّوا عن هذا الشجار البربري »[١].

وحتى نهاية المسرحية ، مسرحية عطيل، فإن شكسبير يلهث في ملاحقة المسلمين الأتراك، مؤكداً أنهم أشرار أرجاس، وعندما أراد عطيل أن يفهم القوم ما أحسه من فعل ياغو ودسائسه، قال لهم :

« مهلاً، كلمة أو اثنتين قبل أن تذهبوا

لقد أديت للدولة بعض الخدمات وهم على علم بها،

فلا حاجة لقول المزيد عنها. إني لأرجوكم ، في رسائلكم

عندما تروون وقائع الشؤم هذه أن تتحدثوا عني كما أنا ، لا تلطفوا شيئاً، ولا تدونوا أو تكتبوا شيئاً بضغينة . . تقولوا: هو تركي شرير معمم»[٢].

إن جملة الشواهد التي أوردناها من مسرحيات شكسبير والتي عالج فيها موضوع الإسلام والمسلمين، والحديث عنهما بصورة سلبية، يكشف عن فكر شكسبير المعادي للإسلام، المنادي بالنصرانية متبنياً فكره التنصيري، فقد أنكر نبوة الرسول محمد ﷺ، وسخر منه في مواطن عديدة

---

(١) المرجع السابق ، الفصل الثاني ، المشهد الثالث ، ص ١١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل الخامس ، المشهد الثاني ، ص ١١٥٣ .

من مسرحياته، ووصف المسلمين بأسوأ الأوصاف؛ وصفهم بالزندقة والإلحاد والقسوة والجبروت والكفر والعناد والتمحل. وفي مقابل ذلك وصف النصارىٰ ملوكاً وأفراداً بأحسن الأوصاف، وأوضح أن دين النصارىٰ دين سمو وترفع، وأنه الدين الأمثل للناس. وهو بذلك يخلص إلىٰ دعوة الأمم والشعوب إلىٰ اعتناق النصرانية، وترك ما سواها. والنهار لا يحتاج إلىٰ دليل، فهذه نماذج كثيره أوردناها في ثنايا فصول هذه الدراسة بينا من خلالها صور فكر التنصير في مسرحيات شكسبير من خلال هجومه المكشوف علىٰ اليهودية والديانات الأخرىٰ عموماً، وعلىٰ الدين الإسلامي خصوصاً.

الباب السادس

التنصير في مسرحيات شكسبير

التنصير في مسرحيات شكسبير

التنصير معناه وتاريخه وأهدافه:

تذكر معاجم اللغة كلمة (التنصير) بمعنىٰ الدخول في النصرانية، وكذلك الدخول في النصرسي، وجعل الإنسان نصرانياً أي نصَّره [١]، وقد ورد ذكر لفظ (النصارىٰ) بالجمع مرات عديدة في القرآن الكريم (والنصرانية والنصرانه مفرد النصارىٰ)، وجاء في الصحيحين قوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» [٢].

والتنصير هو الدعوة إلىٰ اعتناق النصرانية كما جاء في تعاليم الإنجيل، وكان ينشر ذلك طائفة النساطرة [٣]. من خلال مدرستهم بمدينة الرها

(١) راجع في ذلك لسان العرب، المحكم، تاج العروس، والقاموس المحيط.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري ج٣/ ١٢١٩ (١٣٥٨) ومسلم في صحيحه ج٤/ ٢٠٤٧ (٢٦٥٨).

(٣) النساطرة: جمع نسطور نسبة إلىٰ الطريقة القسطنطينية الذي كان يرىٰ أن مريم عليها السلام التي ولدت الإنسان فقط ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن فلم يكن إلها ولاابناً للإله، وبسبب ذلك انعقد مجمع أسس عام ٤٣١م وقرر أن مريم العذراء والدة الله وابن المسيح وإله الحق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد في الأقنوم. ويسكن النساطرة في العراق والجزيرة الفراتية ومنها نصيبين، راجع محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٦٣، ١٨٨.

(وتسمىٰ الآن أورفا، وتقع في تركيا) التي أغلقت عام ٤٣٩م، فاضطرت هذه الطائفه للهجرة إلىٰ بلاد فارس عام ٤٥٧م ، وأنشئت مدرسة نصيبين، ومنها خرجت الإرساليات التنصيرية إلىٰ آسيا وبلاد العرب. وكما عبثت أيدي اليهود بالإنجيل، فبدلت وحرفت وطمست، فإن أصحاب تلك الحملات التنصيرية من القساوسة والرهبان خلطوا دينهم بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية، فجاءت صورة هذا الدين وثنية المخبر، نصرانية الاسم والمظهر[١]. فمنذ ذلك الحين والنصارىٰ يدعون الناس إلىٰ النصرانية علىٰ أساس القواعد التي أرساها شاؤول أو بولس، ذلك اليهودي الذي ادَّعىٰ أن المسيح عليه السلام جاءه وهو ذاهب إلىٰ دمشق، ونهاه عن اضطهاد النصارىٰ ، بل وعليه أن يدعو إلىٰ النصرانية، وقد كان أشد الناس تنكيلاً وكيداً ونكاية بالنصارىٰ[٢]، وإلىٰ هذا يشير محمد أمير يكن قائلاً : « لا يعتبر بولس المبشر المسيحي الأول فقط، بل يعتبر واضع أسس التبشير المسيحي العالمي، ولا يزال المبشرون في أيامنا يستقون خططهم وترتيباتهم من معلمهم الأول بولس. فهو بحق مؤسس علم التبشير، وقد نجح في هذا المضمار أيما نجاح »[٣].

---

(١)علي إبراهيم النملة ، التنصير : مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ، دار الصحوة ، الرياض ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص ١٢٨ .

(٢)المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) محمد أمير يكن ، يهوذا الأسخريوطي علىٰ الصليب ، دار اقرأ ، مالطا ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ص ٣٠٣.

هكذا بدأت حركة التنصير وازدادت ضراوة مع بزوغ فجر الإسلام، عندما صدع النبي محمد ﷺ داعياً إلىٰ الله بإذنه بشيراً ونذيراً . فلما علمت يهود بأن محمداً ﷺ ابن العرب، أرسله الله بالحق رسولاً ونبياً خاتماً، حقدت عليه ﷺ وعلىٰ الإسلام، فزادت من كيدها للنصارىٰ بتحريضهم علىٰ الإسلام والمسلمين، للوقيعة بين أهل الديانتين ، وهذا ما انتهىٰ إليه الأمر من ازدياد عمليات التنصير بين المسلمين وتلا ذلك شن الحروب الصليبية، وقيام حركة الاستشراق والغزو الاستعماري لبلدان العالم الإسلامي .

إذن « فلا شك في أن التنصير والاستشراق يلتحمان معاً في قيادة وتوجيه وتزويد حركة الاستعمار الآن في كل أجزاء الشرق الإسلامي والعربي، أو العالم الإسلامي في كل مكان بالمعلومات، وإذا كان التنصير مدخل الاستشراق، أو هو سابق عليه، أو مقدمة تمهيديه له ، فإن هذا التنصير بكل مؤسساته الطبية والهندسية والاقتصادية والتعليمية والتثقيفية، قد استخدم نهج التعليم المدرسي في دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية والثانوية المشتركه بين الذكور والإناث ، كما سلك سبيل العمل الخيري في إنشاء المستشفيات المتنقلة والثابتة، والملاجئ الفخمة، ودور اليتامىٰ واللقطاء الواسعة ، بينما سلك الاستشراق نهج المقال، والمحاضرة، والكتاب المدرسي وكرسي التدريس في الجامعات »[١].

---

(١) عبد القادر محمود ، الإسلام في مواجهة الحركة التنصيرية والاستشراقية ، الفيصل ، العدد =

ونقطة الالتقاء الأساسية بين التنصير والاستشراق هو تشتيت المسلمين وتفتيت الوحدة الإسلامية بتشويه الإسلام عقيدة وشريعة، من خلال أباطيل الإنجيل التي يتلوها القسس والرهبان على من يدعونهم إلى النصرانية من البسطاء والجهلاء، ومن خلال ادعاء الموضوعية في الأبحاث التي يقدمها المستشرقون للمثقفين من بني جلدتهم والعملاء من بني جلدتنا، والعمل على إحياء الشعوبية والعرقية والعنصرية بين شعوب العالم الإسلامي، وهكذا كان الأمر، «فسواء كانت جريمة أتاتورك بحسن نية أو بسوء نية، فقد حققت لأعداء الإسلام ما يبغونه، بنقض عرى الإسلام أولها الحكم وآخرها الصلاة»[1] .

لهذا قد يبدو التنصير لكثير من الناس أنه حركة دينية، هدفها دعوة الناس إلى اعتناق المسيحية فحسب، وهذا المفهوم قد يتضح من خلال نشاط الإرساليات التنصيرية إلى أصحاب الديانات الأخرى مثل البوذية والهندوسية والبراهمية وغيرها من الأديان. إن وجود هذه الإرساليات بين أهل تلك الأديان إنما هو للتمويه والتعمية وإلباس الباطل ثوب الحق، وإلا فالمقصود من التنصير بل وهدفه الرئيس والأول، هو محاربة الإسلام بجعل المسلمين يعتنقون النصرانية، وإن لم يتمكنوا من ذلك فلعله يكفي إخراج

= ١٢٦، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ٢٨ .

(١) علي جريشة، الغزو الفكري من الغرب، الدعوة، العدد السادس السنة الخامسة والعشرون (٣٨٠) ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، ص ٢٦ .

الناس من دين الاسلام؛ لهذا يقول أحد البطارقه في حديث له مع المنصرين : « إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية، للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه »[1].

إذن فالنصارىٰ في الغرب والشرق ينطلقون في تعاملهم مع الآخرين ـ وعلىٰ الأخص مع المسلمين ـ لتحقيق مطامع استعمارية لتحقيق مصالحه، وهذا يقوم علىٰ جذور الفكر الاستعماري الصليبي منذ قيام الحملات الصليبية الأولىٰ، ونصارىٰ اليوم من الحكام لم يستطيعوا أن يتخلصوا من ذلك الفكر الاستعماري، رغم مزاعمهم المتكررة بأنهم رواد الحضارة والثقافة والدفاع عن حقوق الإنسان في القرن العشرين[2]، والمثال علىٰ ذلك ما يقع في بلدان أفريقية كثيرة بين المسلمين والنصارىٰ، وأفعال النصارىٰ في الفلبين والشيشان والبوسنة والهرسك، وكذلك في جامو وكشمير وفي فلسطين، ذلك أن قوىٰ النصرانية دائماً تتعاون مع كل أعداء

---

(١) وفاء عظيم الندوي، « التبشير امتداد للحروب الصليبية »، الدعوة، العدد الرابع عشر، السنة السادده والعشرون (٣٨٨)، ١٣٩٧ـ١٩٧٧م، ص١١.

(٢) شعاع سلطان، « الصليبية الجديدة » الأمة، العدد الرابع والأربعون، السنه الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص ١٧.

الإسلام حتىٰ الملحدين منهم، كما فعلوا في تعاونهم مع المغول والتتار عندما غزوا العالم الإسلامي، حيث إن ذلك التعاون لم يكن شيئاً سخيفاً كما يظن البعض، إذ إن ذلك التعاون له أبعاد عميقة، يهدف إلىٰ أن يدمر أعداء النصرانية (المسلمون والتتار مثلاً) بعضهم بعضاً، لتربح النصرانية علىٰ حساب سوء حظ الطرفين، فتتربع علىٰ أشلاء الأعداء عرش ملكها، وفي هذا إشارة إلىٰ النظرة الساخرة التي تقدم بها قسيس مدينة (ونشستر) إلىٰ ملك إنجلترا هنري الثالث عام ١٢٣٨م قائلاً: «ليدمر هؤلاء الكلاب (!!) بعضهم بعضاً، ويصفّون بعضهم بعضاً، وعندها سنرىٰ الكنيسة الكاثوليكية العالمية تتأسس علىٰ أطلالهم، وسيكون هناك بعد ذلك حظيرة واحدة وراع واحد فقط»[١]. ولكن بهذا الحلم النصراني يضيع الحق، ولا يعرف، ويسود الباطل، ولا ينكر، لكن قدر العليم الخبير وقضاؤه جاء في محكم التنزيل في قوله تعالىٰ: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴿١٥١﴾﴾[٢] وقوله جل وعلا: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[٣]. إنه لولا هذا التدافع لانطلىٰ علىٰ الناس كثير من مزاعم اليهود والنصارىٰ عن الإسلام، وتحقيره، وعن النصرانية وتمجيدها. لم

---

(١) نبيل صبحي «تاريخ البعثات التنصيرية» الأمه، العدد الثلاثون، السنه الثالثه، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص ٢٠.

(٢) سورة البقرة الآيه ١٥١.

(٣) سورة الحج، الآيه ٤٠.

يعرف الناس اتهام المسلمين بالشرك، لأن النبي محمداً ﷺ اعترف بالكعبة والحجر الأسود وبئر زمزم، وأن ذلك من بقايا الجاهلية العربية، مما جعل الإسلام يبتعد عن الديانتين التوحيديتين اليهودية والنصرانية . إن النبي محمداً ﷺ اعترف بذلك كله بأمر من ربه ، إنه اعترف بذلك، ولم يكن يعبدها ويجعلها شريكاً لله ، فيا للعجب، الدين الذي نزه الله جل جلاله عن الشريك والمثيل والزوجة والولد. . إلخ اعتبره أعداء الله ورسوله دين وثنية، وأما الدين الذي قال : « المسيح ابن الله » و « عزير ابن الله » وأن الله « ثالث ثلاثة »، فيعتبرونه دين توحيد !! [1] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. إن تدافع الناس بعضهم ببعض هو النور الذي يرى به الناس الحق والباطل، كما رآه نصارى نجران حال قدومهم إلى المدينة المنورة، ولقائهم مع رسول الله ﷺ حيث نزل قوله الحق تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾**﴾ [2].

ورغبة في عدم الإطناب، رأينا أن نختم هذا الجزء من الدراسة بتعداد جملة أهداف التنصير الرئيسية، وأهمها الثورة على الإسلام واجتياحه؛ إما

---

(١) إسماعيل الكيلاني ، «منهج استشراقي في تزييف التاريخ الإسلامي»، الأمة ، العدد السابع والأربعون ، السنه الرابعه ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، ص٢٨.

(٢) سورة آل عمران ، الآيات ٥٩ ـ ٦١ .

بتنصير أبنائه، أو إخراجهم من حظيرة الإسلام، وتمهيد الطريق لاستعمار بلاد الإسلام ونشر تعاليم النصرانية، وإظهار هذه الأهداف التي يمكن تتبع بعض صورها في مسرحيات شكسبير، وتنحصر أهم غايات التنصير في الآتي :

١- الدعوة بالنصرانية بين المسلمين، وغزوهم فكرياً ودينياً واقتصادياً وعسكرياً .

٢- التشكيك في حقيقة الإسلام ورسالة النبي ﷺ إذا تعذر اعتناق المسلمين للنصرانية، وتوليد ثورة من الشك في نفوس المسلمين حول أمور العقيدة والشريعة الإسلامية، ثم عرض صورة النصرانية وحضارتها الغربية على أنها الأفضل لسعادة الشعوب من خلال تمجيد القيم النصرانية، ودعوتها لخير الإنسان والحفاظ على حقوقه، لينضم إليها ضعاف الإيمان من المسلمين للترويج لها .

٣- استغلال ضعاف الإيمان من مواطني الدول الإسلامية خريجي المعاهد العلمية في الغرب، وإظهارهم بأسماء وطنية وإسلامية، وتزويدهم بعقليات ونفسيات وثقافات غربية تشكك في الثقافة الإسلامية، وتدعو إلى الحداثة والتجديد والتغيير، ونبذ كثير من الأفكار الإسلامية، وهذا هو التغريب بعينه .

٤- إفساد الخصائص الإسلامية في نفوس كثير من المسلمين والمجتمعات الإسلامية ، بقصد تكوين جماعات من المتدينين المتزمتين تحارب بكل

جهد ما لا يروق لها، وإظهار تلك الجماعات بمظهر التخلف الفكري والجهل الثقافي والحضاري، لتنفير أجيال الإسلام الجديدة من الإسلام، ولتقوية كره أصحاب الأديان الأخرىٰ للإسلام.

٥- إيجاد عناصر الخلاف والشقاق بين الشعوب الإسلامية بأية وسيلة ممكنة، وجذب حكام الدول الإسلامية إلىٰ الغرب، لإدخال بعض الأنظمة والقوانين التي تناهض الإسلام، لتفريق كلمة الإسلام والمسلمين، فيصبح الولاء للمصلحة وليس للإسلام.

٦- تسليط الكُتَّاب والنُّقَّاد والأدباء والاقتصاديين والسياسيين وغيرهم في الغرب النصراني للكتابة عن الإسلام، وتشويه صورته، ليتسنىٰ التأثير علىٰ الشعوب النصرانية وغيرها بعدم قبول الإسلام والرضا به من خلال الانتقادات التي توجه إلىٰ العقيدة والشريعة الإسلامية في مسائل التوحيد، والنبوة، والقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وصحابة الرسول ﷺ، وأمور الزكاة، ونظام الأسرة الاجتماعي في الزواج والتعدد وفي النكاح والطلاق والميراث .. إلخ. وبهذا الأسلوب تعمل حركات التنصير بمنع النصارىٰ وغيرهم من اعتناق الإسلام، وصدهم عن الحق، وشرح صدورهم للكفر والباطل. والعمل علىٰ إعادة كثير من الشعوب التي دخلت الإسلام إلىٰ حظيرة النصرانية.

٧- تثبيت مبادئ فوقية الرجل الأبيض علىٰ بقية الشعوب، من خلال التأكيد علىٰ علو النصرانية وفوقيتها علىٰ كل الأديان، والتي ساعدت علىٰ

تقدم الغربيين وازدهار حضارتهم ، وهذا إنما جاء نتيجة للتمسك بالنصرانية وتعاليمها على عكس تخلف المسلمين وتأخرهم ثقافياً وحضارياً، بسبب تمسكهم بدين الإسلام، وهو دين زائف باطل ! .

ومن كل غاية من غايات التنصير الرئيسة التي ذكرناها آنفاً يمكن أن يتفرع عنها العديد من الغايات الثانوية، التي يحلم المنصرون بتحقيقها من خلال تحقيق الغايات الكبرى، وهم بذلك يريدون أن تزول شمس الإسلام، ويطمس نوره، ولكن العلي القدير تكفل بحفظ كتابه الكريم وحفظ نور الإسلام العظيم؛ قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] .

وقوله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

---

(١) سورة التوبه ، الآيات ٢٩ـ٣٢ .

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [١].

إذن فإن غياب الحق وغياب الدين الحق واتباع الهوىٰ والباطل أملىٰ علىٰ الغرب طلب السلطان في الحكم ، فاستعلىٰ الجبروت والاستبداد بظلم الناس والاستيلاء علىٰ عقول الناس وقلوبهم وسلب خيراتهم وثروات بلدانهم تحت دعاوىٰ زائفة منها دعوىٰ التنصير .

التنصير في مسرحيات شكسبير :

لقد أوضحنا فيما تقدم أن من وسائل التنصير وأهدافه تشجيع الكُتّاب والمؤلفين والأدباء للكتابة عن الإسلام، وتصويره للناس علىٰ أنه دين باطل، والعمل علىٰ تشويه حقائق الإسلام والتشكيك فيها ، بل وفي المقابل تثبيت علو النصرانية، وسمو الرجل الأبيض، وتميز الحضارة الغربية ، وهكذا فعل وليم شكسبير عندما كتب مسرحياته المختلفة. فالتنصير عند شكسبير يبتدئ من التراث الديني الذي ينتمي إليه، ومن مكونات ذلك التراث الدين المسيحي، الذي تعلمه في صغره، لينشأ متخصصاً في علم اللاهوت والدراسات الإنجيلية، كما ذكرنا ذلك في الفصول الأولىٰ من هذه الدراسة . ويتضح تعلق شكسبير وارتباطه بالنصرانية منذ أن كان تلميذاً في المدرسة، حتىٰ مجيئه إلىٰ لندن مصطحباً معه الإنجيل [٢]، إذ يقول أحد النقاد: « يتضح جلياً أن كاتبنا الكبير (شكسبير) كان علىٰ دراية واسعة بديننا المقدس، وإلا

---

(١) سورة الصف ، الآيات ٧ ـ ٩ .

(٢) انظر : Thomas Carter, Shakespeare and Holy Scripture,pp. 3-4.

فإنه كان من المتعذر عليه أن يعبر عن فكره المسيحي في كتاباته التي اتسمت لغتها بلغة الإنجيل »[١] .

ولقد كرس شكسبير جهده للدعوة إلى النصرانية والتنصير ، حيث كان يرى نفسه في بعض مسرحياته على أنه رجل الله ، مثله في ذلك مثل المسيح الذي صدع بالمسيحية والدعوة إليها[٢]، بهذا تتجلى النصرانية وفكرة التنصير في كتابات شكسبير ، بما تضمنته مسرحياته من استشهادات واقتباسات وألفاظ نصرانية من الأناجيل المختلفة ، فلقد كان يختار شكسبير موضوعات وحبكات وشخصيات مسرحياته بعناية ، وكان يكتب عن ذلك لتحقيق عدة أهداف : منها أهداف صليبية تنصيرية تخدم المصلحة الاستعمارية ، القائمة على تعاليم الفكر المسيحي ، الذي يرى أن الولاء السياسي للملوك والأمراء النصارى هو نوع من الولاء للرب ، وأن خيانة الملوك والأمراء تنتهي بعقوبة من السماء ، ويتضح ذلك في كثير من مسرحيات شكسبيز التاريخية[٣] .

ولقد عرضنا في ثنايا الدراسة أمثلة كثيرة تظهر الفكر النصراني عند شكسبير ، الذي ينادي به في مسرحياته لاعتناق الناس النصرانية ، ليكونوا أسوياء في حياتهم العقدية (الروحية) والاجتماعية والسلوكية ، لما للدين

---

(١) انظر : K. Cosmopolite, Shakespeare, p.9.

(٢) انظر : Cleia Prow, God in Shakespeare, p.3 .

(٣) انظر : Lily B. Compbell, Political Ideas in Macbeth, Shakespeare Quarterly, vol .2No.4,1951,p.282.

النصراني من فضل على سائر الأديان ، لأن الذنب الأكبر عند شكسبير أن لا يدين الإنسان بالنصرانية ، إذ إن من دينه غير النصرانية ، فهو ضال ملحد وثنيّ كافر ، وهذا إكراه في الدين ، يتجلى واضحاً في مسرحية (تاجر البندقية) ، عندما ذكر أسوأ الأوصاف والعبارات في شتم اليهود واليهودية في شخص شايلوك وابنته جيسكا ، فموضوع المسرحية وحبكتها وأبرز شخصياتها ، تمثل صورة مقارنة بين النصارى وحياتهم ، وبين اليهود وسلوكهم .

لقد جند شكسبير جل قدراته الفنية والفكرية في تصوير اليهود بأقبح الصور ، ونعتهم بأسوأ الأوصاف ، منطلقاً من المفهوم السائد لكلمة «يهودي» في الأدب الإنجليزي في زمنه ، والتي تحمل معاني التحقير والانتقاص والازدراء والخزي ، وما رضي شكسبير أن تترك ابنة شيلوك دون أن تتنصَّر ؛ لأنها تشعر بالعار بانتسابها إلى اليهود واليهودية ، فلذلك تنصّرت لتستحق أن تكون زوجاً للنصراني لورنزو . وبالمثل فإن شايلوك لم يكن يستحق عفو المحكمة النصرانية ، إلا أن يدخل في حظيرة النصرانية ، كما نرى ذلك في مشهد المحاكمة .

كل هذه الأمور تبين فكرة التنصير عند شكسبير ، بل إكراه الناس على اعتناق النصرانية ، وهذا باطل ، لا نعرفه في الإسلام ، ذلك الدين القيم الذي لا إكراه فيه ، مع أن الإسلام نسخ اليهودية والمسيحية معاً . وفي هذا

يقول سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ۝١٩ ﴾[١] ويقول تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥ ﴾[٢] .

أما بالنسبة للإسلام ، فإنه لم يكن يخفىٰ أمره علىٰ شكسبير كما يظن كثير من الكتاب والنقاد ، فلقد بينا في الفصل الخامس من هذه الدراسة بكثير من الأمثلة والاستشهادات معالجة شكسبير لموضوع الإسلام والمسلمين في مسرحياته ، والإسلام عند شكسبير دين وثنيٌّ ، دين الكَفَرة الملاحدة القساة الغلاظ السفهاء ، دين الأصنام ، ونبي الإسلام دعي ، وخلفاء المسلمين قَتَلة سفّاحون ، والمسلمون برابرة سُذَّجُ بلهاءٰ أغبياء مخادعون زنادقة ، جبناء . وفي مقابل ذلك وصف شكسبير النصارىٰ ملوكاً وأفراداً بأحسن الأوصاف ، وأنّ دين النصارىٰ أسمىٰ الأديان وأرفعها ، وهو الدين الأمثل للناس ، ليس مثل دين الإنسان التركي أو العثماني أو المغربي ، ذلك الدين القائم علىٰ الرذيلة والبطش والقتل والسلب والنهب ، وهو بذلك يخلص إلىٰ دعوة الناس إلىٰ اعتناق النصرانية وترك ما سواها .

إن دراسات علمية متعددة تؤكد أن فكر شكسبير ينطلق من ثبات فكرة النصرانية عنده ، بالتزامه بالكاثوليكيه علىٰ منهج الطهرية Puritanism والطهريين Puritans[٣] ، ولم يكن شكسبير يؤمن بتلك الأفكار التي سادت

---

(١) سورة آل عمران ، الآيه ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيه ٨٥ .

(٣) انظر : Germaine Greer , Shakespeare, Oxford University Press, Oxford,1986 ,p.17.

في عصر النهضة، العصر الذي أنتج فيه كثيراً من مسرحياته، ولم يكن يرىٰ مجالاً للفكر والتأمل والفلسفة مع وجود النصرانية، ولم يكن يعبأ بأي فكر مهما كان فيه من الحق والحقيقة سوىٰ تعاليم النصرانية، فالنصرانية فوق كل شيء[١].

ولقد تأثر شكسبير في أدبه المسرحي الذي كتب فيه ما يزيد عن ثلاثين مسرحية بالفكر النصراني الذي انتهجه كتاب المسرحية في العصور الوسطىٰ، خصوصاً نوع المسرحيات الدينية المسمىٰ بمسرحيات الأخلاق، أو المسرحيات الأخلاقية، التي أشرنا إليها في الفصل الثاني من هذه الدراسة، ومن خلال ذلك المنهج كان شكسبير يظهر مفاهيم الأخلاق النصرانية التي تذم الرذيلة والشر والسوء وتمجد الفضيلة والخير والصلاح والاستقامة، تلك الخصائص الإيجابية التي اتسمت بها النصرانية دون غيرها من الأديان خصوصاً [٢]، وهذا النوع من الفكر يتجسد في كثير من المسرحيات المأساوية في عصر الملكة إليزابيث، وخصوصاً مسرحيات شكسبير، إذ إن المأساة في حياة الإنسان (كما يراها جميع النصارىٰ الإنجليز من كاثوليك أو بروتستانت) لا تقوم علىٰ حتمية القدر، بل إنما تنبع من الرذيلة، كما أن السعادة تنبع من الفضيلة، وكل ذلك ينطلق من التمسك بالنصرانية أو

---

(١) انظر: Allan Bloom and Harry V. Jaffa, Shakespeare's Politics. The University of Chicago Press, Chicago and London , 1964,pp.92-104 .

(٢) انظر: Germaine Greer , Shakespeare, pp. 45 - 51 .

عدمه[١].

لهذا كله، فإن « منجزات شكسبير كمفكر لم تكن صياغة لأفكار جديدة، أو بعث لنظام فلسفي جديد، ولكنه أخذ القضايا المألوفة في الفكر في العصر الإليزابيثي، وترجمها إلىٰ أفكار واقعية »[٢]. لقد ترجم شكسبير القضايا المألوفة، وأخرجها في ثوب مسرحي، منطلقاً من تعاليم المسيحية، ذلك أنه ليس « ثمة شيء جديد في الفكر التاريخي عند شكسبير، أو في معتقداته، أو فلسفته التي طرحها، إنه نظم تلك القضايا، وأخذ جملتها من الأفكار المتباينة والمتناقضة الموجودة في الإنجيل »[٣]، لذلك فإن شكسبير ما كان ليسمح لنفسه أن يفكر في حقيقة الأديان الأخرىٰ مثل اليهودية أو الإسلام ليتدبر ويتأمل ويفكر، لأنه واقع تحت تأثير الفكر النصراني المتحيز، وتحت تأثير الذاتية في تفكيره[٤]. وتمثل مسرحيات (البندقية)، و(عطيل)، و(تاجر البندقية)، نظرة شكسبير إلىٰ اليهودية والإسلام، وإظهار فوقية النصرانية، فلقد كان شايلوك وعطيل شخصين غريبين علىٰ المجتمع المسيحي، فعل شكسبير ذلك من خلال كره وبغض وازدراء الديانتيين ومن ينتمي إليهما. إن أنطونيو وشايلوك صورة لليهودي والمسيحي، وهما في

---

(١) المرجع السابق، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٤) انظر: Allan Bloom and Harry Jaffa, Shakespeare' s Politics , p.31.

حرب دائمة بسبب انتماء كل واحد منهما إلى دين مختلف ، موروث عدائي قائم على كره النصارى لليهود، الذين يعتقدون أن اليهود صلبوا المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، هذا فضلاً عن الخُيلاء والكبرياء اللذين يداخلان قلوب النصارى، ويدفعان بهم لامتهان اليهود، الذين لا يكرهون النصارى فحسب، بل جميع الأميين. لهذا فإن شايلوك وأنطونيو ليسا شخصيتين تؤديان أدواراً بالتناوب في أحداث المسرحيه ، بل إنهما شخصيتان نمطيتان تعكسان فكراً معيناً، وديناً معيناً، عبر عنهما شكسبير في ثنايا المسرحية، وقد استشهدنا بكثير من الأمثله فيما تقدم، وأظهرنامن خلالها الفكر التنصيري عند شكسبير، وأن النصرانية فوق اليهودية.

إن شايلوك يعكس صورة الفريسيين المخادعين الحاقدين ، وأنطونيو يمثل صورة النصارى المستكبرين المتعالين، الذي تحققت له جميع الأحلام في الانتصار على اليهودي بعد أن أذل في المحكمة النصرانية وأُجبر على اعتناق النصرانية تطهيراً له من دنس اليهودية، التي بموجبها يستحق كره النصارى وبغضهم له. « وهكذا لعبت النصرانية دوراً فاعلاً في أحداث مسرحية تاجر البندقية »[(١)]. ومع هذا، فإن القارئ لا يمكن أن يغفل البعد السياسي، والبعد القومي، والبعد العنصري في بعض مسرحيات شكسبير، كما يراه في مسرحيتي عطيل ، وتاجر البندقية.

لقد اختار شكسبير سحنة الأمير المراكشي السوداء في تاجر البندقية،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩-٢٤ .

وهي نفس السحنة التي تميز عطيل في مسرحية عطيل [١]، ويقصد بذلك علو الأبيض النصراني على اللون الأسود المسلم، ولما في اللون الأسود من رمز للشيطان، ومظهر للتخويف والخوف، كما أوضحنا في ثنايا الدراسة سابقاً، وارتباط ذلك اللون ببعض المفاهيم النصرانية. إن المغربي عرف في عصر النهضة بأنه « بربري وثني في حرب دائمة مع النصارى »[٢]، لقد ولد عطيل غريباً في بيئة نصرانية في البندقية، لهذا فإن « عنصره وجنسه ودينه ينظر إليه أقرب ما يكون إلى المسلمين الأتراك »[٣]. وإن كان قد صوّره شكسبير يقاتل قومه المسلمين، ولكن ذلك التصوير يقوم على نوع من السخرية، حيث شجاعة عطيل تنبعث مما اكتسبه من فرسان النصارى حال تربيته في البندقية. وإلا، فإن قومه من المسلمين المغاربة والأتراك وغيرهم أوغاد جبناء ملاحدة، يناوئون النصرانية، الدين الأمثل كما هو في نظر شكسبير، الذي ينهى قومه المسيحيين عن الخوض في المنازعات والشجار على لسان عطيل، ويأمرهم بالترفع عن الترهات، التي هي ديدنُ المسلمين الأتراك، فيقول:

ما هذا؟ ما منشأ هذا؟

---

(١) انظر: A.C. Bradley, Shakespearen Tragedy, London, 1929, pp.198-206.

(٢) انظر: Bloom and Harry Jaffa, Shakespeare, p.42.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٨.

هل انقلبنا أتراكاً ، فرُحْنا نفعل بأنفسنا
ما منعت السماءُ العثمانيين عن فعله
ترفعوا كالمسيحيين، وتخلوا عن هذا الشجار البربري »[١] .

ولئن ظهرت صورة المقارنة بين النصرانية واليهودية في شخصي أنطونيو وشايلوك في مسرحية تاجر البندقية ، فإن مثل الصورة المقارنة بين النصرانية والإسلام تظهر في شخصي ياغو وعطيل ، فلقد كان ياغو يكره عطيل لجنسه ودينه وقوميته ، وعبَّر عن كرهه الدفين لعطيل مرات عديده في ثنايا المسرحية ، وتجلَّىٰ ذلك الكره في الدسيسة التي دبرها ياغو للوقيعة بين عطيل وزوجته دزديمونه لأنها مسيحية لا تستحق ذلك المغربي المسلم، الذي يجب أن يكره، لا لجنسه وعنصره ولونه فحسب، بل لدينه ، فهو لا يعدو أن يكون مستخدماً عند النصارىٰ لمحاربة المسلمين، كما نلاحظ في عبارة الدوق المسيحي مخاطباً عطيل :

« عطيل الباسل ! علينا في الحال نستخدمك
ضد العدو العثماني ، عدو الجميع » .

فكلمة (نستخدمك) ليست تلك الكلمة التي يستخدمها شكسبير مع فرسان النصارىٰ الذين يستعمل معهم عبارة مغايرة تدل علىٰ الكرامة والرفعة

---

(١) انظر : Peter Alexander , William Shakespeare : The Complete Works, p.1128.

والسمو[١].

وختاماً، هل بعد أن ظهرت صورة الفكر التنصيري في مسرحيات شكسبير جليةً واضحة، يمكن لقائل أن يقول: إن شكسبير كان من أسرة إسلامية أو أسرة مسلمة، كانت تعيش في الأندلس، وتنصَّرت تحت نير اضطهاد النصارىٰ للمسلمين، وإنه عربي الأرومة؟ وهل يمكن أن نقول إن فكره التنصيري نور هاد كقول القائل:

وافت إليك أميرَ الشعر خاشعة   شتىٰ العقول تُناجي نورك الهادي

وهل يمكن أن يضيع نور أحمد المصطفىٰ النبي الأمي ﷺ ويقال لذلك النصراني:

فأنت (النبي) وما الأنبياء   بإحسانهم غير نفح يضوع؟

هل يمكن أن نقول: إن شكسبير وفكره التنصيري جعله ذا ملامح إسلامية في إبداعياته؟ وهل كان شكسبير يتسم بالبراءة في فكره ومسرحه؟ وأنه يجهل حقيقة الإسلام؟ هل صحيح: «أن شكسبير لم يكن يعرف عن الشرق شيئاً من تواريخه وأحواله، أو مواقعه وأمكنته، يزيد علىٰ القسط الشائع بين أبناء زمنه، مما تناقلوه عن الصليبيين ومن تقدَّمهم من رواد السياحة وطلاب الغرائب والأساطير، وكلما وردت الإشارة إلىٰ الشرق في رواياته وقصائده، فهو شرق الطيوب والعطور، وشرق الأسرار

---

(١) انظر: W.S.Mackie, Shakespeare s English, the Modern Language Review, Vol.xxx, No.1, Jan 1936,pp.3-5 .

والخفايا، وشرق الأرواح والجنة، التي تفارق الهند لتلهو وتعبث في مفازة الغرب ثم تعود إليها، وربما حماه صدق البديهة، فأورد تلك العجائب موردها من الفكاهة والتندر ، وربما أومأ إليها متسائلاً كما أومأ إلىٰ قصة نبي الإسلام والحمامة في روايته الأولىٰ من تاريخ هنري السادس ، فقد كان محمد عليه السلام يوهم العرب في زعمهم أنه يتلقىٰ الوحي من ملك في صورة حمامة تقف علىٰ كتفه، وتضع منقارها في أذنه ، لأنه كما زعموا عوَّدها أن تلتقط الحب منها. وقد سمع شكسبير بهذه القصة، وسمعها الأوربيون من رواة الحرب الصليبية، فلما أومأ إليها عرضاً لم يزد علىٰ أن يتساءل : أو كان محمد يسمع الوحي من حمامة ؟ إنك إذن لتسمعينه من عقاب »[1].

هكذا دافع القوم عن شكسبير ووصفوه بالبراءة وحسن النية ، ولقد غفلوا أن السوء كل السوء سببه الحروب الصليبية، التي أججت نار العداوة ضد الإسلام والمسلمين ، كما أنهم نسوا قول الله تعالىٰ : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴿١٢٠﴾ ﴾[2]، بل إنهم لم يتتبعوا بصورة شاملة وموسعة جملة ما كتبه شكسبير عن الإسلام والمسلمين، مثله مثل الكثير المفتونين بعبقرية شكسبير ، كما أوردناه في دراستنا هذه من الصحة والصواب. ولقد أمطنا اللثام وأثبتنا نصرانية شكسبير ومسيحيته في

---

(١) عباس محمود العقاد ، التعريف بشكسبير ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآيه ١٢٠ .

مسرحياته، فضلاً عن صليبيته، ومع هذا لا نزال نسمع مثل هذه الأقوال الباطلة الفاسدة، التي تتحدث عن شكسبير ومنظوره الإسلامي، فيقول القائل: « وسواء سمع عن الإسلام أم لم يسمع، فلاشك أن شكسبير كان مؤمناً بالله وبرسالة الأديان الحقَّة على أنها هداية للإنسان من الظلمات إلى النور »[١].

إن هذه الأغلوطات وأمثالها، إذا ما بسطت أمام أصحابها وثبت بطلانها، قالوا: نحن نتكلم عن الأدب والفن. نعم، هذا صحيح، ولكن أليس الأدب يعبر عن فكر وعن عقيدة؟ وأجناس الأدب هي أداة التعبير عن ذلك الفكر أو تلك العقيدة. فلم يكن الإسلام فناً أو أدباً، بل هو دين وعقيدة، لهذا فقد هاجم شكسبير ذلك الدين وصاحب رسالة ذلك الدين محمد ﷺ.

ولننظر موقف اليهود من شكسبير، أهو ذلك الموقف المتخاذل المشوب بالتعظيم والتمجيد لكاتب أساء إليهم وإلى دينهم، وهم على ضلال وباطل، وعلى مهانة وسوء، بما ضربه الله عليهم من الذلة والمسكنة . وهنا نجد نبيل راغب يقول: « يضمر الإسرائيليون الكثير من الحقد والكراهية للشاعر الإنجليزي وليم شكسبير، بسبب تجسيده لكل مخازيهم وأطماعهم وأغراضهم الدنيئة في شخصية شايلوك بطل مسرحية « تاجر البندقية »،

(١) محمد أبو بكر حميد، ملامح إسلامية في إبداعيات شكسبير، المنهل، العدد ٤٨٠، شوال - ذو القعده ١٤١٠هـ- مايو-يونيه ١٩٩٠م، ص ١٩٣.

وفي النصف الثاني من القرن الحالي، بدأت حربهم الخفية كعادتهم ضد شكسبير، وذلك بمحاولتهم الوقوف في وجه أية محاولة لإخراج هذه المسرحية، سواء علىٰ مسارح أوربا أو أمريكا، حتىٰ المسارح الكلاسيكية في لندن، مثل مسرح جلوب ودروري لين والاولدفيك، لم تقدم مسرحية «تاجر البندقية» منذ حوالي نصف قرن حتىٰ صيف عام ١٩٨٨م، ١٩٨٩م. برغم تخصصها في تقديم مسرحيات شكسبير، سواء التراجيدية أو الكوميدية أو التاريخية، وبرغم أن «تاجر البندقية» من أعظم المسرحيات الكوميدية التي أنتجتها قريحة شكسبير، ومع ذلك نجح الإسرائيليون - كعادتهم - في دفنها بالحياة، بل إن الأمر تعدىٰ هذه الحقيقة إلىٰ كليات الآداب في جامعات أوربا وأمريكا، حيث أصبح من النادر أن يدرس طلبة الأدب الإنجليزي هذه المسرحية ضمن أعمال شكسبير المسرحية، وإذا حدث أن ذكرت، فمجرد إشارة عابرة، فالأساتذة يخشون التركيز علىٰ هذه الكوميديا مخافة أن يتهموا بمعاداة السامية، وبالتالي فالطرد من الجامعة، وهو أقل عقاب يمكن أن يحيق بهم »[1].

إن اليهود يتخذون من فكرة السامية ستاراً يختفون وراءه، فيلاحظ أنه مع بداية القرن التاسع عشر كان اليهودي يصور في القصص الإنجليزي إما علىٰ صورة اليهودي التائه، أو علىٰ صورة شايلوك. وباسم السامية وبقوة

---

(١) نبيل راغب، «بنوا إسرائيل كما يراهم شكسبير»، الجديد، العدد ١٣٥، ١٥ اغسطس ١٩٧٧، ص ١٣.

نفوذ اليهود في أوربا وأمريكا انطلاقاً من مبادئ الحقوق ليهود أمريكا، الذي تمخضت عن تشكيل الكهيلا واللجنة اليهودية عام ١٩٠٦م ، نجح اليهود في محاربة تدريس مسرحية « تاجر البندقية » في أكثر من مائة وخمسين مدينة أمريكية . ففي عام ١٩٠٧م تمكن اليهود من إرغام المدارس في ولاية تكساس من إسقاط مسرحية « تاجر البندقية » من البرامج التعليمية، كما أن الحاخامين في عام ١٩١١م وفي عام ١٩١٧م منعوا تدريس مسرحية « تاجر البندقية » في مدينتي هاتفورد ونيوهافن بولاية كنتيكوت ، بل امتد المنع إلىٰ جميع ملخصات تشالزرلامب لمسرحيات شكسبير ، كما أنه في عام ١٩١٩م أرغمت لجنة مكافحة المهاترات عشرات المدارس بأمريكاعلىٰ عدم تدريس شخصية تاجر البندقية بمدارسها العامة[١].

ومما سهل علىٰ اليهود محاربة « تاجر البندقية » بسهولة ويسر في أمريكا أنها ليست من التراث الأدبي للشعب الأمريكي، ولأن كاتبها إنجليزي ، فإن هذا النجاح في بريطانيا كان يتم تحت ظروف الإرهاب اليهودي بقتل الأبرياء كما يصور الأمر الدكتور نبيل راغب، فيقول : «وعندما كنت في لندن ، تعرفت علىٰ مخرج مسرحي متعاطف مع القضية العربية إلىٰ أقصىٰ حد، وخاصة بعد زيارته لمصر في أغسطس عام ١٩٦٢م مع فرقة الأولدفيك التي قدمت عرضين علىٰ مسرح أبي الهول بالهرم : « رميو وجوليت » لشكسبير، والثاني « القديسة جون » لبرناردشو، وهذا المخرج يدعىٰ جورج

---

(١) هنري فورد ، اليهودي العالمي ، ص ١١٨ـ ١٢٣ .

هاو، وقد قاد الكورس في مسرحية «روميو وجوليت» قال لي: إنه وقع في حب مصر وشعب مصر وجو مصر منذ تلك الزيارة، ويود لو أتيحت له الفرصة لزيارتها مرة أخرىٰ، وتقديم مسرحيات جديدة علىٰ مسرح أبو الهول.. وتطرق بنا الحديث إلىٰ مسرح شكسبير، فقال لي: سأقول لك سراً خطيراً، لم يذع حتىٰ الآن في الصحف أو المجلات، وأعتقد أنه لن يذاع، ولكن الوسط المسرحي في لندن يعرفه تماماً، برغم أن أحداً لا يثرثر عنه، نظراً للنفوذ الصهيوني الخطير علىٰ المسرح الإنجليزي، والسر هو أن عميد المسرح البريطاني السير لورانس أوليفيه فكر منذ أكثر من عدة سنوات في إخراج مسرحية «تاجر البندقية» علىٰ خشبة المسرح الملكي البريطاني، ووقفت زوجته السابقة فيفيان لي خلف الفكرة بكل قوتها وحماستها، علىٰ أساس أن يقوم السير نفسه بدور شايلوك، وبالطبع فإن الدوائر الصهيونية علمت بالخبر كعادتها، وفجأة وجدنا السير لورانس أوليفيه يعدل عن إخراج الفكرة إلىٰ حيز الوجود، بل إن الأمر لم يقتصر علىٰ ذلك، إذ طلق زوجته ورفيقة عمره فيفيان لي في ظروف غامضة، وتزوج من ممثلة ناشئة تدعىٰ جوان بلورايت تصغره في السن والعقلية والنضوج. وقد اكتشفنا فيما بعد أن هذه الممثلة تنتمي إلىٰ أصل يهودي. ولم يقتصر انتقام الصهيونية من فيفيان لي علىٰ هذا الحد، بل نجدها تموت بالتهاب رئوي في ظروف غامضة أيضاً بعد الطلاق بسنتين فقط»[١].

---

(١) نبيل راغب، «بنو إسرائيل كما يراهم شكسبير»، ص ١٣.

هكذا كان موقف اليهود من شكسبير، برغم أن النصرانية نسخت اليهودية، اليهود لا يقبلون أن يمسهم أحد بحق أو بباطل؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وما فعله شكسبير إنما هو اضطهاد لهم [١]، ولكن لم يكن كذلك موقف المسلمين من شكسبير، برغم أن الإسلام نسخ اليهودية والنصرانية معاً .

ولله در الدكتور مفيد الحوامدة الذي نافح عن الإسلام وعن رسوله محمد ﷺ ودافع عن حقوق المسلمين بكل شجاعة وعزة، ففي بحثه بعنوان « إشارات إلى النبي محمد ﷺ في شكسبير دراسة لغوية»، يقول : يشير شكسبير مرة واحدة إلى حكاية « حمامة محمد » التي تداولها الغربيون في الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس»، ويستخدم كلمة « ما هو» مرتين، وبشكل محرف لاسم « محمد » في مسرحية الملك لير كاسم للشيطان. كما وأنه يشير إلى كلمة « مامتس »«Mametis» بمعنى «الوثن» في مسرحية روميو وجوليت، وفي الجزء الأول من مسرحيته هنري الرابع، إن دراسة هذه الإشارات في نصوص شكسبير، والتي تعد تحريفات لاسم النبي (ﷺ)، وعلى ضوء التراث الفكري الإليزابيثي المعادي للإسلام، لتبين إدراك شكسبير واستعداده للتشويهات التي تعرضت لها شخصية الرسول في عصر النهضة، ومن بينها وصفه له بأنه كاذب وشيطان ودجال وشبق،

---

(١) محمد عبد العزيز عبد اللطيف، « المشكلة اليهودية بين الفن والفكر والسياسة » الأزهر، شوال ١٤٠٦هـ ينيو يوليو ١٩٨٦، ص ١٦١١-١٦١٤ .

ومزاعم اخرىٰ تدعو إلىٰ السخرية »[١].

كما أظهر مفيد الحوامدة في أبحاثه عن المغاربة والأتراك عند شكسبير كيف أن شكسبير يتحدث عن المسلمين من منطلق صليبي تنصيري، متّسم بنظرة دونية إلىٰ الشرق والمشارقة المسلمين، بناءً علىٰ تلك الفكرة التي نقلها نصارىٰ الصليب في العصور الوسطىٰ عن الإسلام والمسلمين، ومن هذه النظرة أفرغ شكسبير جام حقده وكرهه وبغضه للإسلام من فوهة مدفعه المسرحي، لينتصر للنصارىٰ والنصرانية[٢].

إن علىٰ المسلمين؛ مفكريهم ونقادهم وكتابهم بعد هذه الدلائل والبراهين التي أدلىٰ بها قوم شكسبير، والتي قال بها بعض المسلمين الذين عرفوا الحق، وما قومنا الذين مجدوا شكسبير بأعرف من بني جلدته الذين عرفوا الاتجاه التنصيري في أعماله المسرحية، وأبانوها في دراستهم لكتاباته، أن يعلموا بأن شكسبير عدو لله ولرسوله ﷺ وعدو للإسلام والمسلمين، فعليهم أن يكتبوا الحق عنه، ولا يكتمونه ويعلموا أبناءهم سوء هذا الكاتب، وما بثه في مسرحياته من فكر تنصيري وإفك وزور وبهتان، ولاينقادون للهوىٰ والعاطفة واستطالة الشرف، كما فعل البعض، الذين جعلوا منه نبياً

---

(١) مفيد الحوامدة، إشارات إلىٰ النبي محمد ﷺ في شكسبير : دراسة لغوية، مجلة جامعة دمشق، ج٤ العدد ١٣ الجزء الأول رجب ١٤٠٨ هـ - آذار ١٩٨٨، ص ١١٧ .

(٢) انظر: Mufeed F.AL Hawamdeh, Shakespeare's Treatment of the Moor in: Othello, An Oriental perspective, International Journal of Islamic and Arabic Studies ,Vol. No.1, 1987, pp.93-111 .

وهادياً ومؤمناً صادقاً. ولننته جميعاً إلى التأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [(١)].

فالحق أحق أن يتبع ، وإلا فقد تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبعوا وتقطعت بهم الأسباب ، ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١٢٧ ـ ١٤٠ .

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً باللغة العربية :

- إبراهيم ، حافظ ، ديوان حافظ إبراهيم ، بيروت ، ١٩٦٩م .
- أحمد ، محمد سيد ، مقارنات بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي ، المنهل العدد ٧ ، رجب ١٣٦٥هـ يونيو ١٩٤٦م .
- أسد ، محمد ، الإسلام على مفترق الطرق ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤م .
- أبوحديد ، محمد فريد ، هل لشعر مكان في العربية ، الرسالة العدد ٩ ، محرم ١٣٥٣هـ ، مايو ١٩٣٣م .
- أبوشادي ، أحمد زكي . ذكرى شكسبير ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ب ت .
- بارت ، رودي ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- بكير ، أمين ، وليم شكسبير مسرحه كل الدنيا ، الفيصل العدد ٢٠٤ ، جمادى الآخرة ١٤١٤هـ .
- بوكاي ، موريس . القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب

المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م .

- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

- جريشة، علي، الغزو الفكري من الغرب، الدعوة، العدد السادس السنة الخامسة والعشرون مجلد ٣٨٠-١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

- جريشة، علي وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، بيروت، ١٩٧٧م .

- الجندي، أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م .

- الجندي، أنور ، خصائص الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب ت .

- الجندي، أنور، التبشير الغربي، دار الإصلاح ، الدمام، ١٩٨٢م.

- حازم، فارس، للعرب في ثروتهم الأدبية مايغنيهم عن أن يستعيروا شكسبير أو يفتخروا به ، العربي، العدد ٥٨ ، ربيع الثاني ١٣٨٣هـ - سبتمبر ١٩٦٣هـ.

- الحبابي، عزيز ، شمولية وليام شكسبير، الأكاديمية : مجلة أكاديمية المملكة المغربية، العدد ٨ ، ديسمبر ١٩٩١م.

- حبيب، مصطفى طه، من الأدب الغربي : مولد عبقرية، رسالة الإسلام، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م .

- حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩هـ.
- حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- حسين، محمد محمد، الإسلام والحضارة الغربية، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ١٩٧٩م.
- الحوالي، سفر، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
- حمدان، نذير، في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات، مكتبة الصديق، الطائف، ب ت.
- حميد، محمد أبوبكر، ملامح إسلامية في إبداعيات شكسبير، المنهل، العدد ٤٨٠، شوالٌ ذو القعدة ١٤١٠هـ - مايو - يونيه ١٩٩٠م.
- خلوصي، صفاء، شكسبير ملامح عربية في صورته وأدبه، العربي، العدد ٥٦، صفر ١٩٨٣م، يوليو ١٩٦٣م.
- خلوصي، صفاء، لم نستعر شكسبير وإنما أثبتنا مايدين به لنا، العربي، العدد ٦٠، جمادىٰ الاخرة ١٣٨٣هـ نوفمبر ١٣٩٦م.
- خلوصي، صفاء، لم يكن شكسبير إنكليزيا إنما كان عربي الأورمة، مجلة اللغة العربية، دمشق، مجلد ٥٢، رجب ١٣٩٧هـ - يوليو ١٩٧٧م.

- دراز، محمد عبدالله، مدخل إلى القرآن الكريم، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- راغب، نبيل، بنو إسرائيل كما يراهم شكسبير ، الجديد، العدد ١٣٥ ، ١٥ أغسطس ١٩٧٧م.

- سلطان، شعاع، الصليبية الجديدة، الأمة، العدد الرابع والأربعون، السنة الرابعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- رزق الله، سمير ، الدعوة للحروب الصليبية، الاجتهاد، العدد ٢٩ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- شكري، عبدالرحمن، بين شكسبير وابن الرومي، الرسالة، العدد ١٤٣ ، محرم ١٣٥٥هـ، مارس ١٩٣٦م.

- شلبي، أحمد، الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

- شلبي، عبدالجليل، الإسلام والمستشرقون، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٧م.

- شوقي، أحمد، الشوقيات، بيروت دار الفكر، ب ت .

- صبحي، نبيل، تاريخ البعثات التنصيرية، الأمة، العدد الثلاثون، السنة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

- طراد، إلياس فياض، تاريخ العرب والعالم، العددان ١٢١ -١٢٢ تشرين الثاني - كانون الاول ، ١٩٨٨م .

- العبادي، بسام محمد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ١٨٨٠ ـ ١٩٩٠م: جذورها، ودوافعها، مراحلها، انعكاساتها، دار البشير، عمان ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- عبدالفتاح، طه طه، شكسبير وقس بن ساعده الإيادي، صحيفة دار العلوم، ٣ ذو القعدة ١٣٥٤هـ ـ يناير ١٩٣٦م.
- عبدالوهاب، أحمد، إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٧٢م.
- العقيقي، نجيب، المستشرقون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- العقاد، عباس محمود، التعريف بشكسبير، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
- العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م
- الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- قاسم، أحمد شوقي، المسرح الإسلامي: روافده ومناهجه، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٠م.
- القسوس، جريس، هل ألف شكسبير رواياته؟، الرسالة، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٤هـ ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥م.

- كار، ويليام غاي، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة سعيد جزائري، دار النفائس، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الكيلاني، إسماعيل، منهج استشراقي في تزييف التاريخ الإسلامي، الأمة، العدد السابع والأربعون، السنة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- لبيب، حسين، شكسبير دلائل شهرته ولمحة من نشأته، المقتطف، المجلد ٧١، الجزء الرابع، ديسمبر ١٩٢٧م.
- محمد، سيد محمد، مقارنات بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي، المنهل، رجب ١٣٦٥هـ.
- محمود، عبدالقادر، الإسلام في مواجهة الحركة التنصيرية والاستشراقية، الفيصل العدد ١٢٦، ذو الحجة ١٤٠٧هـ، أغسطس ١٩٨٧م.
- المطوي، محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢م.
- الندوي، وفاء عظيم، التبشير امتداد للحروب الصليبية، الدعوة، العدد الرابع عشر، السنة السادسة والعشرون مجلد ٣٨٨، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- النملة، علي إبراهيم، التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، دار الصحوة، الرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الهرفي، محمد علي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

ـ وزان، عدنان محمد، اليهود في مسرحيات شكسبير، وباكثير الدار السعودية للنشر، جدة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ ويذر، جورج، (مترجم) طبيعة الإنسان ١٥٣٦م.

ـ يكن، محمد، أمير، يهوذا الاسخريوطي على الصليب، دار اقرأ، مالطا ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ثانياً باللغة الإنجليزية :

Alexander, Peter (ed.), William Shakespeare The: Complete Works, Collins, London, and Glasgow, 1971.

Awad, Ramses, Shakespeare in Egypt, Arab Centre For Research Cairo, 1980.
Bloom, Allan and Harry V. Jaffa, shakespeare's Politics The University of Chicago Press, Chicago and London. 1964.

Bradley A.C ., Shakespearen Trgedy, London,1929.

Carter, Thomas, Shakespeare and Holy Scripture, Hodder and Stougton, London,1905.
Cawley A.C. (ed), Everyman and Medieval Plays, J.M. Dent and Ltd. London 1974.
Cohen, Hennig Shakespeare's Merchant of Venice, Shakespeare Quarterly ,vol .2, .No.1.1951.

Compbell, Lily B. ,Political Ideas in Macbeth, Shakespeare Quarterly,vol. 2,No.4.1951
Eliot ,T.S, Selected Essays, Faber and Faber Ltd., London 1915.
Evans, Sir Ifor A Short History Of English Literature, Penguin, London,1967.

Garland, Henry & Mary, The Oxford Companion to German Literature, Oxford, 1976.
Greer Germaine, Shakespeare, Oxford University Press, Oxford 1986.
Harvey Sir Paul & J.E Heseltine, The Oxford Companion to French Literature, Oxford,1969.

Landa. M.J., The Shylock Myth, W.H . Allan & Co. Ltd, London, 1942.
Lane- Pool, S., Saladin and the' Fall Of the kingdom Of Jerusalem, Khayats, Beirut, 1964.

Legouis, Emile, A Short History of English Literature, The Clarendon Press, Oxford.1976.

Mackie, W.S. Shakespeare's English : And How Far it can be
Help of the New English Dictionary, Investigated With the
the Modern Languae Review, vol. xxxi No.1, Jan 1936.

Modder, M.F., The Jew in the Liteature of England to the end
Jewish Publication Society of of 19th Century, the
America, Philadephia,1939.

Quinlan, Maurice J., Shakespeare and Catholic
Burial Service., Shakespeare Quarterly,vol.5.No.3 1988.
Allardyce, Nicoll, Britsh Drama, Harrap, London,1978,.

Smith, Byron Porter , Islam in English Literature, Carvan Books,
New York,1966.
Said, Edward, Orientalism, Kegan Paul, London. 1980.

. Sisson,C.J, Shakespeare, Britsh Council, Longman, London,
1971.
Wazzan, Adnan M., Translating Shakespears in Arabic
Literature : An Historical Outlook, University of Warwick,
Warick,1987.
Williams, George G, Shakespeare's Basic plot Situation,
Shakespeare Quarterly, vol.2 No.4.1951.

The Compact Edition of the Oxford English Dictionary,

فهرس محتويات الكتاب



فهرس محتويات الكتاب